الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة 1

كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية

الرقم :.....

رقم التسجيل : .....

الفعل العربي وصيغه الزمنية في «جزء عَمَّ»

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية

شعبة اللغة العربية

إشراف

أ . د / عبد الله بوخلخال

تقديم

الطالبة فايزة كريم

أعضاء لجنة المناقشة :

اسم الأستاذ (ة) ولقبه (ا)	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ . د . يمينة بن مالك	أستاذة التعليم العالي	جامعة قسنطينة 1	رئيسا
أ . د . عبد الله بوخلخال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ . د . بلقاسم ليباريز	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
أ . د . سامي عبد الله الكناني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا

العام الجامعي 2014/2013

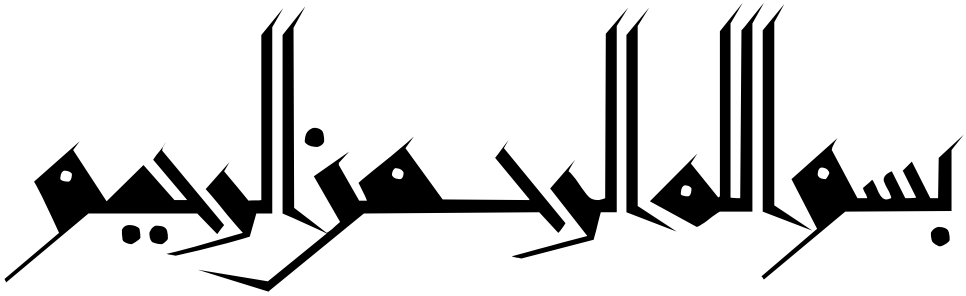
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

تبدو مسألة تعبير الصيغ المختلفة للفعل العربي عن الزمن ذات أهمية غير خافية عن المهتمين بمسار تطور التقعيد للفعل العربي وفهم أسرار اللغة وطرائقها في التعبير . وقد لفت انتباهي ، منذ عهد مبكر ، توقف عدد من الباحثين العرب المحدثين والمستشرقين عند هذه الجوانب وإدلاؤهم بجملة من الملاحظات ، يستهدف بعضها الغمز من قناة اللغة العربية ، خاصة لدى وضعها بإزاء لغات هندو أوروبية معينة بغرض استخلاص عدم مضاهاتها لها في التعبير عن الزمن بدقة وتحديد ، ببنما يستهدف بعضها الآخر محاولة وضع اليد على آليات مستترة للتعبير عن مختلف الأزمنة لم نظفر لدى النحاة القدماء إلا بإشارات متناثرة إليها ، في ثنايا تعريفاتهم بأقسام الفعل العربي الثلاثة : الماضي والمضارع والأمر ، عند فريق منهم ، والماضي والحال والمستقبل ، عند فريق آخر . وعندما قُدِّر لي أن أستمع إلى محاضرات كل من الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي وهما يدرساني في سنتي الأولى للماجستير ، على ما بينهما من تباين في وجهة النظر ، إلى جملة من المسائل ذات الصلة بهذا الموضوع ، وخاصة مصطلحي الزمن النحوي والزمن الصرفي ، وأثر السياق والضمائم والقرائن والسياق في التعبير عن الزمن ، وعدم الركون إلى الصيغة وحدها في استقاء الدلالة الزمنية للفعل ، ازداد اهتمامي بهذا الموضوع ، ونبتت ، تبعا لذلك ، بذرة التفكير في اتخاذه موضوعا لرسالة الماجستير التي كان علي أن

أسجل موضوعها بعد الفراغ من الدراسة النظرية . وقد شجعني على المضي قدما في هذا الموضوع الذي شغل اهتمامي ، الدكتور مهدي المخزومي نفسه ، وقد كان دوما يردد أن مسألة الزمن في صلته بالفعل العربي لم تحظ بما هي قمينة به من عناية وتدقيق من لدن النحاة القدماء ، وأن نظرة المحدثين إلى هذا الجانب قاصرة لم يتح لها أن تسبر أغوار اللغة في استعمالها لدى أساطينها وفي مصادرها الأولى .وبعد محادثات معه ، وبعد اتفاق على ضبط الموضوع ، ارتأيتُ أن يكون موسوما بـ " الفعل العربي وصيغه الزمنية " . وبعد أن انقضت زيارة الدكتور المخزومي لجامعتنا وعودته إلى العراق ،لم يتيسر التواصل معه إلا مرتين ، عبر بريد كريح سليمان ، غدوه شهر ورواحه شهر ! ، مما أفضى إلى بعض الفتور في الهمة . ولما حل الدكتور هادي نهر بجامعتنا ، لاحقا ، التقط الخيط ، وسعى ، بعد أن حولتُ الإشراف إليه ، إلى إعطاء دفع جديد لهذا البحث ، معدلا خطته الأولى ، غير أنه لم يلبث إلا يسيرا ، هو بدوره ، حتى قفل عائدا إلى بلاده . وعندئذ يممت وجهي شطر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، بحثا عن مشرف ، فلقيت ترحابا من الدكتور محمد مصطفى رضوان ، الذي حمل الراية هو أيضا لتمكيني من مواصلة البحث ، غير أنه ، هو أيضا ، لم يقدر له بلوغ منتهى الشوط معي ، بسبب انتهاء عقد عمله . وهكذا ألقيت عصا الترحال لدى أستاذي الدكتور عبد الله بوخلخال الذي احتضن هذا البحث ، وأمده بنفس جديد مستمد من خبرته وصلته الوثقى به ، تلك الصلة التي جسدتها رسالته للماجستير والموسومة بـ " التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ

نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري " . وقد اقترح علي ، محقا ، النأي بنفسي عن الجوانب النظرية المحضة ، والتوجه إلى استقراء النصوص . وليس ثمة أدق من النص القرآني للتعويل عليه في فهم الظاهرة الزمنية في علاقتها بالفعل في العربية ، بوصف القرآن الكريم كتاب العربية الأول . وقد اخترت ، انطلاقا من ذلك ، " جزء عَمَّ " ، من هذا الكتاب العزيز ، ليكون موضوع دراستي ، بسبب كونه صالحا لأن يكون نموذجا ممثلا لما في القرآن بأجمعه ، لتفاوت سوره من حيث الطول من جهة ، ولتضمنها موضوعات مختلفة ذات صلة بالعقيدة على وجه الخصوص ، من حديث عن الآخرة ، وعن الثواب والعقاب ، وقصص الأمم السابقة . . . . لقد أوجب علي خلق الوفاء الإطناب في التنويه بفضل هؤلاء الأساتذة الأعزاء الذين تعاقبوا على الأشراف على هذا البحث، وقد شاءت الأقدار أن لا يرى النور إلا اليوم ، لظروف خاصة ، لا أرى هذا المجال مناسبا للخوض فيها .

إن هذا البحث ينطلق من إشكالية محددة تتمثل في سؤال مركزي ، هو :

كيف بدت دلالة الصيغ المختلفة للفعل العربي في جزء عم ؟

وتتفرع عنه الأسئلة الفرعية الأتية : هل كانت دلالة كل صيغة في مختلف المواضع في " جزء عَمَّ " ، متوافقة مع الدلالة التي حددها النحاة لتلك الصيغة ؟ وهل الصيغة وحدها هي المحددة للزمن في هذا الجزء ؟ وما مدى تأثير المقام والضمائم (الأدوات) واللواصق (سوابق ولواحق) في الدلالة الزمنية للصيغة ، كما تبدو في هذا الجزء ؟

ولست مدعية ، بعدئذ ، أن هذا الموضوع مبتكر بالكلية ، لم يسبق إلى الاقتراب منه أحد من قبل . فقد خاض في الجوانب النظرية منه عدد كبير من الباحثين المحدثين ، من زوايا مختلفة . ولو كان لي أن أصنف الدراسات التي اقتربت من هذا الموضوع لتوجب علي أن أميز بين قسمين . قسم عُني بالجانب الزمني في الفعل العربي بوجه عام . ويسلك في عداد هذا الصنف كل من : الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه : من أسرار اللغة ، والأب هنري فليش اليسوعي في كتابيه : العربية الفصحى ـ نحو بناء لغوي جديد (تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين) ، و **Traité de PHILOLOGIE ARABE . vol 2 : Pronoms , Morphologie Verbale , Particules .**

والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه : الفعل ـ زمانه وأبنيته ، والدكتور إبراهيم المخزومي في كتابيه : النحو العربي ـ نقد وتوجيه ، و النحو العربي ـ قواعد وتطبيق . والدكتور تمام حسان في كتابه : اللغة العربية ـ مبناها ومعناها ، والدكتور مصطفى فاضل الساقي في كتابه : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، والدكتور مالك يوسف المطلبي في كتابه : الزمن واللغة ، والدكتور عبد الله بوخلخال في كتابه : التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، والأستاذ عبد المجيد جحفة في كتاب : دلالة الزمن في العربية ـ دراسة النسق الزمني للأفعال ، والأستاذ امحمد الملاخ في كتابه : الزمن في اللغة العربية ـ بنياته التركيبية والدلالية ، والدكتور كريم زكي حسام الدين في كتابه : الزمان الدلالي ـ دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية ، والدكتور عبد

الرحمن الريحاني في كتابه : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية والدكتور كمال رشيد في كتابه : الزمن النحوي في اللغة العربية ، والدكتور عصام نور الدين في كتابه : الفعل والزمن ، والسادة :

, M Gaudefroy – Demonbynes R Blachère : في كتابه **Grammaire de l'Arabe classique .**

والأستاذة ليلى مسعودي في أطروحتها المرقونة لنيل دكتوراه الطور الثالث من السوربون ، وهي موسومة بـ "

Temps et Aspect : Approche de la phrase simple en arabe

وسواهم . والقاسم المشترك بين هذه الفئة أنها تركز على الجوانب النظرية ، بالاعتماد على ما حوته مؤلفات الأقدمين من إشارات للجوانب الزمنية وصلتها بالصيغ والأدوات ، بعيدا عن استقراء النصوص والمدونات الأدبية ، وصولا إلى إثبات خلط التقسيمات القديمة للفعل (ماض ومضارع وأمر) بين الزمن الحقيقي للفعل وبين صيغته وشكله . أما القسم الثاني فيتضمن الدراسات التي يمت وجهها شطر القرآن الكريم محاولة دراسته من جانب الفعـل في عمومه ، دون التركيز على جانب الزمن ، كما هو حال كل من الأستاذ مصطفى شويمي في كتابه : Le Verbe dans le Coran (الفعل في القرآن) ، وكما هو حال الأستاذ محمود أحمد نحلة في كتابه " لغة القرآن الكريم في جزء عَمَّ " الذي عني بالتحليل اللغوي وخصائص التعبير في جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية ، دون التوقف مليا عند الدلالة الزمنية لمختلف صيغ الأفعال في هذا الجزء . ولعل أكثر الأبحاث اتصالا بجانب الزمن ودلالته

في القرآن الكريم أطروحة الدكتور عبد الكريم بكري الموسومة بـ " الزمن في القرآن الكريم " غير أن هذا البحث لم يخل من جنوح إلى الجوانب النظرية ، فضلا عن محدودية الاستقراء وعدم التوسع في الأمثلة والنماذج التي اعتمد عليها ، ومجانبة الصواب في عدد من النتائج التي خلص إليها. وفي أخر استعراضي هذا أشير إلى أحدث البحوث في هذا المضمار وأكثرها اتصالا بأحد الجوانب الزمنية للفعل في القرآن الكريم ، أعني رسالة تقدم بها الباحث لطيف نجاح شهيد حسن الفتلاوي لنيل شهادة الماجستير من جامعة بابل في العراق ، وهي موسومة بـ " دلالة الفعل الماضي في القرآن الكريم " ، وقد جرت المناقشة يوم 03 سبتمبر 2012 ، ومن ثم فهي أحدث ما وصل إلى علمي ، ولم تتح لي فرصة معاينتها ، إلا أن ملخصا قدم عنها على الإنترنت يشير إلى أن قوامها أربعة فصول : عُني أولها بالدلالة الزمنية للفعل الماضي . واهتم ثانيها بدلالة الالتفات بالفعل الماضي منه وإليه . على حين تولى الثالث دراسة دلالة المشترك اللفظي الخاصة بالفعل الماضي القرآني . أما الفصل الأخير فقد تمحض للدوران في فلك دلالة المناسبة في فواتح سور القرآن وخواتمه ، المبدوءة بالفعل الماضي . ومن الجلي أن الفصل الأول وحده هو الذي يسلط الضوء على الدلالة الزمنية للفعل الماضي . أما الفصول الثلاثة فصلتها بهذا الجانب تكاد تكون منعدمة .

ولعلي أخلص بعد ما تقدم إلى أن هذه القراءة النقدية العابرة للمراجع ذات الصلة بموضوع بحثي تؤكد أن لا أحد أجاب عن الأسئلة التي تضمنتها إشكالية هذا

البحث ، بشكل شاف واف ، وحتى الرسالة الأخيرة التي أومأت إليها فإن من الواضح أنها عُنيت بالماضي فقط ، دون أن تُعنى بالمضارع (حالا واستقبالا) ولا الأمر . وهذا ما يعطي لعملي هذا مشروعيته بكل تأكيد .

ومن أجل الإجابة عن السؤال المركزي الذي طرحته ، والأسئلة الفرعية المتولدة عنه ، كان لزاما علي أن أضع خطة تفي بهذا الغرض ، وتحيط بالموضوع من جميع أطرافه . فكان الفصل الأول مهادا نظريا ، طال بعض الشيء لضرورة اقتضتها طبيعة البحث ، وتمحض لتناول جانبين بالدرس ، جانب الفعل من حيث المعنى والحد والخصائص ، وجانب الزمن في صلته بالفعل ، وأقسامه ودلالاته . وجاء بعد ذلك الفصل الثاني ليتناول بالدرس صيغة فَعَلَ (ومتفرعاتها) أو ما نعته القدماء بالفعل الماضي ، وأعقبه الفصل الثالث الذي عُني بصيغة يفعل (ومتفرعاتها) أو ما نعته القدماء بالفعل المضارع ، كما عُنِيَ بالفعل الأمر أي صيغة (افْعَلْ) ، وقد آثرتُ عدم إفراد الأمر بفصل مستقل لنجنب اخنلال التوازن بينه وبين سابقيه من الفصول بسبب محدودية أفعال الأمر في هذا الجزء . وفي كلٍّ من الفصلين الثاني والثالث عمدتُ إلى تتبع الصيغة في سور الحزب الأول سورة سورة ، محددة دلالتها في كل موضع ، ومعقبة ذلك بجداول بيانية وإحصائية تتضمن ما حواه هذا الحزب وكذلك الحزب الأخير من أفعال بصيغ (فَعَلَ) و (يَفْعَلُ) و (افْعَلْ) ، لأستخلص من ذلك ملاحظات عامة على دلالات كل واحدة من هذه الصيغ في الجزء كله ، وعلى تأثيرات اللواصق من سوابق ولواحق والأدوات والسياق والمقام على دلالات تلك

الصيغة ، في نطاق ما أسماه بعض المحدثين بـ " الزمن النحوي " . وقد استعنت في استخراج الدلالات الزمنية هذه بكتب التفسير التي عرضت للجانب اللغوي . وهي على الخصوص أربعة تفاسير : تفسير البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي ، وتفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي . وبدرجة أقل تفسير القرطبي. ولم ألجأ إلى هذه التفاسير لفهم المعنى إلا بالقدر الذي يفرضه التوصل إلى استخلاص دلالة الفعل الزمنية ، أي أن فهم المعنى لم يكن غاية في حد ذاته ، ولا كان حشوا أو ترفا لا طائل من ورائه وبدون ارتباط بما تنشده الرسالة ، بل كان وقفا على ما يمت بصلة ، ولو غير مباشرة ، إلى الدلالة الزمنية للفعل في السياق الذي ورد فيه . هذا ولا يفوتني ، أن أشير ، إلى أن قارئ البحث قد يلاحظ خلوه من الاهتمام بجوانب الدلالة الزمنية في المشتقات كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، وأسماء الأفعال ، وهي التي يلحقها عدد من النحاة بالأفعال ، ويؤكد انطواءها على دلالات زمنية . وإذا كان الكوفيون يجعلون صيغة (فَاعِل) الدالة على اسم الفاعل ثالث أقسام الفعل بدلا من صيغة (افْعَلْ) الأمرية ، وسأتحدث عن ذلك في موضعه ، فإني لم أخصها بالحديث في فصلي البحث التطبيقيين (الثاني والثالث) لأن أغلب الكوفيين أنفسهم فرقوا بين العاملة منها فمحضوه للدلالة على المستقبل ، وبين المضافة التي فهموا منها إيماءً إلى الماضي فحسب ، وهي عند جمهور البصريين مجرد اسم فاعل يندرج ضمن الصفات ، ولا يتوفر على مقومات الفعلية . أما بقية المشتقات فإن مسألة فعليتها غير متحققة

، بما في ذلك المصدر ، ومن أجل ذلك ضربتُ عنها صفحا عامدة ولم أتوقف عندها لعدم اندراجها ضمن المحور المركزي الذي يدور حوله البحث ، أعني مدى دلالة صيغ الأفعال المتفق عليها عند جمهور القدماء (فَعَلَ ويَفْعَلُ وافْعَلْ) على الأزمنة التي حُدِّدَتْ لها أصلا ، وعن الآثار المترتبة عن الضمائم والقرائن واللواصق والسياق والمقام على دلالة صيغة الفعل .

وقد اتخذت المنهج الوصفي وطريقا لبلوغ غايتي ، ملتجئة إلى الاستقراء المعزز بالإحصاء في كل موضع . وربما بدا البحث ، من ثم ، مثقلا بالجدول البيانية ، ولكن طبيعة البحث والغاية المتوخاة منه هما اللذان فرضا ذلك . وقد تجنبتُ عامدة الركون إلى المنهج التاريخي ، حتى في المهاد النظري ، لأني رأيته غير مجد في بيان حقيقة الفعل وحقيقة علاقته بالزمن ، بغض النظر عن التتابع الكرونولوجي لأصحاب الآراء المذكورة في هذا المدخل بقسميه .

وقد تبع ذلك كله خاتمة استخلصت أهم ما أفضى إليه البحث من نتائج .

وفي ختام هذه المقدمة أرى لزاما علي أن أتوجه بخالص شكري والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد الله بوخلخال الذي طوق جيدي بأفضاله وأياديه البيضاء على هذا البحث الذي ما كان له أن يخرج إلى النور لولا تشجيعاته ، وحثه المستمر والمتتابع لي على إكماله ، وقد كان يشد أرزي ، كلما فتت مشاغل الحياة من عضدي وأوهت عزيمتي ، وإني لأرفع إلى الله أكف الضراعة الخاشعة أن يجزيه الله خير الجزاء ، وأن يثبه خير الثواب ـ كِفاء نصحه وتوجيهه وإرشاده ؛ كما لا يفوتني

الثناء الطيب على أعضاء اللجنة العلمية الموكل إليها فحص هذا البحث وتقويمه ، ثم مناقشته ، إن رأوه أهلا لذلك ، وإني لموقنة أن ملاحظاتهم السديدة المنبهة إلى ما قد يكون فاتني في غمرة انهماكي في تجميع شتات ما تفرق من مادة البحث في مظانها ، ستكون الهدية التي سأظل أعتز بها ما حييت . وأما قسم اللغة العربية الذي ضمني بين جنباته ما ينيف على الثلاثة عقود ونصف ، وفتحتُ فيه عيني على علوم العربية ، دارسة ومدرِّسة ، فلن أغمطه حقه هو بدوره ، وأعبر له عن عميق امتناني وخالص تقديري . ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ .

.

.

.

الفصل الأول :

الفعل والزمن

1ـ الفعل : ماهيتُه وحدُّه

درج النحـــاة العرب ، منذ البدايات الأولى للنحو العربي ، على تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف . وعلى الرغم من إفرادهم الفعل بقسم خاص ضمن تقسيمهم الثلاثي هذا ، فإنهم لم يولوه من العناية ما يكافئ المنزلة التي يتبوؤها في بناء الجملة العربية . وآية ذلك أنهم جعلوا الجملة الاسمية أس بحثهم في التراكيب ، بسبب انصراف جل اهتمامهم إلى الإعراب ، الأمر الذي نجم عنه الإعراض عن درس الجملة الفعلية بتفصيل وتوسع ، وهي الجملة التي أحد طرفيها ، وهو الفاعل ، معرب عادة ، بينما طرفها الآخر ، وهو الفعل ، مبني ، في أغلب أحواله ، وهذا بخلاف الجملة الاسمية معربة الطرفين ، كما لاحظ ذلك الدكتور أحمد عبد الستار الجواري الذي نبه إلى أنه ، انطلاقا مما تقدم ، « لا نكاد نجد في كتبهم بحثا عن الفعل إلا من حيث يتغير آخره بفعل عوامل الإعراب . أما تصرفه في المعاني المختلفة وتصريفه للدلالة عليها ، فموضع بحثه عندهم علم الصرف . وفي هذا ما فيه من إهمال لدراسة التركيب ، وإغفال لركن من أهم أركانه » [1] .

بين لفظي " الفعل " و " العمل " :

والفعل في اللغة « كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد ، فَعَلَ يَفْعَلُ فَعْلاً وَفِعْلاً ، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح . وَفَعَلَهُ ، وَبِهِ . والاسم الفِعْلُ ، والجمع الفِعَالُ ، مثل قِدْح وقِدَاح ، وَبِرّ وَبِرَار ؛ وقيل : فَعَلَهُ يَفْعَلُهُ فِعْلاً مصدر ، ولا نظير له إلا سَحَرَهُ

[1] الدكتور أحمد عبد الستار الجواري : نحو الفعل . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 2006 . ص 21 .

يَسْحَرُهُ سِحْرًا ، وقد جاء خَدَعَ يَخْدَعُ خَدْعًا وَخِدْعًا ، وَصَرَعَ صَرْعًا وَصِرْعًا ، والْفَعْلُ بالفتح مصدر فَعَلَ يَفْعَلُ » [1] ؛ أو هو ،كما يقول ابن هشام . وهو هنا يعرفه بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي . : « نَفْسُ الْحَدَثِ الَّذِي يُحْدِثُهُ الفاعلُ من قيام أو قعود أو نحوهما » [2] . وإذا كانت المعجمات تصف الفعل بأنه عمل ، فإن ثمة مع ذلك فرقا بين اللفظتين من حيث الاستعمال اللغوي ، الأمر الذي أهّل إحداهما ، وهي الفعل ، دون الأخرى ، أعني العمل ، إلى أن تستخدم في المصطلح النحوي . ولكي يتجلى لنا الفرق بينهما علينا أن نيمم وجوهنا شطر معجمات اللغة كرة أخرى نستكشف معنى لفظ عمل فيها .

جاء في القاموس المحيط : « الْعَمَلُ . محركةً . الْمِهْنَةُ . والْفِعْلُ . والجمع أعمال . عَمِل . كفَرِحَ . وَأَعْمَلَهُ . وَاسْتَعْمَلَهُ غَيْرُهُ . وَاعْتَمَلَ :

عَمِلَ بنفْسِه » [3] . وفي لسان العرب : « وَالْعَمَلُ : الْمِهْنَةُ وَالْفِعْلُ ، والجمع أعمال ، عَمِلَ عَمَلاً ، وَأَعْمَلَهُ غَيْرُهُ وَاسْتَعْمَلَهُ . وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ : عَمِلَ بِنَفْسِهِ . أنشد سيبويه :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلْ ۞ إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ

فَيَكْتَسِي مِنْ بَعْدِهَا وَيَكْتَحِلْ [4]

---

[1] جمال الدين بن منظور : لسان العرب المحيط . إعداد وتصنيف يوسف خياط . دار لسان العرب . بيروت . { فعل ـ 2/ 1112 } .

[2] أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد) . دار الطلائع . القاهرة . 2004 . ص 35 .

[3] الفيروزابادي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . صنعة الطاهر أحمد الزاوي . دار المعرفة ودار الكتب العلمية . بيروت . 1979 . { ع م ل ـ 3 / 314 } .

[4] ورد البيتان الأولان ، دون الثالث ، في الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه , عالم الكتاب . بيروت . ط 3 . 1983{ 3 / 81 } ، وفي شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . د . ت .{ 1 / 419 } .

(....) وقيل : الْعَمَلُ لِغَيْرِهِ والاِعْتِمَالُ لِنَفْسِهِ (....) وَاعْتَمَلَ : اضْطَرَبَ فِي الْعَمَلِ (....) الاِعْتِمَالُ : افْتِعَالٌ مِنَ الْعَمَلِ ، أي أنهم يقومون بما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ من عمارة وزراعة وتلقيح وحِرَاسَةٍ ونحو ذلك (....) وَرَجُلٌ عَمِلٌ : ذُو عَمَلٍ » [1] .

من كل ما تقدم يتضح أن لفظ العمل ألصق بإرادة التعبير عن تغيير طبيعة الأشياء أو إحداث آثار فيها ، حيث يقال : فلان يعمل الطين خزفا ، ويعمل الخشب مائدة ، أو الجديد درعا ؛ ولا يقال : يفعل الطين خزفا ... وقد قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [2] ، أي أوجدكم من عدم كما أوجد المواد التي تؤثرون فيها بنحتكم أو حفركم « يعني : خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام (....) كما يقال : عمل النجارُ البابَ والكرسيَّ ، وعمل الصائغُ السوارَ والخلخالَ ، والمراد عمل أشكال هذه الأشياء دون جواهرها ؛ والأصنام جواهر وأشكال ، فخالق جواهرها اللهُ وعاملُو أشكالها الذين يشكلون بنحتهم وحذقهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه » [3] .

ويُضاف إلى ذلك أن العمل يشمل أفعال القلوب والجوارح ، كما انه يطلق على ما كان متواصلا عبر زمان ممتد ، بدليل تعبيره عز وجل بهذا اللفظ في قوله : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ [4] ، أو قوله : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ [5] ،

---

[1] ابن منظور : لسان العرب . { عمل ـ 2 / 886 } .

[2] سورة : الصافات ، الآية : 96 .

[3] جار الله الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار المعرفة . بيروت . د . ت .{ 3 / 349 } .

[4] سورة : الكهف ، الآية : 79 .

[5] سورة : سبأ ، الآية : 11 .

بينما استعمل لفظ الفعل في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [1] وفي قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [2] ، إذ أراد هنا الدمار والهلاك الحاصلين على الفور وبسرعة . ولفظ العمل كذلك لا يُستخدم إلا للتعبير عما كان عن فكر وروية ، ومن أجل ذلك قُرِن دومًا بالعمل ، الأمر الذي حدا ببعضهم إلى القول بأن لفظ العمل مقلوب عن لفظ العلم « تنبيها على أنه مقتضاه » [3] . وذهب الفيروزابادي إلى أن الفعل عام « لِمَا كان بإجادة أو غيرها ، ولِمَا كان بعلم أو بغيره ، وبقصد أو بغيره ، ولِمَا كان من إنسان أو حيوان أو جماد . والعمل والصنع أخص منه » [4] .

إن لفظ الفعل بهذا المفهوم أعم من لفظ العمل ، ومن أجل ذلك استخدمه النحاة وأعرضوا عن استعمال لفظ العمل . كما أن للفظ « فَعَلَ » معنى مشتركا بين جميع الأفعال ومشتقاتها ، حيث إن لعب وقام ونام يصح أن يستعاض عن كل منها بلفظ فَعَلَ ، مثلها مثل أفعال قال وصَمَتَ ونَطَقَ وقَتَلَ ومَاتَ . . . فهو مصطلح يصح أن يُطلق على جميع الأفعال ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [5] ، فَعَبَّرَ عن النصر بلفظ

---

[1] سورة : الفجر ، الآيات : 6 ، 7 ، 8 .

[2] سورة : الفيل ، الآية : 1 .

[3] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق . 1982 . { 3 / 214 } .

[4] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية. بيروت . د . ت . { 4 / 201 ـ 202 } .

[5] سورة : الأنبياء ، الآية : 68 .

الفعل ، كما عبر عن المواقعة باللفظ ذاته حين قال : ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [1] ، وعبر بالفعل ذاته عن أداء الزكاة ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [2] . وقد علل ابن الأنباري تسمية الفعل فعلا بدلالته على الفعل الحقيقي ، حيث قال : « فإن قيل : لِمَ سُمِّيَ الفعل فعلا ؟ قيل : لأنه يدل على الفعل الحقيقي ؛ ألا ترى أنك إذا قُلْتَ : (ضَرَبَ) دل على نفس الضرب الذي هو الفعل في الحقيقة ، فلما دل عليه سُمِّيَ به ، لأنهم يسمون الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب ، وهو كثير في كلامهم » [3]. ونبه أحد النحاة ، وهو أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي المقلب بجيدرة اليمني ، إلى جانب آخر في استعمال مصطلح الفعل دون سواه ، وهو كونه صالحا للتعبير عن كل المتضادات . قال : وسُمي فعلا لأنه يعبَّر به عن جميع الأفعال الأحداث لاشتراك المتضادات فيه ، ألا ترى أن القائل يقول : قام زيد . فنقول : فعل ، وتقول : قعد ، فنقول : فعل . ومثله : خرج ، ودخل ، إلى غير ذلك من مختلفات الأفعال . فصارت تسمية جامعة ، قال الله عز وجل : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4]. ولو جئت بغير هذه الأحرف ، أعني الفاء ، والعين ، واللام ، عبارة عن الفعلين المتضادين لاختل عليك هذا الأصل ، ولم يطَّرِدْ ذلك القياس . فأما قول طاهر بن أحمد : لأنه لفظ

---

[1] سورة : الحجر ، الآية : 71 .

[2] سورة : المؤمنون ، الآية : 4 .

[3] أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري : كتاب أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . دمشق . د . ت . ص 11 .

[4] سورة : الأنبياء ، الآية : 23 .

توزن به جميع الأفعال ، ويعبـر به ، فاتسـاع أيضا ؛ لأن الأسماء توزن كالأفعال » [1].

ولعل من الطريف الإشارة هنا إلى أن المصطلح المستعمل للدلالة على الفعل في بعض اللغات الأوروبية يستعمل أصلا بمعنى القول ، فكلمة في اللغة الفرنسية تعني الكلمة أو القول ، إذ جاء في المعجم الفرنسي **LE MAXIDICO** مثلا :

« Verbe : Parole (…) Ton de la voix (…) Avoir le verbe haut : parler fort ! » [2]

وإذا كنا بهذا قد حاولنا تعليل اختيار النحاة مصطلح الفعل بالذات ، فإن من المفيد أن نعرض أيضا لرأي الأصوليين بهذا الشأن ، وهو رأي لا يبتعد كثيرا عن رأي النحاة .

لقد قرر جمهور الأصوليين أن تسمية الفعل بهذا إن هي إلا « تسمية للشيء باسم مدلوله التضمني ، أي الحدث ، وهو الفعل اللغوي » [3] ، غير أ ن فريقا منهم اعترض على ذلك مستندا إلى كون الأحداث التي يتضمنها الفعل ليست جميعا ذات طبيعة واحدة ، ففيها ما ينطبق عليه تماما المعنى اللغوي لكلمة فعل ، مثل ضرب وأكل ، وفيها ما هو صفة كعلم وحسن وقبح ... ، وفيها ما هو عدم فعل كامْتَنَعَ وتَرَكَ وتَخَلَّى ... ومن ثم « يظل تفسير الفعل الاصطلاحي بأنه حركة هذه الأحداث أقرب من كونه نفس الأحداث » [4] .

ولنعد الآن إلى النحاة لنعرف ماهية الفعل وحَدَّه عندهم .

---

[1] أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي : كشف المشكل في النحو . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 1 . 2004 . ص 22 .

[2] LE MAXIDICO .EDITIONS DE LA CONNAISSANCE . PARIS . P 1149 .

[3] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين . مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام العراقية . دار الرشيد للنشر , بغدلد . 1980 . ص 150 .

[4] المرجع نفسه . ص 150 .

ماهية الفعل :

ابتداء ، لا بد من المسارعة إلى تسجيل ما استقر عليه الرأي لدى جمهور النحاة من أن الفعل يعبر عن الحدث الصادر عن الفاعل ، سواء أكان ذلك الفعل مما قام به الفاعل بإرادته الحرة وتصرفه المباشر ، أم أُسند إليه على سبيل الاتصاف به دون أن تكون له يد في إجرائه وإحداثه . فالأفعال مات ومرض وهلك وأمطر . . . مثلا ، فاعلُها الحقيقي ليس مَن أُسند إليه الفعلُ ، وليس هو الذي أجراها ، بل هو مجرد متلبس بها ، ونسبة فعلها إليه على سبيل المجاز لا غير ، بخلاف أفعال سافر وأقام وأكل وشرب ووقف وقعد . . . التي تعبر فعلا عن قيام فاعلها بها حقيقة . وهذه الفكرة هي التي أشار إليها الزجاجي حين سجل : « أن الأفعال عبارة عن حركات الفاعلين ، وليست في الحقيقة أفعالا للفاعلين ، إنما هي عبارة عن أفعالهم وأفعال المعبرين عن تلك الأفعال » [1] . وقد مضى بعض القدماء إلى أبعد من ذلك حين تناول المسألة من جانب فلسفي عقيدي صرف محاولا تعليل عزو جميع ما يصدر عن البشر من أفعال إليهم مع كون فاعلها الحقيقي هو الله ، فقرر أنه « إنما لُقِّبَ هذا القبيلُ من الكلام بالفعل للفصل بينه وبين الاسم والحرف ، وخُصَّ بهذا اللقب لأنه دال على المصدر ، والمصدر هو الفعل الحقيقي ، فلُقِّب بما دل عليه . فإن قيل : فإنه يدل على الزمان أيضا فهلا لُقِّب به ؟ قيل : الفعل مشتق من لفظ المصدر وليس مشتقا من لفظ الزمان ، فلما اجتمع فيه الدلالة على المصدر وأنه من لفظه كان أخص به من الزمان » [2] .

---

[1] أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . تحقيق الدكتور مازن المبارك . دار النفائس . بيروت . ط 3 . 1979 . ص 53 .

[2] موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش : شرح المفصل . عالم الكتب . بيروت . مكتبة المتنبي . القاهرة { 7 / 3 ـ 4 } .

وواضح أن التعليل الذي تقدمه وجهـة النظر هذه لا يجيب عن الإشكال المثار بصفة مباشرة ، إذْ قوامه التأكيد على أن اختيار اللفظ ليس له من غاية سوى التمييز بينه وبين أقسام الكلام الأخرى ، دون التفات إلى ما يثيره من إشكال فلسفي عقيدي .

ولْنَمْضِ قُدُمًا في تتبع آراء النحاة في ماهية الفعل وحدّه ، مبتدئين بسيبويه الذي عرض لتعريف الفعل فقال : « وأَمَّا الفعلُ فأَمْثِلَةٌ أُخِذَتْ من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنِيَتْ لِمَا مَضَى ، ولِمَا يَكُونَ ولَمْ يَقَعْ ، ومَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ » [1]. وفي هذا التعريف تستوقفنا كلمات . أمثلة ، وأُخِذَتْ ، وأحداث الأسماء ، وكلها تصب في مجرى واحد يستهدف ، في المقام الأول ، إبراز جانب الاشتقاق في الفعل . وواضح أن سيبويه يُعَبِّر بذلك عن الرأي السائد لدى البصريين عامة ، وهو الرأي الذي يقرر أن الغالب في الأفعال أنها مشتقة من المصادر . والمشكلة التي يواجهها هذا التعريف تتمثل في كونه لا ينطبق على كلمات عديدة عَدَّها صاحبُ هذا التعريف نفسُه أفعالا مع أنها غير مأخوذة من أحداث الأسماء كنِعْمَ وبِئْسَ وعَسَى ... وقد نبه إلى هذا المأخذ ابن فارس حين قال موجّها الخطاب إلى سيبويه : « ذكرتَ هذا في أول كتابك وزعمتَ بَعْدُ أن ليس وعسى ونعم وبئس أفعال ، ومعلوم أنها لم تؤخذ من مصادر ، فإن قلتَ : إني حددتُ أكثر الفعل ، وتركتُ أقله ، قيل لك : الحد عند النظار ما لم يزد المحدود ، ولم ينقصه ما هو له » [2].

---

[1] سيبويه : الكتاب . { 1 / 12 } .

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1997 . ص 52 .

وثمة ملاحظة أخرى تتعلق بهذا التعريف ، وهي أنه يركز على الناحية الشكلية أكثر من سواها ، ويتجلى ذلك في استخدامه لكلمة : أمثلة ، ولفعل : بُنِيَتْ ، من بعدُ ، كما سنقف على ذلك لاحقا إن شاء الله ، عند تناولنا لمسألة نظرته إلى اقتران الفعل بالزمن في موضعها من هذا البحث .

وهذا الاهتمام بالناحية الشكلية ذاته هو الذي يلقانا عند الأخفش (الأوسط) ، حيث إن هذا النحوي لم يجد من سبيل إلى تحديد الفعل غير القول بأن أهم العلامات التي تميزه عن غيره هي : التصريف ، والامتناع عن الوصف ، والابتعاد عن قبول الاقتران بالألف واللام ، وعدم قبول التثنية والجمع ، أي الاعتماد في التفريق بين الفعل وسواه على قابلية الفعل للدخول في جداول تصريفية [1] . ويمكن أن نستخلص من جانب آخر أن الأخفش يجعل عدم قابلية الكلمة لعلامات الاسم والحرف مقياسا معتمدا للحكم بفعليتها ، حيث إن القابلية للوصف ودخول الألف واللام والتثنية والجمع هي من علامات الاسم أساسا . ولكن بعض المحدثين نبه إلى أن هذه الخصيصة التي ارتآها الأخفش سبيلا لتمييز الفعل ، ليست وقفا عليه ، بل هي تصدق على الحرف أيضا [2] . ومثل هذا التوجه إلى التركيز على الجوانب الشكلية ماثل أيضا في تعريف صالح بن إسحاق الجرمي للفعل بأنه « ما حَسُنَتْ فيه التاء ، نحو

---

[1] أورد رأيه هذا عبد الله بن السيد البطليوسي في : إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل ، تحقيق وتعليق حمزة عبد الله النشرتي . دار المريخ . الرياض . ط 1 . 1979 . ص 21 ، كما أورده أيضا فاضل مصطفى الساقي في : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي . القاهرة . 1977 . ص 68 ، نقلا عن أبي الحسن بن الصائغ في شرح الجمل ، الورقة رقم 11 (مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم 19 ، نحو) .

[2] فاضل مصطفى الساقي : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة . ص 68 .

ضربت ، وقامت . قال : وبهـــذا علمنا أن نعــم وبئس فعلان ، لقولـــــنا : نعمت المرأة ، وبئست الفعلة » [1] .

والواقع أن المسلك ذاته ، القائم على تحديد الفعل بالاعتماد على العلامات اللفظية التي تميزه عن سواه ، سار فيه نحاة آخـرون عديدون ، نذكر منهم علي بن سليمـان (الأخفش الصغير) الذي نعت الفعل بأنه « صفة لا يوصف » [2] ، يعني به أنه ما لا يقبل أن تنعته ، فأنت حين تقول مثلا : هذا عمل يُدْخِل الجنةَ ، تكون قد وصفتَ العملَ بأنه يُدخِل الجنةَ ، ولكنك لا تستطيع أن تصف فعل يُدخل بأية صفة . وهذا المنطلق التأليفي اللفظي هو ذاته الذي صدر عنه أبو بكر بن السراج في وصفه الفعل بأنه « ما كان خَبَرًا ولا يجوز أن يُخْبَرَ عنه ، وما أَمَرْتَ بِهِ ؛ فالخبر نحو : يذهب عَمْرٌو ، ولا يجوز أن تقول : جَاءَ ذَهَبَ . والأمـر ، نحو قولك : اذهبْ ، اقتلْ ، دَعْ ... ، وما أشبه ذلك . وتعتبر الفعل بسوف وقد والأمر ، فما حَسُنَ فيه أحد الثلاثة فهو فعل ، نحو : قد قام ، وسوف يقوم ، وقُمْ » [3] . والملاحظ أن كلمة الخبر هنا غير مستعملة بمعناها الاصطلاحي الذي تواضع عليه النحاة ، بل يُقصد بها الوصفُ ، كما تدل على ذلك الأمثلة التي ساقها هنا ، وأكدها في كتابه الآخر : الأصول ، حين نص على أن الاسم هو الذي « يَجُوز أن يُخْبَرَ عنه ، حيث تقول : عمرو منطلقٌ ، وقام بَكْرٌ ، بينما الفعل يكون خبرًا غير أنه لا

---

[1] نقل رأيه هذا ابن السيد البطليوسي في : إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل . ص 23 .

[2] نقل قوله هذا ابن السيد البطليوسي في : إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل . ص 22 .

[3] ابن السراج : الموجز في النحو .تحقيق مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي . مؤسة بدران للطباعة والنشر . 1965 . ص 27 .

يَجُوز أن يُخْبَرَ عنه ، فأنتَ تقول مثلا : أخوك يقوم ، أو قام أخوك ، متحدثا عن الأخ ، ولا تقول . أَكَلَ يَقُومُ ، ولا يَقُومُ يَجْلِسُ » [4] . وبكلمات قريبة من هذه ، نقل السيوطي عن ابن معطي تعريفه للفعل بأنه الذي « يصح الإخبار به ، لا عنه » [5] ، وذلك في معرض التفريق بينه وبين الاسم الذي « يدل على معنى يصح الإخبار عنه وبه » قول[6] والحرف الذي « لا يصح الإخبار عنه ولا به » [7] .

ولقد كان أبو القاسم الزجاجي من قبلُ قد زاد الفكرةَ السابقةَ توضيحا وشرحا حين نقل عن بعض النحويين بأنه حَدَّ الفعلَ « بأن قال : هو ما كان صفة غير موصوف ؛ نحو قولك : هذا رَجُلٌ يقوم ، فيقوم صفة لرجل ، ولا يجوز أن تصف يقوم بشيء » [8]. وأورد بعد ذلك ما اعْتُرِضَ به على هذا الحد من كون الظروف هي أيضا قد تكون صفات للأسماء ، ولا توصف هي أيضا ، مُسَجِّلا رد القائل بهذا الحد ، ذلك الرد الذي يتمثل في أن الظروف واقعة موقع الأفعال ، مما يعني أن الأفعال هي الموصوف بها في الواقع . غير أن الزجاجي عقب على هذا الرد بالقول بأنه ليس بذي قيمة ، والصواب ، في رأيه ، أن لا يقع التسليم بالفرضية التي انطلق منها هؤلاء المعترضون على هذا الحد ، إذ أن الاستقراء يؤكد أن الظروف توصف حقيقة ، كما في قولنا : « مكانا طيبا ومكانا حسنا وجلسنا

---

[1] أبو بكر محمد بن سهل بن السراج : الأصول في النحو . تحقيق عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط 4 . 1999 . { 1 / 1 } .

[2] جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو . دار الكتب العلمية . بيروت . د . ت . { 2 / 3 } .

[3] المصدر نفسه . { 2 / 3 } .

[4] المصدر نفسه . { 2 / 3 } .

[5] الزجاجي : الإيضاح . ص 53 .

مجلسا واسعا وما أشبه ذلك » [1] .

ومن الواضح أن مدار حديث هؤلاء النحاة جميعا هو فكرة الإسناد ، إذ أنهم جميعا تناولوا المسألة من وجهة نظر تأليفية لفظية ، أي من حيث صلاحية مجيء المفرد ركنا في الجملة ، حيث قرروا أن الفعل لا يصلح إلا أن يكون مسندا ، في مقابل الحرف الذي لا يجيء إلا مسندا إليه ، وعلى النقيض تماما من الاسم الذي يمكن أن يحتل موقع المسند والمسند إليه . وقد وجدنا من بينهم من استعمل مصطلح الإسناد بالفعل ، كما في هذا النص الذي أورده أبو البقاء العكبري في كتابه مسائل خلافية في النحو « وقال أبو علي : الفعل ما أُسند إلى غيره ، وهذا يقرب من قولهم في حد الاسم : ما جاز الإخبار عنه ، لأن الإسناد والإخبار متقاربان في هذا المعنى » [2] ، وكما في عبارة ابن الأنباري في معرض حديثه عن الفعل : « وقيل : ما أُسند إلى شيء ولم يُسند إليه شيء » [3].

وقد تتابع ، بعد ذلك ، النحاةُ الذين ركزوا على الجانب الشكلي في نظرتهم إلى الفعل ، وتحديدهم له ، فكان منهم ابن جني الذي عرَّف الفعل بأنه : « مَا حَسُنَ فيه (قد) ، أو كان أمرًا » [4] . وحذا حذوه الثمانيني ، أحد شراح كتابه ، فقرر أن « الفعل مَا أُخْبِرَ به ، ولَمْ يُخْبَرْ عَنْهُ ، وحُدِّثَ بِهِ ، ولم يُحَدَّثْ عنه ، وأُسْنِدَ ولَمْ يُسْنَدْ إِلَيه

---

[1] المصدر السابق . ص 53 .

[2] أبو البقاء العكبري : مسائل خلافية في النحو . تحقيق عبد الفتاح سليم . مكتبة الآداب . القاهرة . ط 3 . 2007 . ص 59 .

[3] ابن الأنباري : كتاب أسرار العربية . ص 11 .

[4] أبو الفتح عثمان بن جني : اللُّمع في العربية . تحقيق حامد المؤمن . عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية . بيروت . ط 2 . 1985 . ص 46 .

، نحو : قَامَ زَيْدٌ ، وَيَذْهَبُ عَمْرٌو » [1] . وهو بذلك يزاوج أيضا بين مصطلحي الإخبار والإسنـــاد المتقاربيـــن حسب رأي أبي علي الفارسي السابق .

وإذا كان أصحاب هذه الآراء قد جعلوا هذه الجوانب الشكلية حدا للفعل ، فإن ثمـة آخرين قد أوردوها في سياق واحد مع الجانب المتصل بالمعنى والوظيفة ، دون أن يميزوا بين الجانبين . ومن هؤلاء أبو العباس محمد بن يزيد تلميذ المازني وأبي حاتم والجرمي ، فقد نقل عنه ابن السيد البطليوسي أنه كان له في تحديد الفعل أربعة أقوال : أحدها أن الفعل ما دل على حركة . والثاني أن الفعل ما دل على حدوث شيء في زمان محدود . والثالث أن الفعل ما احتمل الضمير . والرابع أن الفعل ما حَسُنَ فيه أمس أو غد » [2] . فالقولان الأولان يتصلان بالمعنى والوظيفة ، بينما يتعلق الآخران بعلامات شكلية يختص بها الفعل ويتميز بها .

حد الفعل وعلاماته :

والحق أن النظر في مجمل التحديدات السابقة ، بغض النظر عن كل ما يمكن أن يؤخذ عليها ، يُسْلِمُنا إلى استخلاص ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وتتمثل في كون بعضها ـ في معرض حديثه عن ماهية الفعل وحده ـ قد ساق علامات له منطلقة من صيغته أو من صلته بسواه ، بينما مـــزج بعضها الآخـــر بين تلك العلامـــات وبين جوانب أخرى تتـــصل بالمعـنى والوظيـــفـــة . فهـــــي جميـعا إذن لم تتـــمكـــن من التمييـــز بوضـــوح بين الحـــد وبيـــن الخـصـــائص أو العـــلامـــــات ، إذ الحـــــد هـــو تعـــريف دال على ماهـــيـــة الشيء

---

[1] المصدر السابق . هامش ص 46 .

[2] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجُمَل . ص 22 .

وحقيقته [6] مشتملا على جميع مقوماته مقوماته [7] ، أو هو . كما يقول ابن السيد البطليوسي . « قول وجيز يستغرق المحدود ويحيط به » [8]، وهذه الألفاظ ذاتها هي المستعملة عند ابن حزم الأندلسي الذي عرف الحد بأنه « لفظ وجيز يدل على طبيعة الشيء المخبر عنه » [9] ، وعند الزجاجي الذي تحدث عن الحد من حيث كونه « قولا وجيزا يدل على طبيعة الشيء الموضوع له » [10] . وقد نبه بعض المناطقة إلى أنه إنما « سُمِّيَ حَدًّا لأنه مانع عن دخول الغير » [11] . وسجل ابن السيد البطليوسي أنه « لذلك سماه المتكلمون : الجامع المانع » [12] ، أي الذي يجمع المحدود فلا يخرج عن نطاقه شيء ، ويمنع في الوقت نفسه أن يدخل في هذا المحدود شيء ليس منه . أما الخصائص فهي « جمع خصيصة ، وهي تأنيث الخصيص ، بمعنى الخاص ، ثم جُعِلَتْ اسما للشيء الذي يختص بالشيء ويلازمه فيكون دليلا عليه وأمارة على وجوده ، كدلالة الحد » [13] ، أي هي بعبارة أخرى الصفة أو اللازمة التي تميز الشيء وتختص به دون سواه . وكذلك الشأن في العلامة التي أشار إلى الفرق بينها

---

[1] مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط . دار المعارف . القاهرة . ط 2 , 1972 . { حد ـ 1 / 160 } .

[2] يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية . دار لسان العرب . بيروت . د . ت . مادة حدد . ص 149 .

[3] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجمل . ص 9 ـ 10 .

[4] ابن حزم الأندلسي : الإحكام في أصول الأحكام . تحقيق أحمد مجمد شاكر . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط 2 . 1983 . 1 / 35 .

[5] أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . ص 46 .

[6] عيسى ين محمد بن عبد الله الإيجي الصفوي خضر بن محمد بن علي الرازي : شرح الغرة في المنطق . تحقيق ألبير نصري نادر . دار المشرق . بيروت . 1983 . ص 148 .

[7] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجمل . ص 9 ـ 10 .

[8] ابن يعيش : شرح المفصل . المجلد الأول . 1 / 24 .

وبين الحد ابن يعيش عندما قال : « والفرق بين العلامة والحد أن العلامة تكون بالأمور اللازمة والحد بالذاتية ، والفرق بين الذاتي واللازم أن الذاتي لا تُفهم حقيقةُ الشيء بدونه ، ولو قدَّرْنا انعدامه في الذهن بَطُلَتْ حقيقةُ ذلك الشيء ، وليس اللازم كذلك . ألا ترى أنا لو قدرنا انتفاء الحدث أو الزمان لبطلت حقيقة الفعل ؟ وليس كذلك العلامات ، من نحو قد والسين وسوف ، فإن عدم صحة جواز دخول هذه الأشياء عليها لا دخول يقدح في فعليتها . ألا ترى أن فعل الأمر والنهي لا يحسن شيء مما ذكرنا عليهما ، وهما مع ذلك أفعال ؟ » ألا ترى أن[1].

ومن هؤلاء الذين تحدثوا عن علامات الفعل بشكل منفصل الزمخشري الذي يؤكد أن من خصائص الفعل « صحة دخول قد » ألا ترى أن[2]، وهو ما ورد بنصه ، تقريبا ، على لسان ابن الحاجب القائل ، متحدثا عن الفعل ، « ومن خواصه دخول قد »[3] . وهذه العلامة أشار إليها ابن مالك في منظومته « متن الكافية الشافية » حين قال :

لِلْفِعْلِ تَا الْفَاعِلِ وَيَاهُ عُلِمْ ❁ وَقَدْ ، وَتَا التَّأْنِيثِ سَاكِنًا ، ولَمْ[4]

لكنه في منظومته الأخرى ، الألفية ، أهمل هذه العلامات ، وأورد علامات أخرى ،

---

[1] المصدر السابق . المجلد الثاني . الجزء السابع . ص 3 .

[2] الزمخشري : المفصل . ص 243 .

[3] أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الأسنائي الشهير بابن الحاجب : الكافية في النحو (كافية ذوي الأرب في عرفة كلام العرب ، بشرح محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي . تحقيق يحيى بشير مصري . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ط 1 . 1996 . القسم الثاني . ص 797 .

[4] جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحياني : شرح الكافية الشافية تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي . دار المأمون للتراث . مكة المكرمة . ط 1 . 1982 . ص 166 .

ضَمَّنَهَا قَوْلَهُ :

بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِي ❁ وَنُونِ اقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي[1]

وقد بقيت هذه العلامات ، منذ ذلك الحين ، لدى جميع النحاة ، سمة يُعرف بها الفعل . فقد ذكر ابن هشام[2] وابن عقيل[3] مثلا في شرحيهما لألفية ابن مالك أن الفعل يمتاز عن الاسم بأربع علامات ، أولاها : تاء الفاعل ، وهي المضمومة للمتكلم (كقولك : فَعَلْتُ) أو المفتوحة للمخاطب (كقولك : تَبَارَكْتَ) أو المكسورة للمخاطَبة (كقولك : فَعَلْتِ) ، وثانيتها : تاء التأنيث الساكنة ، نحو : قَامَتْ وَقَعَدَتْ . وقد وقع نعتُها بالساكنة تمييزًا لها عن نظيرتها المتحركة اللاحقة بالاسم ، إذ تكون متحركة بحركة الإعراب ، فأنت تقول : هذه مُسْلِمَةٌ ، ورَأَيتُ مُسْلِمَةً ، ومَرَرْتُ بِمُسْلِمَةٍ ، وكذلك اللاحقة بالحرف ، نحو : لاَتَ وَرُبَّتَ وَثُمَّتَ . وبهاتين العلامتين معًا يُرد على مُدَّعِي حَرْفِيَّةِ ليس وعسى ، مثلما يرد بثانيتهما على القائل باسمية نِعْمَ وبِئْسَ . وثالثة هذه العلامات هي ياء الفاعلة أو المخاطَبة ، وتلحق فعل الأمر ، نحو : قُومِي واضْرِبِي ، والفعلَ المضارع ، نحو : تضربين ، ولا تلحق بالماضي مطلقا . وبهذه العلامة أيضا يُرد على من ذهب إلى أن تَعَالَ وهَاتِ اسما فعلين . وتبقى العلامة الرابعة ، وهي نون التوكيد الشديدة أو الخفيفة ، كما في قوله

---

[1] ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين الدين عبد الحميد . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة وبيروت . ط 16 . 1974 {1 / 22 } .

[2] ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . ط 5 . 1967 . { 1 / 22 ـ 23 } .

[3] ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . {1 / 22 ـ 23 } .

تعالى :﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ، أو قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] ، أو قوله :﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] . وقد أضاف ابن هشام ، في موضع آخر [4] ، (لَمْ) و (حرف تنفيس) .

والملاحظ أن ابن هشام وابن عقيل يشتركان في متابعة ابن مالك في إهماله (قد) التي تحدث عنها الزمخشري وابن الحاجب ، كما تقدم ، والتي قرن بينها وبين سوف ابن السراج في قوله :« وتعتبر الفعل بـ (سوف) و (قد) » [5] .

المعنى والحدث والحركة بين النحاة والأصوليين :

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه العلامات الشكلية ، وإن صح أنها تميز الفعل عن غيره من أقسام الكلام العربي ، كسابقتها التي انصب اهتمامها على الجانب التأليفي اللفظي ، لا تُعَدُّ حدودا للفعل لأنها لا تتناول وظائفه الصرفية ومعانيه الوظيفية . وهذا ما أقر به بعض هؤلاء النحاة أنفسهم صراحة ، كما هو شأن أبي البقاء العكبري الذي توقف عند تعريف أبي علي لكل من الاسم والفعل والحرف ، وقد سبقت الإشارة إليه ، فعلق عليه قائلا : « وهذا الحد رسمي ، إذ هو علامة ، وليس بحقيقي ، لأنه غير كاشف عن

---

[1] سورة : العلق ، الآية : 15 .

[2] سورة : إبراهيم ، الآيتان : 13 ، 14 .

[3] سورة : يوسف ، الآية : 32 .

[4] أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : الجامع الصغير في علم النحو . تحقيق أحمد محمود الهرميل . مكتبة الخانجي . القاهرة . 1980 . ص 9 .

[5] ابن السراج : الموجز في النحو . ص 27 .

مدلول الفعل لفظا ، وإنما هو تمييز له بحكم من أحكامه » [1]. وثمة نحاة آخرون أقروا بذلك ضمنا ، وآية ذلك أننا وجدناهم يُفردون مباحث مستقلة للحديث عن وظائف الفعل الصرفية ومعانيه الوظيفية . وإذا كان سيبويه قد وضع بذور هذا التوجه إلى الاهتمام بالمعاني الوظيفية للفعل ، حين تحدث ـ كما ذكرنا من قبل ـ عن بناء صيغ الأفعال « لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » [2] ـ بغض النظر عما يشير إليه استعماله للفظ بُنِيَتْ من دلالة على اهتمامه بمسألة الاشتقاق ـ فإن من جاء بعده من النحاة قد مضوا في التركيز على هذا الجانب ، في معرض تحديد ماهية الفعل ، شوطا بعيدا . ومن هؤلاء الكسائي الذي نُقل عنه تعريفه الفعل بأنه « ما دل على **زمان** كخرج يخرج ، دللنا بهما على ماض ومستقبل » [3] ؛ غير أن تحديده هذا المقتصر على إبراز جانب الزمان ، دون سواه ، في الفعل رُدَّ من قِبَل غير واحد من النحاة ، لأنه لا ينطبق على الأفعال وحدها بل ينطبق أيضا على ظروف **الزمان** التي تدل ، هي أيضا ، على الزمان ، كما تشي بذلك تسميتها [4]. وهذا التوقف عند عنصر الزمان هو ما يَبْرُزُ جليا أيضا في تعريف الحسن بن كيسان للفعل بأنه « ما كان مذكورا لأحد **زمانين** ، ما مضى وما يستقبل ، أو أحدهما ، وهو الحال » [5]. ومثل هذا التحديد المقتصر على التركيز على جانب واحد ، دون سواه ، نظفر به عند

---

[1] أبو البقاء العكبري : مسائل خلافية في النحو . ص 59 .

[2] سيبويه : الكتاب . { 1 / 12 } .

[3] نقل تعريفه هذا ابن فارس في : الصاحبي . ص 86 ، ونقله دون الأمثلة ابن السيد البطليوسي في : إصلاح الخلل الواقع في الجمل ، ص 21 ، وعزاه إلى جماعة من الكوفيين .

[4] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجمل . ص 24 .

[5] المصدر نفسه . ص 22 .

نحوي آخر ، هو أبو العباس **محمد** بن يزيد ، الذي كان من أقواله الأربعة التي أوردها في تحديد الفعل ، كما تقدم ، « أن الفعل ما دل على **حركة** »[1]، غير أن القول الآخر الذي أورده ، جمع بين هذا الجانب ، جانب الحركة ـ بتعبيره ـ ، وبين جانب **الزمان** ، حيث ذكر أن « الفعل ما دل على **حدوث** شيء في **زمان** محدود »[2] . وهذا الجمع بين الجانبين هو الذي نلقاه أيضا عند أبي عبد الله الطوال الذي عرف الفعل بأنه « كل كلمة دلت على **حدوث** فعل **في بعض الأوقات** »[3] . وينبغي الانتباه هنا إلى المصطلحات المستعملة في هذه التعريفات ، حيث وجدنا أبا العباس محمد بن يزيد يستعمل مصطلح **الحركة** في التعريف الأول الذي أورده ، ولكنه استعمل في التعريف الثاني مصطلح **الحدوث** ، وهو ما فعله أيضا أبو عبد الله الطوال . وإذا التمسنا تعريف الفعل عند أبي إسحاق الزجاج وجدناه يأخذ وجهة مقاربة لهذه الوجهة ، إذ عرف الفعل بأنه « صوت مقطع مفهوم دال على **معنى** في **زمان** ومكان مأخوذ من **حدث** »[4] . ولكن استعمال لفظي **معنى** و**حدث** هنا حَرِيٌّ بالنظر فيه مليا ، ذلك أننا نجد في تعريفات النحاة الذين جاءوا من بعد تباينا في استعمال هذين اللفظين ، إذ آثر بعضهم لفظ **المعنى** ، بينما اختار بعضهم الآخر لفظ **الحدث** ، ولكل منهما دلالته وأبعاده التي سنتوقف عندها لاحقا .

إن ابن السراج مثلا يذهب إلى أن الفعل ما دل على **معنى** وزمان ، مفرقا بينه وبين

---

[1] المصدر السابق . ص 22 .

[2] المصدر نفسه . ص 22 .

[3] المصدر نفسه . ص 22 .

[4] المصدر نفسه . ص 22 .

الاسم ، بكون هذا الأخير يدل على **معنى** فقط ، أي المسمى ، دون دلالة على الزمن [1] . ويتابعه ابن عصفور في استعمال هذا اللفظ ، فيقرر أن الفعل « لفظ يدل على **معنى** في نفسه ، ويتعرض ببنيته للزمان » [2] .

وفي الجهة المقابلة نجد الزجاجي مثلا يستعمل لفظ الحدث في تعريفه للفعل حين يقول : « الفعل على أوضاع النحويين ، ما دل على **حدث** ، وزمان ماض أو مستقبل . . . » [3] ، كما نجد ابن الأنباري الذي يرى أن الفعل هو كل لفظة دلت على **معنى** تحتها مقترن بزمان **محصل** [4] ، ويبدو أن هذا الاختيار لدى أي من الفريقين لم يكن واعيا ، أي أن أيا منهما لم ينتبه إلى الفرق الدقيق بين اللفظين ، بدليل أننا لا نظفر في بحوثهم بأدنى إشارة إلى هذا الجانب ، مع كونه جديرا بالتوقف عنده لما له من انعكاسات على النظرة إلى وظيفة الفعل ذاته . ومن آيات هذه الغفلة عن هذه الناحية أننا وجدنا الزمخشري في المفصل يعرف الفعل بأنه « ما دل على اقتران **حدث** بزمان » [5] ، ثم وجدنا بعد ذلك ابن يعيش ، وهو يشرح تعريفه هذا ، يذهب إلى أن الفعل « كلمة تدل على **معنى** في نفسها مقترن بزمان » [6] ، دون أن يشير أدنى إشارة إلى سبب عدوله عن لفظ الحدث إلى لفظ المعنى ، مع أنه ،

---

[1] ابن السراج : الأصول في النحو . { 1 / 38 } .

[2] علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور : المقرب . تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري . مطبعة العاني . بغداد . ط 1 . 1972 . ص 45 .

[3] أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . ص 52 .

[4] ابن الأنباري : أسرار العربية . ص 11 .

[5] أبو الوفاء محمود بن عمر جار الله الزمخشري : المفصل في العربية . دار الجيل . بيروت . د . ت . ص 243 .

[6] ابن يعيش : شرح المفصل . المجلد الثاني . الجزء السابع . ص 3 .

في معرض شرحه المستفيض لأقوال الزمخشري ، لم يترك كلمة أو عبارة إلا عقب عليها مصوبا أو معدلا ، مع التعليل لمسلكه . ومن ذلك أيضا أن ابن السيد البطليوسي ، وهو يستعرض آراء النحاة في تحديد الفعل ، أورد التعريفات التي تستعمل مصطلح حدث ، دون أن يعترض عليها في هذا الجانب بالخصوص ، مع أنه أشبعها تمحيصا وتدقيقا في الجوانب الأخرى ، ثم أعلن في نهاية المطاف أنه يرتضي تعريف أبي نصر الفارابي الذي أورده بنصه ، وهو : « الكلمة [1] لفظ دال على **معنى** مفرد ، يمكن أن يفهم بنفسه وحده ، ويدل ببنيته ، لا بالعرض ، على الزمان المحصل الذي فيه ذلك **المعنى** » [2] ، ثم قال : « وهذا قول صحيح لا اعتراض فيه لمعترض » [3]. وإذا كان للقدماء عذر في هذا الانصراف عن التنبه إلى هذا الجانب ، بحكم تأثرهم باصطلاحات المناطقة وتعريفاتهم فيما يبدو ، فإنه لا عذر للمحدثين من المشتغلين بالدرس النحو ي الذين لم يدققوا في استعمال هذين اللفظين . فالدكتور محمد مهدي المخزومي مثلا يستخدم لفظ **المعنى** حين يقول : « والفعل ما دل على معنى في نفسه ، مقترن بأحد الأزمنة » [4] ، ثم يذكر في معرض تعريفه للفعل الماضي بأنه « الذي يدل في أغلب استعمالاته على وقوع **الحدث** في الزمان الماضي » [5] .

إن تفحص ما تدل عليه كلمة معنى يبين لنا أن استعمالها في معرض تحديد الفعل غير

---

[1] الكلمة في مصطلح المناطقة هي الفعل ، كما نبه إلى ذلك ابن السيد البطليوسي نفسه في : إصلاح الخلل الواقع في الجمل . ص 24 .

[2] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجمل . ص 25 .

[3] المصدر نفسه . ص 25 .

[4] الدكتور : محمد مهدي المخزومي : في النحو العربي . قواعد وتطبيق . ص 19 .

[5] المصدر نفسه . ص 21 .

دقيق ، ذلك أن كل الكلمات لا تخلو من معنى ، فليس الفعل وحده مختصا بالدلالة على معنى ، إذ الاسم أيضا يدل على معنى ، وكذلك الحرف ، ولو متصلا بسواه . ومن ثم فاستعمال هذا اللفظ في تحديد ماهية الفعل لا يؤدي إلى تعريف الفعل تعريفا جامعا مانعا على حد تعبير المناطقة . وهذا بخلاف مصطلح **الحدث** الذي ينفرد الفعـــل بالدلالة عليه ، دون الاسم والحرف .

ومن الجدير بالذكر أن الأصوليين كانوا أكثر تنبها إلى هذا الجانب ، حيث إنهم حرصوا على استعمال لفظ الحدث أو ما في معناه ، فالآمدي مثلا يعرف الفعل بأنه « ما دل على **حدث** مقترن بزمان محصل » [1]، والغزالي يصف الأفعال بأنها « صيغ دالة على **أحداث** مشعرة بزمان » [2] ، والأسنوي شارح منهاج الأصول للبيضاوي يذهب إلى أن معنى « الفعل معنى واحد إجمالي يفهم من لفظ الفعل صالح لأن يحلل إلى الأجزاء بل هو معنى بسيط محض معد لأن يحصل صورا أخرى ، وبعد التحليل يصير **حدثا** وزمانا ونسبة » [3] ، ثم يخلص إلى القول « وتفصيله أن مجموع مادة الفعل وهيئته موضوع لمجموع **الحدث** ونسبته إلى شيء آخر لم يذكر بعد في زمان معين » [4] ؛ والنائني يعرفه بأنه « ما أنبأ عن **حركة**

---

[1] سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام . دار الكتب العلمية . بيروت . 1983 . 1 / 83 .

[2] أبو حامد الغزالي : المنخول من تعليقات الأصول . تحقيق محمد حسن هيتو . دار الفكر . دمشق . ط 2 . 1982 . ص 79 / 80 .

[3] جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي : نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي . تحقيق محمد بخيت المطيعي . عالم الكتب . القاهرة . د . ت . 2 / 42 .

[4] المصدر نفسه . 2 / 42 .

المسمى » ﷺ مستقيا ذلك من نص ذاع القول لدى النحاة بأن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد كتبه في رقعة دفعها إلى أبي الأسود الدؤلي ، وكان مما ورد فيها قوله : « الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبئ به ، والحرف ما جاء لمعنى » [1] .

الحركة والحدث في تعريفات الغربيين للفعل :

والتركيز على جانب الحركة أو الحدث ملحوظ في تعريفات الغربيين للفعل ، فنحن نجد المستشرق هنري فليش يتوقف عند دلالة استعمال النحاة العرب لكلمة فعل بالذات ، ويرى أن ذلك نابع من كونها تدل بذاتها على معنى العمل ، إذ يقول : من أجل تعريف الفعل ، استعمل النحاة العرب كلمة [فَعِلَ] . وهذا يدل في حد ذاته على العمل .

Pour designer le verbe , les grammariens arabes ont employé le mot ((فَعِلَ)) . Celui-ci signifie de lui-même ((action)) » [3].

غير أن تركيزهم على جانب الحركة أو الحدث لم يتجسد فحسب في تنبههم إلى ما ينطوي عليه استعمال العرب لهذا اللفظ من دلالات ، بل تجسد أيضا في تعريفهم هم أنفسهم للفعل عندهم ، فقد وجدنا مثلا كتاب التصريف الصادر عن مؤسسة لاروس الفرنسية يقول : إن الفعل ، في جملة ، يمكن أن يستعمل للتعبير عن حركة ، أو وضعية في حالة تطور ، أو

---

[1] الخوئي : أجود التقريرات (تقريرات بحث النائني) . مكتبة بوذر جمهري . طهران . 1 / 22 .

[2] ياقوت الحموي الرومي : معجم الأدباء ـ إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب . تحقيق إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط 1 . 1993 . 4 / 1467 .

3 **Henri Fleish : Traité de philologie arabe .Vol 2 : Pronoms , Morphologie Verbale , Particules . Dar El - Machreq Editeurs . Beyrouth . 1979 . p 201.**

أيضا ظهور عاطفة ، أو آلية ذهنية ، هذا ما يسمى دعوى ، بمعنى مسار . ويمكن أيضا أن يعبر عن حالة أو عاطفة مستمرين .

«Dans une phrase , le verbe peut servir à évoquer une action , une situation en cours d'évolution , ou encore l'apparition d'un sentiment , un mécanisme intellectuel : c'est ce qu'on appelle un procès , c'est-à-dire un processus . Il peut aussi évoquer un état ou un sentiments permanents . »[1]

أما المعجم الإنقليزي Oxford advanced learners dictionary of current English فيعرف الفعل بأنه « كلمة أو جملة تعبر عن عمل أو حدث أو حال .

VERB: WORD OR PHRASE INDICATING AN ACTION, AN EVENT, OR A STATE »[2]

والمعجم الإنقلبزي الآخر Dictionary of contemporary english يعرفه بأنه كلمة أو مجموعة كلمات تستعمل لنعت عمل أو تجربة ، أو حالة ، مثل : تعال ، وانظر ، وكن ، والبس ...

VERB : A WORD OR GROUP OF WORDS THAT IS USED TO DISCRIBE AN ACTION , EXPERIENCE , OR STATE . FOR EXEMPLE: COME, SEE , BE , PUT ON . [3]

وكذلك المعجم الفرنسي روبير الصغير Le petit Robert الذي يعرف الفعل بأنه «الكلمة التي تعبر عن عمل أو حالة أو تحول »

« **MOT QUI EXPRIME UNE ACTION , UN ÉTAT ,UN DEVENIR** ...» [4]، كما نجد

[1] **Larousse (livres de bord) : Conjugaison . p 16** .

[2] **Oxford Advanced Leaners Dictionary Of Current English . p 1416**.

[3] **Dictionary of contemporary English . P 1590 . Longman .**

في معجم المعجم التاريخي للغة الفرنسية Dictionnaire historique de la langue Française في معرض تعريف كلمة الفعل من الناحية الاصطلاحية النحوية والصرفية القول بأنه « مستعمل (. . .) للدلالة على كلمة تعبر عن عمل أو حالة أو تحول »

« VERBE EST EMPLOYÉ (....) POUR DÉSIGNER UN MOT QUI EXPRIME UNE ACTION , UN ÉTAT ,UN DEVENIR … » [2]

أما معجم لو ماكسيديكو Le Maxidico فقد تضمن تعريفا لكلمة الفعل قريبا من ذلك ، حيث جاء فيه : « الفعل هو الكلمة التي تعبر عن عمل ، أو حالة ، أو مسار »

« MOT QUI EXPRIME UNE ACTION , UN ÉTAT ,UN PROCESSUS …» [3]

ومهما يكن من أمر فقد اتضح لنا أنه إذا كان في الاسم ما ينطوي على دلالة على الحدثبشكل ما ، والمقصود بذلك المصدر والصفة ، فإن دلالة المصدر على الحدث دلالة مطابقة ، بمعنى أن الحدث هو كل معناه ، وليس ثمة من معنى أخر له سواه ، أما الصفة فهي تدل على موصوف بالحدث ، وليس على الحدث ذاته ، زذلك كله على النقيض من الفعل الذي يدل في رأي جل النحاة على الحدث دلالة تضمنية ، بمعنى أن الحدث ليس سوى جزء من معناه ، لكونه يدل إلى جانبه على الزمن الذي يقترن به . ومع ذلك فإننا نؤكد أن دلالة الفعل

---

[1] **Paul Robert :Petit Robert . Dictionnaire Alphabetique et Analogique . Le Robert . Paris . 1992 . P2077 .**

[2] **Alain Rey : Dictionnaire Historique de la Langue Francaise . p 201** .

[3] **Le Maxidico . P 1149 .**

على الحدث جزء أصيل فيه . أما الزمن فهو الشق الآخر منه ، الذي سنتولى تجليته في المبحث الثاني من هذا الفصل .

2 ـ زمن الفعل وجهته

إذا كانت الدلالة على الحدث هي الشطر الأول من ماهية الفعل ، فإن اقتران هذه الدلالة على الحدث بالزمن هي الشطر الثاني من تلك الماهية . وليس المرء محتاجا إلى كثير من الجهد ليستخلص أن النحاة ، منذ عهد مبكر ، قد توقفوا عند هذا الجانب ، وأولوه عناية كبيرة ، مهما قيل عن دقتهم وغائية بحوثهم في هذا الجانب .

صلة زمن الفعل بالزمن الفلسفي لدى النحاة :

لقد كان تعريف سيبويه للفعل على أنه « أمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنِيَتْ لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » [1] مؤشرا على هذا الاهتمام المبكر بالدلالة الزمنية للفعل . ومن الواضح أن استعماله لألفاظ يكون وكائن ، وهي من تعابير الكينونة الفلسفية ، يكشف عن المنطلقات التي استند إليها هذا التقسيم عنده وعند من جاء بعده أيضا . إن تصور أقسام الفعل ـ كما صرح بذلك ابن الأنباري من بعدُ ـ قائم على مطابقة واقع الزمن حيث قال : « إن قال قائل : لم كانت الأفعال ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ؟ قيل لأن الأزمنة ثلاثة ، ولما كانت ثلاثة وجب أن تكون الأفعال ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل » [2] وهذا ما سماه ابن يعيش لاحقا بحركات الفلك التي منها « حركة مضت ، ومنها حركة لم تأت بعد ، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية » [3]، فتقسيم

---

[1] ابن يعيش : شرح المفصل . المجلد الثاني . 4/7 .

[2] أبن الأنباري : أسرار العربية . ص 315 .

[3] سيبويه : الكتاب . { 1 / 12 } .

الفعل عنده قائم على مضاهاة حركات الفلك ، وهذا هو مفهوم الزمن الفلسفي ، لدى الفلاسفة القدماء الذين كانوا ينظرون إلى الزمن على أنه حركة الفلك ، وأنه مكون من دورات متعاقبة في الزمان المستمر [1] . ومن أجل ذلك توقف بعض النحاة مطولا عند هذا الجانب ، فوجدنا ابن السيد البطليوسي مثلا يحدثنا عن " الآن الفلسفي " وهو الذي « ينزل منزلة النقطة التي لا امتداد لها ، ويمثل على جهة التقريب من الأفهام بالحد الفاصل بين الظل والشمس » [2] . ومع أنه يقرر أن هذا الآن الفلسفي لا مدخل له في صناعة النحو » [3] فإنه لم يجد غضاضة في أن يكلف نفسه عناء عرض رأي الفلاسفة في هذا الصدد ، مبينا أنهم ينكرون وجود الزمان الحاضر لأنه إن نطق أحدنا باسمٍ ما مثلا فإن الزمن الذي ننطق فيه بالحرف الأول من ذلك الاسم لا يثبت حتى يعقبه الزمن الذي ننطق فيه بالحرف الثاني ، فيصبح ماضيا . وعرض بعد ذلك المثل الذي ساقوه تقريبا للمسألة من الأفهام ، حيث ذهبوا إلى أن السنة التي يعيش فيها المرء واقعة بين سنوات منقضية وأخرى آتية ، وان هذه السنة بدورها تتضمن الشهر الحالي الواقع بين شهور منصرمة وأخرى قادمة ، وكذلك يومنا الواقع في هذا الشهر ، إذ هو بدوره مسبوق بأيام انقضت ومتبوع بأخرى مستقبلة ، ويتجزأ اليوم بدوره إلى ساعات ، والساعات إلى أجزاء وهكذا ... وفي نهاية المطاف تكون اللحظة التي نحن فيها ليست إلا نقطة صغيرة جدا لا يمكن نعتها بالحاضر لأنها تنقضي قبل إتمام نعتها

---

[1] عبد الرحمن بدوي : الزمان الوجودي . دار الثقافة . بيروت . ط 3 . 1973 . ص 52 ، 53 .

[2] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل . ص 46 .

[3] المصدر نفسه . ص 46 .

بالحاضر [1] . وواضح أن نظرة الفلاسفة هذه كان لها سلطانها عليه ، حتى وإن صرح بأنها بمعزل عن النحو ، لا صلة لها به مطلقا كما تقدم . وآية ذلك أنه عند ملاحظته إغفال الزجاجي ، في كتاب الجمل ، ذكر الحال ضمن أزمنة الفعل وتسجيله أنه لولا إشارته إليه في كتابه الآخر إيضاح علل النحو لتوهم القارئ أنه من الفئة التي تنفي فعل الحال ، استطرد لعرض رأي منكري وجود فعل الحال وتوسع في مناقشتهم مشيرا في ثنايا ذلك إلى أن هذه « شبهة أول من أثارها قوم من الفلاسفة المتقدمين يسمون السوفسطائية ، وهم قوم يبطلون الحقائق ، ويوهمون أن الحق باطل وان الباطل حق » [2] ؛ وفي هذا دليل قاطع على أن الفلسفة التي رآها بمعزل عن النحو كانت حاضرة في ذهنه وهو يناقش موقف النحاة المنكرين لفعل الحال . وإذا كان البطليوسي قد استنكر موقف النافين لفعل الحال ، لدى تقسيم أزمنة الفعل العربي ، فإنه استند في مناقشتهم إلى أسس ذات طابع فلسفي جلي ، مستخدما أساليب علماء الكلام الذين ينطلقون من الحجج النقلية السماعية إلى الحجج المنطقية العقلية ، إذ احتج في معرض الحديث عما أسماه بالسماع ، بقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [3] ، مشيرا إلى أن عبارة ما بين أيدينا تعني الحاضر ، وما خلفنا تعني الماضي ، بينما تشير عبارة ما بينهما إلى الحاضر . واحتج كذلك بقول زهير بن أبي سلمى :

---

[1] المصدر السابق . ص 46 .

[2] المصدر نفسه . ص 18 .

[3] سورة : مريم ، الآية : 64 .

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ❁ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ [1]

ثم مضى إلى الرد على منكري الحال من الفلاسفة ، من طريق النظر ، على حد تعبيره ، فساق حجتين عدهما الأوضح من بين حجج كثيرة . وأولى الحجتين عمادُها سؤال من يذهب إلى إنكار الحال : أهو موجود أم لا ، فإن أقر بوجوده . وليس له إلا أن يفعل ذلك . سُئِل مجددا ، أهو موجود الآن في زمان ماض أم في زمان مستقبل ؟ فإن اختار أحدهما قامت عليه الحجة ، لأنه معدوم ، إذ كل من الماضي والمستقبل لا وجود له الآن ، ومن ثم فلا إمكان لمحادثته ما دام معدوما ، وإن أقر بأنه ليس في ماض ولا مستقبل « أثبت واسطة بينهما ، وتناقض » [2] . أما ثانية الحجتين فتكمن في كون الماضي والمستقبل في حد ذاتهما يستمدان وجودهما من الحاضر ، ويستندان إليه ، بمعنى أنهما لا يصحان إلا بالإضافة إلى شيء موجود لا يُنعت بالماضي ولا بالمستقبل ، أي أن الحاضر هو الذي يمكننا من نعت ما تقدمه بالماضي ، وما سيأتي بعده بالمستقبل ، « فإن لم يكن ثم زمن ثابت وموجود لم يصح أن يوجد ماض ولا مستقبل » [3]. وفضلا عن ذلك فالماضي من الأفعال هو الذي يتم الإخبار عنه في زمن لاحق لوجوده ، بخلاف المستقبل الذي يُتحدث عنه في زمن سابق لوجوده ، ومن ثم فالحال هو الزمان الذي يتم فيه الحديث عن كل من الماضي والمستقبل ، وزمان الإخبار عنه هو زمان وجوده ، وهو الذي يُسمى الآن عند النحاة ، غير أن هذا الآن على

---

[1] زهير بن أبي سلمى : الديوان . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . 1982 . ص 86 .

[2] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل . ص 20 .

[3] المصدر نفسه . ص 20 .

قدر كبير من الدقة ، وهو ـ حسبما يرى البطليوسي ، كما أسلفنا في موضع سابق ـ أشبه بنقطة صغيرة جدا ، لا غير .

ولعل كل ما تقدم يؤكد ما قررناه من كون النظرة الفلسفية هي التي كانت تتحكم في تصور البطليوسي لهذه المسألة ، كما هو الحال عند العديد من النحـــــاة أيضا . إنهم لم يفرقوا بين الزمان الفلسفي القائم على أساس حركات الفلك ، والمنقسم ، تبعا لذلك ، إلى ماض وحاضر ومستقبل ، وبين زمان نحوي يستند إلى أساس آخر قائم على التمييز بين دلالات أبنية الفعل وصيغه بالنظر إلى السياق . ولا بد لنا من أن نسارع هنا إلى التأكيد على أن ما أكدناه من أن تقسيمات النحاة القدماء لأزمنة الفعل متأتية من تأملهم في الزمن الفلكي وتأثرهم بالنظرة الفلسفية لا يعني صحة ما خلص إليه بعض المستشرقين من تأثر المسلمين بالفكر اليوناني في مسألة أزمنة الفعل ، إذ لو كان هؤلاء قد استقوا الفكرة الزمنية من اليونان لكانت تقسيماتهم للفعل مغايرة لما هي عليه ، من حيث الدقة في تحديد الزمن ، والتزام معيار محدد قائم على الدلالة الزمنية ، دون تداخل مع الشكل والمبنى ، كما هي عليه حال أزمنة الفعل اليوناني .

التقسيم الفلسفي للزمن ومشكلة المصطلح :

إن الذي يجدر التوقف عنده هنا أن انسياق النحاة القدماء وراء الأسس النظرية ذات الطابع الفلسفي والمفضي إلى اتخاذ أقسام الزمان الفلسفي أساسا لتقسيم الفعل ، بعيدا عن استقراء واقع الاستعمال النحوي الفعلي ، نجمت عنه مشكلات عدة لم يكن لهم قبل بحلها أو مواجهتها . لنتأمل تقسيم سيبويه أولا .

لقد نقلنا في موضع سابق قوله : « وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع ، فأما بناء ما مضى فَذَهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحَمُدَ . وأما بناء ما يكون ولم يقع فإنه قولك آمرا : اذهبْ واقْتُلْ واضْرِبْ ، ومخبرا : يَقْتُلُ ويَذْهَبُ ويَضْرِبُ ، ويُقْتَـــلُ ويُضْرَبُ ، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائنٌ إذَا أَخْبَرْتَ » [1] . وعند تأمل هذا القول يلفت نظرنا تقسيمه الأفعال ثلاثة أقسام : قسم بُني "لما مضى " ، وساق عليه أمثلة جاءت كلها بصيغة فَعَلَ ، أو فَعِلَ ، أو فَعُلَ ، وقسم بُني" لما يكون ولم يَقَعْ " ، وأَدْرج فيه صنفين : صنف على صيغة يَفْعَلُ ، وهو وارد في الجمل الخبرية (بمصطلح علم المعاني) وصنف على صيغة افْعَلْ الأمرية ، وهو وارد في الجمل الإنشائية ، وقسم ثالث لم يضرب عليه مثالا ومن ثم لم نعرف صيغته ، ولكننا نستنتج أن المقصود به صيغة يَفْعَلُ أيضا الدالة على "ما هو كائن ولم ينقطع " . ومن الواضح أن هذا التقسيم محاولة لربط كل صيغة بزمن محدد ، ومسعى لجعل ذلك التقسيم على مثال حركات الفلك ، ولكن ذلك شابه قدر من الاضطراب « فقد خص الفعل الماضي بالزمان الماضي ، أما الحاضر والمستقبل فقد اشترك فيهما الفعل المضارع وفعل الأمر ، فللدلالة على الحال يستعمل الفعل المضارع مخبرا به ، وللدلالة على الاستقبال يستعمل الفعل المضارع مخبرا به ، وفعل الأمر مأمورا به » [2] ؛ ومن الجلي أن التوفيق جانبه في ذلك لأن صيغة فَعَلَ لا تختص بـ" ما مضى " ، كما لا تختص صيغة " يَفْعَلُ " بما " يكون ولم يقع " ولا بـ "

---

[1] سيبويه : الكتاب . { 1 / 12 } .

[2] مهدي المخزومي : في النحو العربي . نقد وتوجيه . ص 113 .

ما هو كائن ولم ينقطع " كما يؤكده استقراء الاستعمال اللغوي ، خاصة إذا لقترنت بأي منها سوابق أو لواحق ، أو أوجب السياق لها دلالة مغايرة . أما صيغة افْعَلْ الأمرية التي أدرج دلالتها ضمن الصنف الذي يدل على ما " يكون ولم يقع " ، فإن دلالتها هذه ليست محل إجماع من النحاة ، بل إن قطاعا واسعا من المعاصرين يذهب إلى خلوها من أية دلالة زمنية ، بسبب سمتها الإنشائية ، كما سنوضحه بعد حين . ومن المفيد أن نشير أيضا إلى أن صيغة (افعَلْ) الأمرية ليست وحدها التي تجيء في الجملة الإنشائية ، فصيغة (فَعَلَ) يمكن أن تحمل الدلالة الإنشائية حين تجيء في سياق الدعاء نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ ﴾ [1]، وكذلك صيغة (يَفْعَلُ) هي أيضا حين تقترن بلام الأمر نحو قوله عز وجل ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ [2]، ولام الناهية كما في قوله سبحانه ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ ﴾ [3].

إن تعريف سيبويه هذا الذي انطوى على إشراك صيغة (افْعَلْ) الأمرية في الدلالة الزمنية مع بقية الصيغ قد صاغ المقولات الزمنية باستخدام جملة من المصطلحات غير متجانسة بسبب انتمائها « إلى محاور متباينة في توصيف الحدث : فالمُضِيّ موضعة زمنية للحدث ، والوقوع أو الكينونة توصيف للحصول والانقطاع أو عدمه مقترن بامتداد الحدث واستمراره في الزمن ، وهو توصيف للمدى الزمني للحدث وليس موضعة له بالنظر إلى لحظة التلفظ . وفي

---

[1] سورة : النور ، الآية : 9 .

[2] سورة : الطلاق ، الآية : 7 .

[3] سورة : المدثر ، الآية : 6 .

النص نجد التباس " يفْعَلُ " بين الدلالة على الحاضر والمستقبل . ونلاحظ غياب مصطلح المضارع الذي لن يدخل إلا في سياق استدلالي آخر مرتبط بمسألة المشابهة الشكلية والعاملية بين المقولات اللغوية » [1] . وإذا كان سيبويه بالفعل لم يستعمل في هذا النص مصطلح " المضارع " مستعيضا عنه بعبارتي " يكون ولم يَقَعْ " للحديث عن المستقبل ، وعبارة " ما هو كائن ولم ينقطع " للحديث عن الحال ، فإنه استخدمه في موضع لاحق لدى حديثه عما نعته بـ " مجاري أواخر الكلم من العربية " ، حيث قال : « والنصب في المضارع من الأفعال : لَنْ يَفْعَلَ ، والرفع : سَيَفْعَلُ ، والجزم : لَنْ يَفْعَلْ . وليس في الأفعال المضارعة جر ، كما أنه ليس في الأسماء جزم . » [2] . واستخدم ، في موضع آخر من كتابه ، للدلالة على المستقبل ، عبارة " ما يستقبل من الزمان " وذلك في قوله ، متحدثا عن الفعل : « ويتعدى إلى الزمان ، نحو قولك ذَهَبَ ؛لأنه بُني لما مضى منه وما لم يَمْضِ ، فإذا قال ذَهَبَ فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان ، وإذا قال سَيَذْهَبُ فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان ، ففيه بيان ما مضى وما لم يَمْضِ منه ، كما أن فيه استدلالا على وقوع الحدث » [3] .

ولقد سار النحاة على خطى سيبويه ، في محاولة ربط صيغ الفعل بحركات الفلك ، وفي التأثر بالنظر الفلسفي المفضي للتقسيم الثلاثي للفعل ، فأعطوا لهذه التقسيمات تسميات ،

---

[1] امحمد الملاخ : الزمن في اللغة العربية . بنياته التركيبية والدلالية . منشورات الاختلاف ـ الجزائر ، و الدار العربية للعلوم . ناشرون . بيروت . ط 1 . 2009 . ص 32 .

[2] سيبويه : الكتاب . 14/1 .

[3] المصدر نفسه . 35/1 .

وجعل البصريون منهم لصيغة (فَعَلَ) اسم الفعل الماضي ، ولصيغة (يَفْعَلُ) اسم المضارع ، ولصيغة (افْعَلْ) اسم الأمر ، بينما أنكَر الكوفيون عموما فعلية صيغة (افْعَلْ) وأحلوا محلها صيغة (فَاعِل) التي نعتوها بـ " الفعل الدائم " .ولكن هذه التسميات لم تقم على أساس واحد محدد ، كما هو ملاحظ . فإطلاق تسمية الفعل الماضي ، قائم على معيار زمني (وإن كانت الصيغة ، كما يبينه استقراء واقع الاستعمال اللغوي ، لا تقتصر على الدلالة على الماضي) بينما إطلاق تسمية المضارع على صيغة (يَفْعَلُ) منطلق من شكل الصيغة الذي يضارع الاسم في خصائص وجوانب عديدة ، واختلف منطلق تسمية صيغة (افْعَلْ) فكان المعنى ، لا الزمن ولا الشكل . [1] ولئن كان أساطين مدرسة البصرة مطبقين على استحدام مصطلحات الفعل الماضي والمضارع والأمر ، فإن نظراءهم في مدرسة الكوفة تباينوا بعض الشيء في تبني مصطلحات أخرى ، إذ وجدناهم يتحدثون عن " الحال " و " المستقبل " و " الدائم " فضلا عن الماضي الذي لا يخالفون فيه زملاءهم البصريين ، كما هو واضح في كل مؤلفاتهم . ومعظم النحاة ، بصريين أو كوفيين ، لا تخلو تقسيماتهم هذه من مسعى للربط بين بنية الفعل وزمانه . يقول ابن يعيش : « لما كانت الأفعال مساوقة للزمان ، والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده ، وتنعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان ، ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل ، وذلك من قِبَل أن الأزمنة حركات الفلك ، فمنها حركة مضت ، ومنها حركة لم تأت بعدُ ، ومنها حركة تفصل بين

[1] د . كمال رشيد : الزمن النحوي في اللغة العربية . عالم الثقافة للنشر والتوزيع . عمان . 2008 . ص 37 ، 38 .

الماضية والآتية ، كانت الأفعال كذلك ماض ومستقبل وحاضر »[1] . وفي هذا النص يبدو جليا الربط بين الزمن الفلكي وزمن الفعل مسوغا تقسيم أزمنة الأفعال بكون الأزمنة حركات الأفلاك التي تنقسم ثلاثة أقسام : حركة مضت ، وأخرى لم تأت ، وثالثة فاصلة بينهما . وهذا التسويغ هو ذاته الذي حكم نظرة النحاة في مجموعهم ، حتى من حاولوا منهم تجنب بناء تسمياتهم الأفعال على أساس الزمن ، كما سنوضح ذلك لاحقا .

ونظير هذا التقسيم نظفر به عند ابن السراج الذي عرف الفعل بأنه « ما دل على معنى وزمان ، وذلك الزمان إما ماض وإما حاضر وإما مستقبل »[2] ويتابعه الزجاجي مستعملا المصطلحات ذاتها تقريبا لولا إحلاله لفظ الحال محل الحاضر ، وهما بمعنى واحد تقريبا ، ولولا تفسيره الحال بالدائم ، وهو أمر فيه نظر ، ولا نسلِّم به . يقول الزجاجي : « الأفعال ثلاثة : فعل ماض وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم . فالماضي ما حسن فيه أمس ، (. . .) نحو قام وقعد وانطلق ، وما أشبه ذلك ، والمستقبل ما حسن فيه غدٌ ، (. . .) نحو قولك أقوم ويقوم وتقوم ونقوم وما أشبه ذلك ، وهو مرفوع أبدا لمضارعته لاسم الفاعل ، ووقوعه موقِعَهُ سواء حتى يدخل عليه ناصب أو جازم (. . .) . وأما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ ، كقولك زيد يقوم الآن ويقوم غدا ، وعبد الله يصلي الآن ويصلي غدا ، فإن أردتَ أن تخلصه للاستقبال دون الحال أدخلتَ عليه السين أو سوفَ ، فقلتَ : سوف يقوم . وسيقوم ،فيصير مستقبلا لا غير ، فافْهَمْ

---

[1] ابن يعيش: شرح المفصل . 4/7 .

[2] ابن السراج : الأصول في النحو . 41/1 .

تُصبْ إن شاء الله » [1] . وهكذا يتبين لنا أن الزجاجي يستعمل مصطلحات الماضي والمستقبل والحال ويتحدث عن المضارعة بوصفها علة رفعه ، كما يلاحظ عدم وجود فرق بين الحال والمستقبل من حيث اللفظ ، وتلك الملاحظة هي التي جعلته يُسْقِط في موضع من كتابه الآخر ذكر الحال فيقرر أن « الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا ، ماض ومستقبل ، فالمستقبل ما لم يقع بعدُ ، ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلى الوجود . والفعل الماضي ما تَقَضَّى ، وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك ، زمان وُجِدَ فيه ، وزمان خُبِّرَ فيه عنه . فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج إلى حيز المضي والانقطاع ، ولا هو في حيز المُنْتَظَر الذي لم يأت وقته ، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل ؛ ففعل الحال في الحقيقة مستقبل، لأنه يكون أولا أولا ، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضي . فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو قولك زيد يقوم الآن ، ويقوم غدا ، وعبد الله يركب الآن ، ويركب غدا . فإن أردتَ أن تخلصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف فقلتَ سيقوم زيد ، وسوف يركب عبد الله ، فيصير مستقبلا لاغير . » [2] . ومن الواضح أن إسقاط الحال هنا شكلي محض، لأنه أقر بوجوده من حيث المعنى ، بدليل اشتراطه في المستقبل اقترانه بإحدى الضميمتين : السين وسوف . هذا من جهة . ويؤكد ذلك ، أي إقرار الزجاجي بوجود فعل الحال من حيث المعنى من جهة أخرى أن الزجاجي في السياق ذاته تابع تفصيل المسألة فتحدث مطولا عن

---

[1] أبو القاسم الزجاجي : الجمل في النحو . تحقيق علي توفيق الحمد . مؤسسة الرسالة ودار الأمان . ط 1 . 1984 . ص 17 .

[2] أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . ص 86 .

عدم انفراد فعل الحال بلقظ مسنقل لا يشركه فيه غيره ليخلص إلى التأكيد على أنه « لما ضارع الفعل المستقبل للأسماء بوقوعه موقعها ، وبسائر وجوه المضارعة المشهورة التي تذكر في مواضعها مسطرة في كتبهم قوي فأُعرب ، وجُعل بلفظ واحد يقع بمعنيين حمْلاً له على شبه الأسماء ، كما أن من الأسماء ما يقع بلفظ واحد لمعان كثيرة (. . .) كذلك جعل الفعل المستقبل بلفظ واحد يقع لمعنيين ليكون ملحقا بالأسماء حين ضارعها ، والماضي لم يضارع الأسماء فتكون له قوتها ، فبقي على حاله » [1] . والتدقيق في المسألة يكشف أن سوء فهم رأي الزجاجي في هذا الشأن متولد من اجتزاء تلك الفقرة من سياقها ، وقراءتها على حدة ، وآية ذلك أن عنوان الباب الذي ورد فيه النص الأول الذي أوردناه والموهم بقوله بوجود فعلي الماضي والمستقبل فحسب ، هو : « باب عن فعل الحال وحقيقته » [2] ؛ كما أن القفرة التي سبقت النص السابق تومئ إلى رأي الزجاجي ، حيث قال : « إن قال قائل : قد ذكرت أن الأفعال عبارة عن حركات الفاعلين ، والحركة لا تبقى وقتين ، وأصحابكم البصريون يعيبون على الكوفيين القول بالفعل الدائم لهذه العلة نفسها إن الحركة لا تبقى زمانين ، وأنه محال قول من قال فعل دائم ، وقد جعلتم أنتم أيضا الأفعال ثلاثة أقسام فقلتم فعل ماض ، وفعل مستقبل ، وفعل في الحال . فأما الماضي والمستقبل فمعقولان . ولم ينفك فعل الحال من أن يكون في حيز الماضي أو الاستقبال ، وإلا رجعتم إلى ما أنكرتموه » [3] ، فالزجاجي إذن يسلك نفسه في عداد " أصحابه " البصريين الذين يجعلون " الأفعال ثلاثة أقسام فقلتم

---

[1] المصدر السابق . ص 87 ، 88 .

[2] المصدر نفسه . ص 86 .

[3] المصدر نفسه . ص 86 .

فعل ماض ، وفعل مستقبل ، وفعل في الحال " وينبري لدفع ما ووجهوا به من اعتراضات مبينا أن الأمر يتعلق باشتراك في اللفظ بين الحال والمستقبل وتمايز يحدده السياق والقرائن .ولعل هذه الإضاءة تؤكد أن الدكتور إبراهيم السامرائي قد جانب الدقة حين استخلص أن الزجاحي « قصر الفعل على المضي والاستقبال » [1] كما يتأكد بعده عن الصواب حين قال : « وكأن الزجاجي في " الإيضاح " غيره في " الجمل " » [2] .

إن من الواضح أن مسعى الربط بين الزمان الكوني وبين أزمنة الفعل هو الذي يقف وراء اصطناع مصطلحات الماضي والحاضر والمستقبل ، كما أن مصطلح المضارع الذي قد نجده مستعملا بالتوازي مع مصطلحي الحاضر والمستقبل ناجم عن النظر إلى شكل صيغة هذا الفعل . ولقد شاع هذا المصطلح في الاستعمال العام ، بخلاف مصطلحي الحاضر والمستقبل اللذين ظلا محصوريْن في بحوث المتخصصين . ومهما يكن من أمر فإن الأمر استقر لدى نحاة البصرة بوجه عام على أن الفعل ينقسم بحسب « أمثلته إلى ماض وأمر ومضارع » [3] ، بينما أقر الكوفيون قسمي الماضي والمضارع مستبعدين الأمر لأنه « مضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته ثم حُذفت وتبعتها حروف المضارعة » [4] ؛ على أنهم ، وإن ورد في ثنايا نصوصهم لفظ المضارع أو مشتقاته ، يؤثرون استعمال مصطلحي المستقبل والحال . وقد أحلوا محل الأمر ما نعتوه بـ " الدائم " . وقبل أن نتوقف عند مصطلحي الأمر والدائم نلتفت إلى

---

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل ، زمانه وأبنيته . ص 17 .

[2] المصدر نفسه . ص 17 .

[3] أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام : شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية تحقيق د . هادي نهر . 258/2 .

[4] المصدر نفسه . 258/2 ، 259 .

المضارع الذي روعي في تسميته شكله كما أسلفنا ، فقد سُمت بالمضارع لأنه « يضارع الاسم ، فيقع موقعه ، على حد ما قالوا ، فإنه يقع خبرا في نحو : زيد يقوم ، وحالا في نحو : جاء زيد يركض . على أن هذه المضارعة التي أشاروا إليها هي في الواقع أوسع وأعمق دلالة مما ذهبوا إليه .فإن هذا الفعل يتصرف في الدلالة الفعلية تصرف الاسم المعرب . فإنه يصلح بالقوة . كما يقول أهل الفلسفة . للدلالة على كل معاني الفعل وأزمنته ، فهو يقابل أو يساوي ما يسمى في اللغات الأوروبية (infinitive)ف " يكتب " تساوي قولهم في الإنكليزية (to write)وفي الفرنسية (écrire) في أنها تقبل الدلالة على الأزمنة المختلفة ، بما يسبقها من أدوات تخصصها للاستقبال ، كالسين وسوف ، أو تمحضها ، فتجعلها خالصة للاستقبال ، كأن ، ولن ، وكي ، أو تقلبها إلى معنى الماضي ، كلم ، ولما ، أو تجعلها بمعنى الطلب ، كلام الأمر ، ولا الناهية . من هذه الجهة دخل الإعراب إلى الفعل المضارع » [1] ، فهو يضارع الاسم من حيث كونه مثله تيخصص بعد شيوع ، حيث يكون الاسم نكرة مثلا يم تدخل عليه لام التعريف فتخصصه ، مثلما تتخصص صيغة " يَفْعَلُ " الدالة على الحال والمستقبل، حين تدخل عليها السين وسوف ، فتتمحض للدلالة على المستقبل فحسب . ومن وجوه مضارعة صيغة " يَفْعَلُ " للاسم دخول لام الابتداء على كل منهما ، فقد دخلت على صيغة " يَفْعَلُ " في قوله تعالى مثلا :﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [2] ، ودخلت على الاسم قي قوله

[1] أحمد عبد الستار الجواري : نحو الفعل . ص 33 ، 34 .

[2] سورة : النحل ، من الآية : 124 .

تعالى مثلا : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [1] . ومعلوم أن هذه اللام لا تدخل على الماضي والأمر . وأوجه مضارعة الفعل المضارع والاسم متعددة مبسوطة في كتب الأقدمين والمحدثين لا يتسع المجال لتفصيل القول فيها في هذا المقام .

الدائم لدى الكوفيين :

وأما الدائم الذي جعله الكوفيون قسيما للماضي والمضارع والذي يقصدون به بناء فاعل فإن دلالته على الديمومة بشكل مطلق مسألة غير مسلم بها ، حيث إن استقراء استعماله يثبت دلالته حينا على الماضي لدى استعماله مضافا ، ودلالته حينا آخر على المضارع حين استعماله عاملا . وثمة واقعة مشهورة جرت في مجلس هارون الرشيد أوردتها كتب النحو توضح ذلك . فقد نُقل عن الكسائي قوله : « اجتمعتُ وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول : ما النحو ؟ فقلتُ . وأردتُ أن أعلمه فضل النحو . : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتِلُ غُلامِكَ (بالإضافة) ، وقال له آخر : أما قاتِلٌ غُلامَكَ (بالتنوين) . أيهما كنتَ تأخذ به ؟ قال : آخذُهما جميعا . فقال له هارون الرشيد : أخطأتَ ، وكان له علم بالعربية . . . فاستحيى ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : " أنا قاتلُ غلامِك " بالإضافة ، لأنه فعل ماض ؛ فأما الذي قال : " أنا قاتلٌ غلامَك " بلا إضافة لا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعدُ ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [2] فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا . . . فكان أبو يوسف ، بعد ذلك ، يمدح العربية

---

[1] سورة : الرعد ، من الآية : 6 .

[2] سورة : الكهف ، الآية : 23 ، وجزء من الآية : 24 .

والنحو » [1] . وهذا يؤكد أن بناء " فاعل " عاملا أو غير عامل لا يحمل بالضرورة دلالة على الديمومة ، أي الاستمرار ، فهو يدل إما على الماضي ، حين إضافته نحو : هذا قاتِلُ زَيْدٍ ، وإما على المستقبل حين تنوينه ونصب ما بعده على المفعولية نحو : هذا قَاتِلٌ زَيْدًا ، وإما على الزمن المطلق حين لا يكون مضافا ، نحو : هذا الفاتلُ . وقد أشار إلى ذلك وأكده الفراء حين قال : « وقوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [2] ولو نوَّنت في " ذائقة " ونصبت الموت كان صوابا وأكثر ما تختار العرب التنوين والنصب في المستقبل . فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة » [3] . وفضلا عن ذلك فإن هذا الزمان في الحقيقة هو مدلول عملهما العارض لا مدلولهما بحسب الوضع ، كما يرى محقا الاستراباذي [4] . فالسياق هو الذي يحدد معنى الزمن في هذا البناء ، وليس حالة إفراده التي لا يكون فيها إلا صفة تخلو من معنى الزمن وقصاراها الدلالة على الموصوف بالحدث . وعلى الرغم من حديث بعض المشتغلين بالمباحث النحوية من القدماء عن دلالة بناء " فاعل " على الاستمرار في جميع الأزمنة ، كما هو حال أحمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة 994 هـ والذي وضع

---

[1] جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر . تحقيق إبراهيم محمد عبد الله . مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق . 1987 . 535/3 ، 536 .

[2] سورة : آل عمران ، من الآية : 185 ، وسورة الأنبياء ، من الآية : 35 ، وسورة العنكبوت ، من الآية : 57 .

[3] أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : معاني القرآن . تقديم محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي . عالم الكتب . بيروت .ط 3 . 1983 . 202/2 .

[4] رضي الدين الاستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب . تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية . بيروت . 1975 . 39/1 .

رسالة موسومة بهذا الاسم [1] ، فإن جل كتب النحاة القدماء تحفل بالنص على دلالة هذا البناء إما على الماضي وإما على الحال و إما على المستقبل ، وبعضها يفصل بين دلالته على كل منها ، وبين دلالته على الاستمرار ، وفي هذه الحالة يجعله قرينا للصفة مطلقا ، مثله مثل بناء " مفعول " . وهذا يتعلق ببناء " فاعل " المأخوذة من الفعل المتعدي . أما بناء فاعل " المأخوذ من الفعل اللازم ، فهو ، كما هو معلوم ، نظير دوما للصفة المشبهة ، من حيث الدلالة على اتصاف الفاعل بصفة ، تكون في بناء " فاعل " من اللازم ، في زمن محدد ، حين تجرده من أية قرينة تصرفه إلى غير ذلك ، وهو دال على التجدد ؛ وتكون في الصفة المشبهة للمعنى الدائم الملازم لصاحبها في كل الأزمنة ، وهي دالة على الثبات . إن جعل بناء " فاعل " أحد أقسام الفعل ، استنادا إلى دلالته الزمنية ، أمر غير دقيق ، لعدم إمكان التسليم بفعليته ، كما إن نعته بالدائم أمر غير ثابت لعدم الإقرار لدلالته دوما على الاستمرار ، إذا سلمنا بترادف معنى الديمومة والاستمرار .

زمان الأمر :

أما مسألة الأمر فهي أيضا جديرة بالتمحيص والتدقيق . ونعني بالأمر هاهنا ما يرد بصيغة " افعلْ " ، وليس الأمر الوارد بلفظ الخبر ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [2] . لقد جعل البصريون الأمر أحد أقسام الفعل الثلاثة : الماضي والمضارع والأمر ، بينما أسقطه الكوفيون ولم يجعلوه قسيما

---

[1] أحمد بن قاسم العبادي : رسالة في اسم الفاعل المراد به الاستمرار في جميع الأزمنة . تحقيق ودراسة محمد حسن عواد . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمّان . ط 1 . ص 71 وما بعدها .

[2] سورة : البقرة ، جزء من الآية : 233 .

للماضي والمضارع بوصفه مقتطعا من المضارع ، كما نبه إلى ذلك الأزهري حين نص على أن « الفعل جنس تحته ثلاثة أنواع عند جمهور البصريين ، ونوعان عند الكوفيين والأخفش ، بإسقاط الأمر بناء على أن أصله مضارع » [1] ؛ ومن ثم فهو لا يعدو أن يكون فعلا مضارعا مجزوما ، وقد أحلوا محله الدائم ، كما أسلفنا . والحق أن ربطه بالمضارع ليس مقصورا على الكوفيين الذين أسقطوه من تقسيمهم استنادا إلى كونه معربا مجزوما بلام محذوغة ، وهي لام الأمر ، حيث إن كلمة اذهب أصلها لِتذهبْ ، وحُذفت اللام تخفيفا ، وما حُذف للتخفيف فهو في حكم المتلفظ به ، فكان معربا مجزوما بذلك الحرف المقدر . وإذا كان الكوفيون أبرزوا كونه مأخوذا من المضارع ، بعد حذف لام الأمر منه تخفيفا ، فإن البصريين سلكوا طريقهم من مدخل آخر خين دهبوا إلى أنه « على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يخالف بصيغته إلا أن تُنزع الزائدة فنقول في : تَضَعُ ضَعْ ، وفي تُضَارِبُ ضَارِبْ وفي تُدَحْرِجُ دَحْرِجْ ونحوها مما أوله متحرك ، فإن سُكِّنَ زِدْتَ لئلا تبتدئ بالساكن همزة وصل فتقول في نضرب اضربْ ، وفي تنطلق انطلقْ . . .» [2] . وهكذا يتبين أن المدرستين تربطان بين الأمر وبين المضارع ، ولكن خلافا كبيرا اختدم بينهما في شأن دلالته الزمنية . ومن المعلوم أن الأمر في جوهره طلب . ولا أحد ينازع في هذه الحقيقة ، أي أنه صيغة إنشاء طلبي يُقصد به إلى طلب القيام بالفعل ، على حد تعبير عبد الستار الجواري [3] . وقد بلغ الأمر

---

[1] خالد عبد الله الأزهري : شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك . مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . د . ت . 44/1 .

[2] ابن يعيش : شرح المفصل . 7 / 58 .

[3] أحمد عبد الستار الجواري : نحو الفعل . ص 30 .

بابن هشام ، في العديد من كتبه ، إلى جعل الدلالة على الطلب إحدى العلامتين اللتين يعرف بهما الأمر . وقد ذكـر ، في شرح شذور الذهب مثلا : « وعلامة الأمر مجموع شيئين لا بد منهما ؛ أحدهما : أن يدل على الطلب ، والثاني : أن يقبل ياء المخاطبة » [1] . وهذه الدلالة على الطلب هي التي نقلته من الخبرية إلى الإنشائية بالمعنى البلاغي . وقد أثارت هذه الإنشائية جدلا كبيرا حول دلالته الزمنية بين منكرين لها ومقرين اختلفوا في تحديدها قديما وحديثا . ويمكن تبعا لذلك التمييز بين أربعة آراء في هذا الشأن :

1 . رأي يذهب إلى دلالة الأمر على الحال ، وقد « جزم به جماعة من الأصوليين تبعا لجمهور النحاة » [2] . ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن النحاة « جعلوا الأمر للزمن الحالي » [3] ، مؤكدا أنهم « لا يكادون يختلفون في تخصيص زمنه بالحال » [4] . ويبدو أن أولئك النحاة لا يتحدثون عن صيغة " افْعَلْ " مفردة ، وإنما في السياق ، كما يبدو من المثال الذي يسوقونه عادة ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [5] ، إذ أن لفظ الآن هو الذي حدد زمن الفعل ، كما يرى هؤلاء . وطبيعي تبعا لذلك أن لفظ " غدا " مثلا سيصرف دلالة الأمر إلى المستقبل ، في نظر هؤلاء . وبصرف النظر عن كون السياق والقرائن والضمائم لاصقة أومنفصلة ، سابقة أو لاحقة ، لها تأثيرات محدّدة لدلالة

---

[1] ابن هشام الأنصاري المصري : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب . ص 44 .

[2] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين . ص 154 .

[3] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط 3 . 1966 . ص 156 .

[4] المرجع نفسه . ص 160 .

[5] سيبويه : الكتاب . { 1 / 12 } .

الفعل في كل الأزمنة ، وأن دلالته المفردة المعبر عنها بالزمن الصرفي غير دلالته في السياق المعبر عنها بالزمن النحوي غالبا ، فإن مسألة تأثير هذه الألفاظ على فعل الأمر بالذات جديرة بالتمحيص والتدقيق .

2 . وتوجه آخر يربط دلالته بالمستقبل ، وبذور هذا التوجه تلمسها عند سيبويه الذي نعت صيغة الأمر بأنها « بناء ما يكون ولم يقع » [1] ، وقد علق عليه ابن السيد البطليوسي منبها إلى أن سيبويه قد جعل المستقبل كما ترى نوعين ، نوع خالص للاستقبال لا شركة فيه للحال ، وهو صيغة الأمر ، ونوع مشترك بين الاستقبال والحال ؛ وهو الذي يراد به الإخبار » [2] ؛ ثم كان تصريح السيوطي قاطعا في هذا الشأن حيث قال : « والأمر مستقبل أبدا ، لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل ، نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [3] » [4] وعززه الأشموني حين تحدث عن اختصاص كل زمن بصيغة ليخلص إلى قوله : « وللمستقبل صيغة فعل الأمر » [5] . وقد مال إلى هذا الرأي الدكتور إبراهيم أنيس الذي اعترض على ما نقله من عدم اختلاف النحاة القدماء في اختصاص زمن الأمر بالحال مؤكدا أنه « لا (يستطيع) أن (يتصور) ، اختصاصه بمثل هذا الزمن ، وإنما (نلمح) فيه غالبا المستقبل القريب أو البعيد . ففي قوله تعالى يأمر موسى وأخاه : ﴿ ٱذۡهَبَ أَنتَ

---

[1] سورة : البقرة ، جزء من الآية : 187 .

[2] البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي . ص 52 .

[3] سورة : الأحزاب ، جزء من الآية : 1 .

[4] السيوطي : همع الهوامع . { 1 / 16 } .

[5] محمد بن علي الصبان : حاشية الصبان هلى شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعيني . دار الفكر . بيروت . د . ت . 1 / 59 .

وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ لا (نستطيع) أن نتصور أن حدث الذهاب إلى فرعون قد تم في زمن التكلم كما يقول النحاة » [1] . وواضح أن الحديث عن دلالة الأمر على المستقبل لدى عؤلاء النحاة مقصود به صيغة الأمر منفردا ، وليس في السياق ، ذلك أنه قد « ينصرف الاستقبال إلى معان متعددة في الحالة عن طريق معاتي الأساليب » [2] .

3 . والتوجه الثالث يجعل الأمر قابلا للدلالة على الحاضر تارة وعلى المستقبل تارة أخرى ، طبقا لما يقتضيه السياق . ومن الواضح أن هذا التوجه ، وهو السائد عند جمع من البصريين ، خلص إلى قوله باشتراك الأمر « بين الحال والاستقبال تعليلا بكونه مأخوذا من المضارع الذي هو مشترك بين الحال والاستقبال » [3] . وقد تبنى هذا الرأي ودافع عنه الدكتور تمام حسان حين قال « نسب النحاة المضي إلى صيغة " فَعَلَ " وقبيلها ،ونسبوا الحال أو الاستقبال دائما إلى صيغتي " يفعل " و " افعلْ " وقبيلهما » [4] ثم أضاف « فالحال أو الاستقبال هما معنى الأمر بالصيغة » [5] . ولا شك في أن جعل الحال أو المستقبل معنى للأمر بالصيغة فيه نظر ، ذلك أننا حتى لو سلمنا بإمكان دلالة الأمر على أحد الزمنين في كل

---

[1] سورة : طه ، الآيتان : 42 ، 43 .

[2] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . ص 160 .

[3] محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ عبده غريب . القاهرة . 1998 . ص 134 .

[4] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين . ص 154 .

[5] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1979 . ص 243 .

[6] المرجع نفسه . ص 250 ـ 251 .

مرة فإن الصيغة ذاتها لا يمكنها أن تعيّن الأمر للحال تارة وللمستقبل تارة أخرى ، بل يتأتى ذلك من السياق ، وهو ما ينعته الدارسون بالزمن النحوي ، كما سبق القول . وذلك يصدق على صيغة يفعل أيضا ، ذلك أن « كلاًّ من صيغة المضارع وصيغة الأمر ـ وبأصل وضعهما في حالة الإفراد ، وحسب ما ذكر النحاة ـ مؤهلة لدلالة على على زمنين هما الحال أو الاستقبال ، ولا تستقر الصيغة على واحد منهما إلا في السياق » [1] .

والجدير بالذكر ، بعد ذلك كله ، أن ثمة اتجاها حديثا ينكر وجود أي دلالة زمنية لفعل الأمر . ولكن بذور هذا الاتجاه يمكن أن تُلتمس لدى عدد من النحاة القدماء ، فقد وجدنا على سبيل المثال ابن السراج يعرف الفعل ابتداءً بأنه « ما كان خبرا ولا يجوز أن يُخبر عنه ، وما أمرت به » [2] ، وهو من ثم يدرج الأمر في نطاق الفعل ، لكنه ، في موضع آخر حين يتحدث عن أقسام الفعل يجعلها ثلاثة هي الماضي والحاضر والمستقبل مشيرا إلى أن صيغة الماضي هي فَعَلَ ، نحو : ضَرَبَ ، والحاضر يَفْعل نحو : يأكل وكل ما فيه الزوائد الأربع ، وأما صيغة المستقبل فهي صيغة الحاضر نفسها ، بشرط أن تكون مسبوقة بالسين أو سوف [3] ، دون أن يشير من قريب ولا من بعيد إلى الأمر ، مما يستشف منه إخراجه من هذه التقسيمات لعدم عدّه ذا دلالة زمنية . وإلى جانب هؤلاء النحاة الذين لجوا إلى خلو فعل الأمر تماما من أي دلالة على الزمن ، وجدنا جمعا كلبرا من محققي متأخري المشتغلين بأصول الفقه الإسلامي ، ولا سيما الشيعة الجعفرية منهم ، يذهبون إلى « منع دلالته على

---

[1] كمال رشيد : الزمن النحوي في اللغة العربية ، ص 42 .

[2] أبو بكر بن السراج : الموجز في النحو ، ص 27 .

[3] المصدر نفسه ، ص 27 .

زمان حالا واستقبالا » [1] . ولعل تأثيرهم هو الذي تجلى في مؤلفات عدد من مؤلفات أولئك النحاة المحدثين الذي أصلوا لهذه الفكرة ونافحوا عنها ، ذلك أن جلهم سبق أن تلقى تعليمه الشرعي في الحوزات لبعلمية الشيعية التي شاع فيها هذا الضرب من البحث الأصولي ، كما هو حال الدكتور مهدي المخزومي مثلا . ولعل رائد المنظرين لهذه الفكرة هو الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، الذي نعت الأمر بأنه صيغة « إنشاء طلبي يقصد به إلى طلب القيام بالفعل » [2] ، ثم خلص إلى القول بأن فعل الأمر « بالبداهة خال من معنى الزمن ، لأنه ليس بخبر ، وإنما يكون معنى الزمن في الخبر » [3] ويشرح رأيه باستفاضه حين يضيف : أما قول القائل " احضر يا زيد " ، فهو ليس إلا طلب حضوره ، وهو حدث لم يقع ، ولا يُعرف إن كان متوقع الوقوع ، حتى يُحكم له بزمن معين ، أو بعبارة أخرى إنشاء ، والإنشاء لا يقترن معناه بمعنى الزمن . وتساوقا مع القاعدة التي أرساها والمقررة عدم اقتران معنى الإنشاء بمعنى الزمن ، عمم الحكم على المضارع المقترن بلام الأمر ممثلا بقوله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [4] . أوالمفترن بـ لا الناهية مستشهدا بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ [5] . بل إنه يمضي إلى أبعد من ذلك فيجعل الماضي الذي يخرج إلى الدعاء هو بدوره دالا على الإنشاء ، ومن ثم خلوا من أي دلالة زمنية ، موردا قوله تعالى :

---

[1] مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين ، ص 42 .

[2] ، أحمد عبد الستار الجواري : محو الفعل . ص 30 .

[3] المرجع نفسه ، ص 30 .

[4] سورة : الطلاق ، الآية : 7 .

[5] سورة : المدثر ، الآية : 6 .

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ ﴾ [1]. مثالا على ذلك . ولئن صح كون الدعاء إنشاء ، فإن ذلك لا يصدق على كل ماض وارد بمعنى الدعاء ، فقولنا مثلا عن شخص رحمه الله ، ليس إلا مجرد دعاء قابل لأن يستجيب الله له فيتحقق الدعاء أو لا يستجيب الله له فلا يتحقق ، وكونه إنشاءً لا خبرا مسألة لا غبار عليها ، على خلاف هذا المثال الذي أورده وهو لا يعضد دعواه ، فالدعاء بغضب الله على الملاعِنة متحقق لا محالة بشرط صدق الملاعِن ، وهو بهذه الدلالة ليس خلوا من الدلالة على الزمن ، بل على العكس فدلالته على المستقبل واضحة صريحة . ومهما يكن من أمر فإن الجواري يحرص ، في موضع آخر ، على التفرقة بين فعل الأمر بصيغة " افعَلْ " وبين الأمر باللام الداخلة على الفعل المضارع ، فالأول ، أقوى وأشد ، بينما الآخر فيه شيء من اللين والتلطف يكاد يقربه من الرجاء والالتماس وبذل النصيحة . وعندما يتحدث عن بناء فعل الأمر ويعلل ذلك بكونه « أبعد صيغ الأفعال عن موجب الإعراب وأقربها إلى معنى الحرف ، وأحقها بالبناء ، لأنه يؤدي معنى ، والمعاني حقها أن تؤدى بالحرف » [2] ، يعود ليؤكد أن فعل الأمر « خال من معنى الزمن ، مجرد لمعنى الطلب ، فهو يشتمل على معنى الحدث مقترنا بالطلب » [3] ، مقررا أنه لا يعير اهتماما لما يذهب إليه النحاة من دلالته على المستقبل لأن الفعل الدال على الخبر هو وحده الذي يدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، وليس ذاك للأمر الذي ليس فيه أثارة من معنى الزمن لكونه طلبا محضا ؛ فنحن عندما نقول لمخاطب ادخل نكون قد

---

[1] سورة : النور ، الآية : 9 .

[2] أحمد عبد الستار الجواري : نحو الفعل . ص 59 .

[3] المرجع نفسه ، ص 59 .

طلبنا منه فعل الدخول ، أي طلبنا منه القيام بفعل فحسب ، وقد لا يقوم به ، وعندئذ لا مجال للحديث عن زمن على الإطلاق ، وقد يستجيب لطلبنا فيقوم بالخروج ، وهو فعل مستقل عن فعل الطلب . « فالفعل الذي دل على معنى الاستقبال عو الفعل الذي أجيب به الطلب ، لا فعل الطلب نفسه » [1] .

ومن الذين شاركوا الجوّاري هذا الرأي الدكتور مهدي المخزومي الذي ذهب إلى حد التشكيك في فعلية فعل الأمر ؛ فبعد أن أبدى تأييده لما ذهب إليه الكوفيون من عدم النظر إلى فعل الأمر على أنه قسيم للفعل الماضي والمضارع مسجلا مع ذلك عدم تحمسه لتخريجات الكوفيين في طريقة اقتطاعه من الفعل المضارع ، خلص إلى تقرير أن « أكبر الظن أن بناء " افْعَلْ " ليس بفعل ، كما يُفهم من هذه الكلمة ، لأن الفعل يتميز بشيئين : أولهما : أنه مقترن بالدلالة على الزمان ، وثانيهما ، أنه يبنى عليه المسند ، ويحمل عليه . وبناء " افْعَلْ "خلو من هاتين الميزتين ، فلا دلالة له على الزمان بصيغته ، ولا إسناد فيه » [2] . وفي معرض شرحه لمسألة خلوه من الزمن يرجع ذلك إلى كون « المدلول عليه بالفعل هو الزمن الذي يتلبس فيه الفاعل بالفعل ، ولا دلالة له على شيء من هذا . إن الذي يدل عليه هو طلب الفعل فحسب ، فليس هنلك من فعل ، ولا زمان يتلبس فيه الفاعل بالفعل » [3] . ويدلل بعد ذلك على عدم إسناده بكون إسناده مقتصرا على ألف الإثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة أو نون النسوة ، أو الضمير المستتر في " افْعَلْ " المقدر بأنت كما يزعمون ،

---

[1] المرجع السابق ، ص 59 ـ 60 .

[2] مهدي المخزومي : في النحو العربي . نقد وتوجيه ، ص 170 .

[3] المرجع نفسه ، ص 170 .

على حد تعبيره ، فضلا عن كون هذه مجرد كنايات تشير إلى جنس المخاطب أو عدده ، وليست أسماء أو ضمائر يتم الإسناد إليها ، ومن المسلم به فضلا عن ذلك أنه لا إسناد فيه إلى ضمائر المتكلم أو الغائب ، مفردة أو جمعا .

وإذا كان المخزومي ، وهو يؤصل لفكرة خلو فعل الأمر من أبة دلالة على الزمن ، قد أيد الكوفيين في عدم جعله فسيما للملضي والمضارع ، بل ذهب إلى حد التشكيك في فعلية فعل الأمر كما أسلفنا ، فإن الدكتور لم يكن قاطعا في مشاطرته رأيه في ما يتعلق بتأييد الكوفيين في هذا الشأن ،كما لم يصل به الأمر إلى نفي دلالته على الزمن مطلقا ، بل قصارى ما قرره هو عدم وضوح دلالته الزمنية ، وفضلا عن ذلك فقد تجنب الصرامة في إصدار الحكم بإنكار فعليته ، كما يستشف من استعماله لفظ فعل الأمر ونعته بأنه حدث كسائر الأفعال ، حيث قال : « ويبدو لنا أن الكوفيين على حق في إبعاد الأمر أن يكون قسيما للماضي والمستقبل ، وذلك أن فعل الأمر طلب ، وهو حدث كسائر الأفعال ، غير أن دلالته الزمنية غير واضحة ، ذلك أن الحدث في هذا " الطلب " غير واقع إلا بعد زمان التكلم ، وربما لم يترتب على هذا الطلب أن يقع حدث من الأحداث » [1] . ومهما يكن من أمر ، فإن الذي لا مراء فيه أن زمان فعل الأمر ليس متعلقا بالفعل ذاته ، لأنه « يدخل ضمن ما يصطلح عليه في الأدبيات التداولية بأفعال الكلام ، ودلالته الزمنية مستلزمة بواسطة قواعد الاستلزام الجواري من جهة » [2] ، أي لا يستمدها من بنيته ، بل تتأتى من السياق

---

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل ـ زمانه وأبنيته ، مؤسسة الرسالة . بيروت . ط 2 . 1980 . ص 19 .

[2] امحمد الملاخ ، الزمن في اللغة العربية . بنياته التركيبية والدلالية . ص 36 .

، أي الزمن النحوي ، إذا سلمنا برأي من يراه ذا زمن ما ، ويقيمون علاقة بين الأمر والأثر الذي يخلفه في المخاطب المأمور . ، أما القائلون بلا زمنيته ، فمشكلته عندهم متولدة من إنشائيته التي تجعله محتمل الوقوع أو غير محتمله ، وهم تبعا لذلك يرون أن الأثر الذي يخلفه الأمر في المخاطب المأمور ، لا يعبر عنه الفعل سواء بصيغته أم بمعناه [4].

الجهة :

يستعمل عدد من اللغويين المعاصرين مصطلح الجهة على أنه ترجمة لمصطلح L'aspect الفرنسي و نظيره الإنقليزي The aspect وهما يردان في معرض الحديث عن التحديد الدقيق لحالة الحدث من حيث المدة وكيفية الحصول . والحق أن ثمة باحثين يقترحون ترجمات أخرى للفظ aspect ، كما هو حال الباحث المغربي بوجمعة هباز الذي يستخدم لفظ " الرئيان " [1] ، وكما هو حال عبد الرحمن الريحاني الذي يرتضي لفظ " المظهر " ترجمةً له [2] ، وكما هو حال محمد خليفة الأسود الذي يؤثر مصطلح " الحدثية" [3] على حين استعمل مصطفى النحاس لفظ الجهة للدلالة على الزمن وجعل كلمة الهيئة هي الترجمة المناسبة لكلمة aspect [5] ولجأ آخرون إلى كتابة لفظ aspect كما هو

---

[1] عبد المجيد جحفة ، دلالة الزمن في العربية . دراسة النسق الزمني للأفعال . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء . طبعة 1 . 2006 . ص 52 .

[2] ينظر " وكان الله عليما حكيما " ـ دراسة لغوية تحليلية لفعل الكينونة , بحث للدكتور السعيد هادف منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية الصادرة عن جامعة باتنة . العدد 3 . جوان 1995 . ص 55 ،

[3] محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . ص 244 .

[4] محمد خليفة الأسود : دلالة صيغة الفعل وبنيته . مجلة اللسان العربي . العدد 32 . 1989 . ص 31 .

[5] مصطفى النحاس : من قضايا اللغة . جامعة الكويت . الكويت . ط 1 . 1995 . ص 43 .

بالحروف العربية وبنطق إنقليزي أي أسبكت ڠ . ومهما يكن من أمر ، فإن المقصود بلفظ الجهة هو ـ حسب تعبير تمام حسان ـ « تخـصيص لدلالة الفعل أو نحوه ، إمـا من حيث الزمن ، وإما من حيث الحدث » ۞ ، أو هو ـ كما عرفه رمزي منير البعلبكي « حالة الحدث كما تعبر عنها صيغة الفعل من حيث مدته وكيفية حصوله » [3] ، أو كما عرفه برنارد كومري « الطرق المختلفة للنظر إلى التكوين الزمني الداخلي لوضع معين » [4] ؛ وقريب من هذا المفهوم ما يصطلح عليه اللسانيون الألمان بـ ، ويعنون به " طبيعة الفعل " أو " طبيعة الحدث " « حالة الحدث كما تعبر عنها صيغة الفعل من حيث مدته وكيفية حصوله » [5]. وقد عرف المستشرق هنري فليش الجهة بأنها « طريقة لتقدير المدة : عمل في استمراريته ، أو فقط نقطة في تطوره ، أو نقطة في بدايته ، أو نقطة في نهايته ، أو هو عمل فُعِل مرة واحدة أو كُرِّر ، أو فعل له نهاية ونتيجة ، أو بكل بساطة عمل مُنجـــز أو عمل غير مُنْجَز ، إلخ . . .

L'aspect est une manière de considerer la duree : action dans sa continuite ou a un point seulement de son developpement , au point

---

[1] السعيد هادف : " وكان الله عليما حكيما " ـ دراسة لغوية تحليلية لفعل الكينونة . ص 55 ،

[2] تمام حسان : اللغة العربية ـ معناها ومبناها . ص 257 .

3 **Ramzi Munir Ba'alabki : Dictionary of linguistic terms . English – Arabic . Beyrouth . Dar El – Ilm Lilmalayin . 1990 . p 58 .**

والترجمة إلى العربية للأستاذ الحاج موسى الثالث في رسالته الموسومة بـ " مفهوم الجهة في اللسانيـــات الحديثة ـ دراسة نظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة " والمقدمة لنيل شهادة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها ـ جامعة الملك سعود , المملكة العربية السعودية . ص 3 .

4 **Bernard Komrie : Aspect : An Introduction to the study of verbal aspect and related problems . Cambridge : Cambridge university press . 1976 . p 3 .**

والترجمة إلى العربية للأستاذ الحاج موسى الثالث في المرجع المذكور في الهامش السابق . ص 3 .

5 الحاج موسى الثالث : المرجع نفسه . ص 3 .

initial ou au point final , action faite seulement une fois ou bien repetee , action ayant un terme et un resultat ou bien simplement : action accomplie ou action inaccomplie , etc… » [1].

إن الجهة إذن هي التي تشرح موقفا معينا في الحدث الفعلي وتعطي زمنه تحديدا أكثر ، وتتولد هذه الجهات المقيدة لمعنى الزمن في اللغة العربية والمحددة لدلالة الفعل من حيث الزمن من مؤثرات شتى تجيء في شكل سوابق ولواحق ، لاصقة أو منفصلة ، أو يبرزها السياق .ويمكن حصر تلك المؤثرات في المباني الدالة على الجهات الزمنية ، وهي في عمومها قد ولم ولما ولن ولا وما والسين وسوف وكان وما زال وظل وكاد وطفق « وفوق كل ذلك تلعب الظروف الزمانية دورها الهام جدا في هذا المجال بتخصيص الزمن النحوي بواسطة الدلالة على توقيت الحدث الواحد الذي يدل عليه الفعل ونحوه في الجملة ، أو بواسطة الدلالة على الاقتران الزمني بين حدثين مدلول عليهما بعنصرين مختلفين في الجملة » [2] على حد تعبير الدكتور تمام حسان . أما المباني الدالة على جهات فهم معنى الحدث فهي . عنده . الهمزة والتضعيف ، وتكرار المبنى ، وتاء الفاعل ، والسين والتاء ، ونون الانفعال ، وتاء الافتعال ، وتاء التفعل ، وتاء الافتعال عن جهات التعدية وتكرار الحدث والمشاركة والطلب والمطاوعة والاتخاذ والتكلف والتبادل[3] . وثمة أيضا جهات في فهم معنى علاقة الإسناد في التركيب ، أي أنها ليست مسلطة على أي من الزمن أو الحدث لتقييده ، بل تتوجه إلى

---

1 **Henri Fleish : Traité de philologie arabe .Vol 2 : Pronoms , Morphologie Verbale , Particules . Dar El - Machreq Editeurs . Beyrouth . 1979 . p 175 .**

[2] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها . ص 257 .

[3] المرجع نفسه . ص 257 .

الإسناد لتقييده ، والتعبير عنها يتم عن طريق ظروف المكان والمنصوبات كالحال والمفعول معه والمفعول به والمفعول فيه والمفعول لأجله وكذلك حروف الجر وأدوات أخرى غيرها فصل القول فيها الدكتور حسان تمام .ةعكذا يتبين أن الجهات أنواع ثلاث : جهات في فهم معنى الزمن وجهات في فهم معنى الحدث وجهات في فهم معنى علاقة التركيب في الإسناد ، والأولى هي التي تهمنا في بحثنا هذا على وجه الخصوص .

إن النحاة القدماء إذا كانوا قد اختلفوا في أقسام الفعل الثلاثة ، فجعلها البصريون : الماضي والمضارع والأمر ، وصيغها : فَعَلَ ، يَفْعَلُ ، افْعَلْ ، وصرف الكوفيون نظرهم عن القسم الثالث الأمر الذي لم يعدوه فعلا ، أو لا يحمل أية دلالة زمنية ، وأحلوا محله الدائم وصيغته فَاعِل ، فإنهم في مجموعهم يقرون بأن الأزمنة ثلاثة : الماضي والحال والمستقبل مساوقين للزمن الفلسفي ، باستثناء فئة محدودة أنكرت إمكان وجود الحال استنادا إلى تأويل فلسفي كما أسلفنا . ولكن المحدثين حرصوا على تحديد كل زمن من هذه الثلاثة ، بقدر كبير من الدقة . وهكذا وجدنا إبراهيم أنس يحدثنا ، متأثرا في هذا أيضا بالتفكير الفلسفي ، عن سبعة أزمنة هي : قبل الماضي ، الماضـي ، بعد الماضي ، الحاضر ، قبل المستقبل ، المستقبل ، بعد المستقبل [1]. ومضى الدكتور تمام حسان أبعد ذلك حين جـعل أزمنة اللغة العربية الثلاثة « تتفرع عند اعتبار الجهـة إلى ستة عشر زمنا نحويا » [2] وكل طائفة منها ماقرعة من زمن ، فالماضي تتفرع عنه تسعة أزمنة هي :

---

[1] إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . ص 152 .

[2] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها .. ص 243 .

1 . البعيد المنقطع : كان فَعَلَ .

2 . القريب المنقطع : كَانَ قد فَعَلَ .

3 . المتجدد : كَانَ يَفْعَلُ .

4 . المُنْتَهِي بالحاضر : قَدْ فَعَلَ .

5 . المتصل بالحاضر : ما زال يفعل .

6 . المستمر : ظل يفعل .

7 . البسيط : فَعَلَ .

8 . المقارب : كاد يفعل ,

9 . الشروعي : طَفِق يفعل .

والحال تتفرع عنه ثلاثة هي :

10 . العادي : يفعلُ .

11 . التجددي: يفعلُ .

12 . الاستمراري : يفعل .

ومن الواضح أن صيغتها جميعها واحدة ، والذي يحدد جهتها هو السياق .أما أزمنة المستقبل فأربعة هي :

13 . البسيط : يفعل .

14 . القريب : سيفعل .

15 . البعيد : سوف يفعلُ .

16 . الاستمراري : سيظل يفعلُ . [1]

وقد تابعه في ذلك تلميذه الدكتور فاضل مصطفى الساقي [2] ؛ بينما تباينت مصطلحات باحثين آخرين في تسمية بعض الأزمنة ، والتفريق بين مدلولات بعضها الآخر ، هلى نحو ما نلقى لدى مصطفى النحاس [3] ومحمد عبد الرحمن الريحاني [4] على سبيل المثال .والجدير بالذكر أن التفريعات الزمنية التي ينعتها هؤلاء الدارسين منذ تمام حسان بـ " جهات الفعل " إن هي إلا محاكاة ومناظرة للتفريعات الزمنية الموجودة في عدد من اللغات الأوروبية ، فالفرنسية مثلا تتضمن ثماني صيغ تصريفية زمنية ترد في الجملة الخبرية ، هي :

Le present , Le passe simple , Le passe compose , Le passe anterieur , L'imparfait , Le plus que parfait , Le futur simple , Le futur anterieur .

ولكن اللغويين الأوروبية . فيما يبدو . لا يعدون التفريعات التي يتحدث عنها تمام حسان ومن جاء بعده إلا مجرد « صيغ تصريفية ، وليست جهة (aspect) ، على الأقل بمفهومها السائد عندهم حديثا » [5] . والحق أن ذلك الحكم غير دقيق ، فلكل لغة طرقها الخاصة ووسائلها المعينة للتعبير عن الجهة ، وهو مستمد جزئيا من نظامها الفعلي . وإذا كان يسبرسن يرى أنه يمكن التعبير عن الجهة ، في غير اللغات السلافية . التي لها خصوصيتها في

---

[1] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها . ص 245 .

[2] فاضل مصطفى الساقي : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة . مكتبة الخانجي , القاهرة , 1977 . ص 239 .

[3] مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية . ص 61 ، 62 .

[4] محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . ص 243 ، 244 .

[5] الحاج موسى الثالث : مفهوم الجهة في اللسانيات الحديثة ـ دراسة نظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة . ص 23 .

هذا المجال . عـن طريق واحدة من طرق أربعة :

1 . المعنى الأصلي للفعل .

2 . المعنى العرضي للفعل كما يحدده السياق أو الموقف .

3 . لاصقة اشتقاقية .

4 . الصيغة الزمنية [1] .

فإن ذلك ينطبق تماما على العربية ، ومن ذلك تولدت تلك التفريعات التي يتحدث عنها تمام حسان ومن سلك مسلكه من اللغويين المحدثين العرب ، وهي اجتهادات ربما أعوزتها الدقة في التسمية وربما تضاربت واضطربت اضطرابا جليا في تحديد المصطلح ، ولكنها ألقت أضواء جديدة على ما تحمله العربية من ثراء في مجال التعبير عن الزمن ، لم يتح له أن يُبرز ويُدرس بقدر مناسب من العمق ، وذلك ما وقف عليه عدد من النحاة العرب المحدثين مثل المخزومي والسامرائي وأضرابهما من الذين كانت لهم نظرات تجديدية في النحو العربي .

إن ما يسميه يسبرسن المعنى العرضي للفعل كما يحدده السياق أو الموقف هو بالضبط ما تحدث عنه عدد من النحاة القدماء وما وضعـه المحـدثون منه تحت

عنوان : الزمن النحوي ، كما مر بنا في موضع سابق من هذا الفصل .

التام وغير التام :

وإذ نتحدث عن الجهة لا يفوتنا أن نتوقف عند مصطلحين آخرين كثر دورانـهما عند

---

1 **Otto Jesperson : The philosophy of grammar . George Allen Unwin Ltd , 1924 . p 286 .**

المستشرقين المشتغلين بقضايا النحو والصرف العربيين هما : مصطلحا التام وغير التام ترجمة لمصطلحي L’inaccompli et accompli . والواقع أن هذه الترجمة في حد ذاتها تمثل مشكلا عويصا لا يقل عن المشكل الذي تطرحه كلمة الجهة . ولقد كان مقترح هذه الترجمة أول مرة ـ في حدود ما نعلم ـ المستشرق الأب هنري فليش اليسوعي في كتابه : " L’arabe classique – Esquisse d’une structure linguistique" الذي ترجمه إلى العربية الدكتور عبد الصبور شاهين تحت اسم " العربية الفصحى ـ نحو بناء لغوي جديد " ، وقد صدرت طبعته الأولى سنة 1966 . فلقد حدثنا المترجم في تقديمه للكتاب عن أن تعبير المؤلف عن مصطلحي الماضي والمضارع بلفظي L ’accompli et l’ inaccompli وإعراضه عن استعمال الكلمتين الشائعتين Le present , le passe مرجعه إلى الاتجاه الوظيفي الذي سلكه في وضع مصطلحاته ، ليؤكد أن كلمة accompli تفيد انتهاء الحديث ، على حين يشير مقـابلها inaccompli إلى عدم انتهائه ، مؤكدا أن « التصرف الأولي للترجمة أن ترد المفهوم إلى اصطلاحه الشائع في العربية ، فتعطي الأول كلمة " الماضي " والثاني كلمة " المضارع " ، ولكن المنهج الذي ترسّمه المؤلف منع من ذلك ، بل رفض رفضا قاطعا استعمال هذين اللقبين للفعل العربي » [1] ، ذلك أن أولهما (الماضي) مرتبط بالزمن ، أي أن له أساسا وظيفيا ، بينما تسمية ثانيهما (المضارع) مستمدة من جانب شكلي يتمثل في مضارعته أي مشابهته للاسم أو لاسم الفاعل ، وهذا أمـر يتصل بشكل الكلمة فلا علاقة له ، بطبيعة

[1] هنري فليش : العربية الفصحى ـ نحو بناء لغوي جديد . ص 20 ـ 21 .

الحال ، بالمدلول الوظيفي . « ومن حيث طرأ الخلل على النظام بهذا الاختلاط بين الأسس ، فلا مناص من وضع مصطلحين جديدين على أساس وظيفي واحد ، أي يعبران عن المدلول الزمني لكليهما ، واستقر الرأي بيني وبينهما على أنهما " التام وغير التام " » [1] . ولكن هذين المصطلحين ملتبسان ، فما يدل عليه التام ليس ما يدل عليه لفظ accompli بصفة دقيقة . فمعجمات اللغة تنبؤنا أن كلمة accompli تعني المنجز [2] ، وهو فعل متعد ، بينما كلمة تام هو مستمدة من فعل تم وهو فعل لازم يتحدث عن الفعل نفسه ، ولا يحمل إشارة إلى فاعله ، وقد يشير إلى الكمال . ويؤكد ذلك استعماله لدى بعض النحاة العرب المعاصرين مقابلا لكلمة parfait الفرنسية وكلمة perfect الإنقليزية . » [3] . فنعت فعل بأنه تام يعني ، حسب المنطوق اللغوي على الأقل ، انقضاءه وعدم استمراره ، زذلك لا ينطبق على صيغة فَعَلَ بمختلف أشكالها ، فشكل فَعِل الدال على الحالة المؤقتة مثل حَزِنَ و فَرِحَ ، وشكل فَعُل المستمرة الدائمة مثل ثَقُلَ و قَبُحَ و حَسُنَ ، يدلان على حالات مستمرة لم تنته في لحظة معينة [4]، لكي ينطبق عليها مفهوم التمام بحرفيته .وفضلا عن ذلك فإن مفهوم التام يختلط في النحو العربي باستعمال النحاة العرب هذا اللفظ لدى الحديث عن فعل الكينونة ، حين ينعتون كان بأنها ناقسة أو تامة ، على نحو ما هو معروف .

---

[1] المرجع السابق . ص 21 .

2 **Daniel Reig : As- sabil . Dictonnaire Arabe - Francais Français - Arabe. Collection Saturne . Librairie Larousse . Paris . 1983 . mot 5312 .**

[3] ينظر على سبيل المثال : محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . ص 275 .

4 **R . Blachere & M . Gaudefroy-Demombynes : Grammaire de l'arabe classique .G-P Maisonneuve & Larose , editeurs . Paris . 1975 . p 38 .**

ومن المعلوم أن مستعملي المصطلحين L’accompli et l’inaccompli يذهبون إلى أن المسار يُنعت بأنه L’accompli إذا كان قـد تم الوصـــول إلى منتهاه ، بخلاف نقـيضه l’ inaccompli الذي لم يبلــغ منتهاه . تقول الباحثة جانا مُغَيْزَل :

«Un proces est accompli si son terme est atteint , et non accompli si au contraire il n’a pas atteint son terme» [1] ,

ومهما يكن من أمر ، فإن المستشرق الأب هنري فليش الذي كان من رواد استعمال هذين المصطلحين وترجمتهما كما أسلفنا يقرر تبعا لرؤيته هذه أن تصريف العربية لا يعرف سوى زمنين قاصدا بذلك ما يشير إليه هذان اللفظان ، وقد ارتضاهما لدلالتهما الزمنية المحضة ، على خلاف مصطلحي الماضي والمضارع الملتبسين لارتباط دلالة أولهما على الزمن وارتباط الآخر بالجانب الشكلي المتمثل في مضارعته لاسم الفاعل حسب تعليل بعض النحاة القدماء ؛ ولكن فليش يناقض موقفه حين يذهب لاحقا إلى أن الفعل العربي « قائم ، لا على الزمن ، بل على الصورة أوالشكل »[2] .

وعلى خطى فليش سار الكاتبان ريجيس بلاشير و ج قودفروي دومومبين في كتابهما " نحو العربية الكلاسيكية " مستعملين هذين المصطلحين ومؤكدين في صدارة كلامهما عن عنهما « أن تصريف الفعل العربي فقير ، إذا قورن ، على سبيل المثال ، بنظيرتها في اللغات الهندو أوروبية . ومن المناسب ، ابتداءً ، التنبيه إلى أن مفهوم الزمن ليس له فيــها

---

[1] **Jana Moghaizel : L’expression du temps . traduction du verble en anglais et en arabe . Dar El – Machreq SARL . Beyrouth . 1993 . p 11 .**

[2] هنري فليش : العربية الفصحى ـ نحو بناء لغوي جديد . ص 137 .

(يقصد العربية) موقف قوي » [1].

إن هذا الذي رامه هؤلاء الذين تبنوا هذين المصطلحين ، بغض النظر عن مدى الدقة في ترجمة مصطلحيهما ، من تأكيد على الطابع الزمني لهما ، بغية استقصاء جهات مختلفة لكل من الزمنين ، لم يختلف صنبعهما عن صنيع نظرائهم العرب الذين انطلقوا من مفهوم الجهة إلى تفريعات الفعل العربي كما أومأنا من قبل ،وهو صنيع شابه هو أيضا اضطراب في تحديد عدد الأزمنة من جهة ، والتخبط في استعمال التسميات من جهة أخرى ؛ لذلك آثرت أن أضرب صفحا عن هذا التقسيم الثنائي ، محاولة أن أتخير تسميات مناسبة لكل صيغة مستعملة في جزء عم تعرض لي في الدراسة التطبيقية ‘ن شاء الله .

.

[1] **R . Blachere & M . Gaudefroy-Demombynes : Grammaire de l’arabe classique .G-P Maisonneuve & Larose , editeurs . Paris . 1975 . p 37**

الفصل الثاني :

الفعل الماضي

(صيغة فَعَلَ)

سـورة الـنبـأ :

اشتملت سورة النبأ على أربعين (40) فعلا ، منها ثلاث وعشرون (23) فعلا على صيغة " فَعَلَ " ومتفرعاتها (فَعَّلَ وأَفْعَلَ) التي قال عنها معظم النحاة القدماء والمحدثين إنها تدل على الماضي [1] ، وهذه الأفعال تمثل نسبة 57.50 % من مجموع أفعال السورة (40 فعلا) ، وهي جميعا مبنية للمعلوم ، إلا فعلين هما : وَفُتِّحَتْ في قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] ، و وَسُيِّرَتْ في قوله عز وجل : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] ، وقد بنيا للمجهول . وفي السورة ستة من أفعال الكينونة ، أي ما يمثل نسبة 26.08 % من مجموع الأفعال الماضية ، و15 % من مجموع أفعال السورة . وأفعال السورة على صيغة فعل ومتفرعاتها ، وباستثناء أفعال الكينونة الست ، تتوجه في معظمها (08 أفعال على الأقل من مجموع 17 فعلا ، أي بنسبة 47.05 %) للدلالة على الماضي بالفعل . أما ما تبقى من أفعال فقد انصرفت دلالة ثلاثة (03) منها إلى الزمن العام الذي يفيد وقوع الفعل في الماضي واستمراره في الحاضر وتجدده المتواصل ، ففعل أنزلنا في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [4] إذ يدل على وقوع إنزال الماء الثجاج (ماء المطر) من قبل وحاضرا واستمرار وقوعه ،

---

[1] ينظر : سيبويه : الكتاب . 12/1 ، أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1997 . ص 86 ، محمد خير الحلواني : الواضح في النحو العربي . ص 68 .

[2] سورة : النبأ ، الآية : 19 .

[3] سورة : النبأ ، الآية : 20 .

[4] سورة : النبأ ، الآية : 14 .

وكذلك اتخاذ المآب إلى الله المرتبط بمشيئة الإنسان الوارد بصيغة الشرط في قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] ، وذلك يمثل نسبة 17.64 % من مجموع الأفعال الواردة بصيغة فعل ، على حين اقتضى السياق أن تكون أربعة (04) منها ، بما في ذلك الفعلان المبنيان للمجهول المشار إليهما أعلاه (أي ما نسبته 23.52 %) دالة على المستقبل ، لأن السياق هو الذي محّضها لهذه الدلالة ، بوصف الكلام متعلقا بيوم القيامة وما يحدث فيه ، من بعث ونشور وتقريع الله للكافرين وتمنيهم في نهاية السورة لو كانوا قد صاروا ترابا الأمر الذي كان سيجنبهم الحساب ويجعلهم بمنأى عن ما هم فيه من عذاب أليم . أما فعل" أحصيناه " في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] فهو دال على ما يمكن نعته بماضي المستقبل ، فهو يتعلق بتقريع الملائكة للكافرين يوم القيامة وتأكيدهم لهم بأن كل ما فعلوه في دنياهم قد تم إحصاؤه ، وطبيعي أن ذلك الإحصاء كان قد وقع في الحياة الدنيا ، أي أنهم يحكون في المستقبل ما وقع في الماضي . ونظير ذلك فعل " أنذرناكم " في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [3] ، وإن كان هنا يحتمل معنى الحاضر ، على أساس أن الكلام مستأنف ، أي أن الله تعالى بعد أن أتم سرد مشهد تقريع الملائكة للكافرين التفت إلى الحاضر ليذكر المكذبين بأنه ينذرهم عذابا قريبا ، يحيق بهم يوم القيامة لامحالة . ومعلوم أن هذا الزمن الذي يحدده السياق ولا تحدده الصيغة هو ما يسميه

---

[1] سورة : النبأ ، الآية : 39 .

[2] سورة : النبأ ، الآية : 29 .

[3] سورة : النبأ ، الآية : 40 .

النحاة بالزمن النحوي [1] . ومما لا ريب فيه أن الأفعال الواردة بصيغة فعل في قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [2] معطوفة على الاستفهام الإنكاري الذي سبقها والوارد بصيغة يفعل المنفية التي حولتها الأداة لم للدلالة هي بدورها على الماضي ، كما هو مقرر لدى النحاة . ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان في هذا الشأن هو : لم جاءت هي جميعا بصيغة فعل وجاء الفعل الذي عُطفت عليه بصيغة يفعل ، مع دلالتهما كليهما على المضي ؟ ذلك ما نظفر بإجابة عنه لدى الطاهر بن عاشور الذي يقول : « والمعطوف عليه ، وإن كان فعلا مضارعا ، فدخول " لم " عليه صيّره في معنى الماضي لما هو مقرر من أن " لم " تقلب معنى المضارع إلى المضي ، فلذلك حسُن عطف " خلقناكم " على ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [3] والكل تقرير على شيء مضى . وإنما عدل عن أن يكون الفعل فعلا مضارعا مثل المعطوف هو عليه لأن صيغة المضارع تستعمل لقصد استحضار الصورة للفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [4] ، فالإتيان بالمضارع في ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ ﴾ [5] يفيد استدعاء إعمال النظر في خلق الأرض والجبال ، إذ هي مرئيات لهم . والأكثر أن يغفل الناظرون عن التأمل

---

[1] يُنظر على سبيل المثال : حسان تمام : العربية مبناها ومعناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط 2 . 1979 . ص 19 ، ومحمد خير الحلواني : الواضح في النحو والصرف . قسم النحو . منشورات مكتبة الشاطئ الأزرق . دمشق . ط3 . 1979 . ص 68 .

[2] سورة : النبأ ، الآيات : من 8 إلى 14 .

[3] سورة : النبأ ، الآيتان : 6 ، 7 .

[4] سورة : فاطر ، الآية : 9 .

[5] سورة : النبأ ، الآية : 6 .

في دقائقها لتعوُّدِهِم بمشاهدتها من قبل سِنِّ التفكر ، فإن الأرض تحت أقدامهم لا يكادون ينظرون فيه بَلْهَ أن يتفكروا في صنعها ، والجبال يشغلهم عن التفكر في صنعها شغلهم بتجشم صعودها والسير في وعرها وحراسة سوائمهم من أن تضل شعابها وصرف النظر إلى مسالك العدوِّ عند الاعتلاء إلى مراقبها ، فأوثر الفعل المضارع مع ذكر المصنوعات الحرية بدقة التأمل واستخلاص الاستدلال ليكون إقرارهم مما قرروا به على بصيرة فلا يجدوا إلى الإنكار سبيلا . وجيء بفعل المضي في قوله : ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾ [1] وما بعده لأن مفاعيل فعل " خلقنا " وما عُطِف عليه ليست مشاهدة لهم . وذُكر لهم من المصنوعات ما هو شديد الاتصال بالناس من الأشياء التي تتوارد أحوالها على مدركاتهم دواما ، فإقرارهم بها أيسر لأن دلالتها قريبة من البديهي » [2] .

وينبغي أن نسجل أيضا تتابع أزمنة بعض الأفعال في نطاق زمن معين ، كما هو الشأن في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] ، فمن الواضح أن الكلام مشروط بإذن الرحمن للمتكلم وبقوله الصواب ، كما إن قول الصواب متوقف على إذن الرحمن ، ومن ثم فزمن الإذن سابق على الكلام أي قول الصواب ، ولو ببرهة يسيرة ، أي أن فعل أَذِنَ ماض بالنسبة لفعل قال ، وكلا الفعلين جاء بصيغة فَعَلَ ، ولكن السياق جعلهما دالين على أمر مستقبلي ، فكلاهما يحدث

---

[1] سورة : النبأ ، الآية : 8 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر . تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1984 . الجزء الثلاثون . ص 16 .

[3] سورة : النبأ ، الآية : 38 .

يوم القيامة ، يوم يقوم الروح . وكذلك الشأن في قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ ﴾ [1] ، الذي يلاحظ فيه أن اتخاذ المآب مشروط بالمشيئة ومتوقف عليها ، ومن ثم تكون المشيئة بالضرورة سابقة على اتخاذ المآب ، ولو ببرهة يسيرة ، وكلا الفعلين جاء بصيغة فَعَلَ ، ولكنهما يقرران قاعدة متجردة من الزمن ، تنطبق على كل عصر وزمان .

ولعلنا نستخلص من الإحصاءات التي وقفنا عليها آنفا أننا إذا جمعنا الأفعال الدالة على الماضي فعلا ، وهي (09) تسعة) ، والأفعال الدالة على الزمن العام ، والتي لا تخلو من دلالة على الماضي ، (وهي (03) ثلاثة) وكذلك الأفعال الدالة على ماضي المستقبل ، ومعنى المضي كامن فيها هي أيضا (وهي (02) اثنتان) ، أمكننا أن نقول بسهولة ويسر أن أن ما لايقل عن أربعة عشر (14) فعلا (من مجموع 17 فعلا واردة بصيغة فعل ، أي ما نسبته 82.35 % تتصل دلالتها بالماضي ، وهو ما يثبت أن ما ذهب إليه النحاة القدماء من تخصيص صيغة فعل للدلالة على الماضي كان أمرًا مبنيا على استقراء الاستعمال اللغوي للصيغة ، وخاصة في القرآن الكريم .

أما أفعال الكينونة الست (المنعوتة بالناقصة ، والموصوفة بالدخول على المبتدأ والخبر) ، فإنها وإن كانت ، في أصل وضعها تدل على الماضي فحسب ، لم تعد كذلك هنا ، إذ أضحى بعضها دالا على الصيرورة أيضا ، على نحو ما يدل عليه فعل كانت في

[1] سورة : النبأ ، الآية : 39 .

قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾ [1]. يقول الحسين بن محمد الدمغاني : «كان : يعني صار (. . .) كقوله تعالى في سورة النبأ ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ يعني فَصَارَتْ » [2] . ويقول الطاهر بن عاشور : « و" كانت " بمعنى : صارت . ومعنى الصيرورة من معاني (كان) وأخواتها الأربع ، وهي : ظل ، وبات ، وأمسى ، وأصبح ، وقرينة ذلك أنه مفرّع على " فُتّحت " ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧ ﴾ [3] » [4]. ومن الواضح أن الحديث هاهنا عن يوم القيامة ، أي عن المستقبل ، ووجود قرائن لفظية وأخرى معنوية تتحدث عن الحساب والعقاب ، قبل هذه الآيات وبعدها يؤكد ذلك .وثمة أفعال كينونة أخرى ارتبطت دلالتها بإفادة تأصل الفعل في علم الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ ١٦ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ ﴾ [5]، الذي قال بشأنه الطاهر بن عاشور : « وإقحام فعل كان لإفادة أن توقيته متأصل في علم الله لما اقتضته حكمته تعالى التي هو أعلم بها وأن استعجالهم به لا يقدمه على ميقاته » [6] ، وكما في قوله أيضا : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ ﴾ [7] ، وقد ذهب فيه ابن عاشور إلى مثل ما ساقه في الآية السابقة ، حيث قال : « وأقحم " كانت

---

[1] سورة : النبأ ، الآيتان : 19 ، 20 .

[2] الحسين بن محمد الدامغاني : قاموس القرآن ، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم . تحقيق عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم للملايين . بيروت . ط 3 . 1980 . ص 411 .

[3] سورة : الرحمن ، الآية : 37 .

[4] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/ 33 .

[5] سورة : النبأ ، الآية : 17 .

[6] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/ 29 .

[7] سورة : النبأ ، الآية : 21 .

" دون أن يُقال : إن جهنم مرصادٌ للدلالة على أن جعلها مرصادا أمر مقدر لها ، كما تقدم في قوله ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [1] ، وفيه إيماء إلى سعة علم الله تعالى حيث أعد في أزله عقابا للطاغين » [2] . أما فعل كانوا الوارد المقترن بفعل مضارع منفي هو يرجون ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] ، فقد جعل ما بعده دالا على الاستمرار وتجدد الفعل في الماضي والحاضر ، كما يرى الطاهر بن عاشور حين نبه إلى أن هذا الفعل « دال على أن انتفاء رجائهم الحساب وصف متمكن من نفوسهم وهم كائنون عليه ، وليس المراد بفعل " كانوا " أنهم كانوا كذلك فانقضى لأن هذه الجملة إخبار عنهم ، في حين نزول الآية وهم في الدنيا ، وليست مما يقال لهم أو عنهم يوم القيامة . وجيء بفعل " يرجون " مضارعا للدلالة على استمرار انتفاء ما عبر عنه بالرجاء ، وذلك لأنهم كلما أعيد لهم ذكر يوم الحساب جددوا إنكاره وكرروا شبهاتهم على نفي إمكانه لأنهم قالوا ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [4] » [5] . وتبقى كلمة كنتُ الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [6] ، محتملة للدلالة على الماضي أو على الحاضر ، كما يُستفاد من قول أبي حيان : « وتمنيه ذلك ، أي ترابا في الدنيا ، ولم يُخلق ، أو في

---

[1] سورة : النبأ ، الآية : 17 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/ 35 ـ 36 .

[3] سورة : النبأ ، الآية : 28 .

[4] سورة : الجاثية ، الآية : 32 .

[5] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/39 ـ 40 .

[6] سورة : النبأ ، الآية : 40 .

ذلك اليوم » [1] . وإذا كان تأويلها على المعنى الأول ، أي تمني الكافر أن لا يكون قد خرج إلى الوجود أصلا ، فدلالة فعل الكينونة على الماضي واضحة . أما إذا ملنا إلى تفسيرها على أنها تعني تمني الكافر يوم البعث أن يكون كالبهائم والطير الذين يبعثون ثم يصيرون ترابا كما في تفسير القرطبي : « ذكر أبو جعفر النحاس : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال : حدثنا سلمة بن شبيب ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ، قال : إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان ، ثم يقال للبهائم والطير : كوني ترابا ، فعند ذلك " يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا " . وقال قوم : " يا ليتني كنتُ ترابا " أي لم أُبعث » [2] ؛ ففعل كنتُ بمعنى صرتُ ، وهو يقع في المستقبل ، ذلك أن الكافر لا يقولها إلا يوم القيامة لشدة ما يراه من العذاب . وذهب ابن حيان إلى تفسير آخر حين رأى أن الكافر في هذا الموضع هو إبليس الذي يتمنى ، حين يرى ما يناله المؤمنون من الثواب والنعيم ، أن لو كان كآدم المخلوق من تراب ، والذي احتقره أولا حين خلقه [3]. وأورد ، في السياق ذاته ، أي تفسير الكافر بإبليس ، تأويلا آخر لمعنى " ترابا " ، فقال : « وقيل : ترابا أي متواضعا لطاعة الله تعالى ، لا جبارا ولا متكبرا » [4] . ومن الجلي أن هذه التأويلات

---

[1] أبو حيان الغرناطي : تفسير البحر المحيط . مكتبة ومطابع النصر الحديثة . الرياض . د . ت . 6 / 416 .

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . دار الكتاب العربي . القاهرة . د . ت . المجلد العاشر . 19ـ20 / 187 .

[3] أبو حيان الغرناطي : تفسير البحر المحيط . 6 / 416 .

[4] المصدر نفسه . 6 / 416 .

جميعها تصرف دلالة فعل الكينونة إلى المستقبل .

ولعلنا بعد ذلك كله نخلص إلى أن ما أكدناه في مفتتح حديثنا عن هده السورة من كون معظم الأفعال الواردة بصيغة " فَعَلَ " في بدايتها دالة على الماضي ، أي تطابقت فيها الصيغة الصرفية مع الدلالة الزمنية لها . وثمة أفعال أخرى في السورة تدل على المستقبل . أما الأفعال الناقصة التي يذهب النحاة إلى دلالتها بوضعها على الماضي ، فقد تبينت دلالة معظمها على المستقبل ، بحكم السياق والقرائن . وذلك كله ما تؤكده الجداول البيانية رقم 1 ، 2 ، 3 ، 4 .

سـورة الـنـازعـات :

وننتقل الآن إلى سورة النازعات . وأول ما نسجله بشأنها هو تضمنها ثمانية وعشرين (28) فعلا بصيغة فَعَلَ ومتفرعاتها (فَاعَل ، فَعَّل ، أَفْعَلَ) ، وهو ما يمثل نسبة 63,63 % من مجموع أفعال السورة البالغ عددها أربعة وأربعين (44) فعلا ؛ وهي نسبة تجاوزت نظيرتها في سورة النبأ . ولم تخلُ السورة ، كسابقتها ، من أفعال بهذه الصيغة خرجت عن دلالتها التي محضها لها النحاة القدماء ، أي الماضي . وبالفعل ، فإنه إذا كان ثمة خمسة وعشرون (25) فعلا ، وهو ما يمثل نسبة 89,28 % من الأفعال الواردة بصيغة فَعَل ومتفرعاتها ، تتطابق صيغتها مع ما صرفها إليه النحاة من دلالة على الماضي ، فإن ثمة ثلاثة (03) أفعال ، وهي تمثل نسبة تناهز 10,71 % ، وردت أيضا بهذه الصيغة ، ولكنها تدل على المستقبل . ودلالتها على ذلك متأتية من سبب نحوي محدد ، وهو دخول أداة الشرط (إذا) عليها ، أو عطفها على فعل دخلت عليه ، وعزز ذلك السياق الذي يؤكد تعلقها بيوم البعث والحساب .

إن أول فعل ماض افتتحت به السورة هو فعل الكينونة الوارد في قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾ [1] ، وهو فعل الكينونة الوحيد الوارد في هذه السورة ، بما يمثل نسبة 0,12 % من مجموع أفعال السورة الواردة بصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها ، بخلاف سابقتها التي وردت فيها ستة من أفعال الكينونة كما أسلفنا ، أكثرها خرج عن دلالته الأصلية على الماضي ليدل على الصيرورة أو على المستقبل ، أو على الزمن العام . أما

[1] سورة : النبأ ، الآية : 11 .

الفعل (كنا) في هذه السورة فإنه بدوره خرج عن دلالته الأصيلة المرتبطة بكونه من الأفعال الناقصة ، في نظر النحاة ، أي الدلالة على الماضي ؛ حيث دخلت عليه أداة الشرط (إذا) فتحول ، كغيره من الأفعال التي تجيء بصيغته ، إلى الدلالة على المستقبل .

وإلى هذا الجانب تنبه السيد الطاهر بن عاشور ، حين عرض لهذه الآيات ، فسجل ، معلقا : « و (إذا) ظرف للمستقبل ، فلذلك إذا وقع بعد الفعل الماضي صُرف إلى الاستقبال ، وإنما يُؤْتى بعد (إذا) بفعل المضي لزيادة تحقيق ما يفيده (إذا) من تحقق الوقوع » [1] . وقد عضد ذلك السياق الذي يومئ إليه الخطاب منذ مفتتح السورة ، كما بين ذلك الفراء حين قال : « ويسأل السائل أين جواب القسم في النازعات ؟ فهو مما تُرك جوابه لمعرفة السامعين . المعنى ، وكأنه لو ظهر كان : لَتُبْعَثُنَّ ، وَلَتُحَاسَبُنَّ ؛ ويدل ذلك قولهم : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾ [2] . ألا ترى أنه كالجواب لقوله : لَتُبْعَثُنَّ إذ قالوا : إذا كنا عظاما نخرة نُبعث »[3]. ولئن كان السياق هاهنا ، فضلا عن الشرط ، هو الذي عزز صرف الفعل للدلالة على المستقبل ، كما أسافنا ، فإن التصريح الجلي ـ المقترن بالشرط أيضا ـ هو الذي جعل الفعل الآخر (جاء) في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4] ، دالا على المستقبل ، ونعني بالتصريح الجلي عبارة الطامة الكبرى التي تعني ، حسبما يرى المفسرون ، ومنهم القرطبي ، « النفخة الثانية التي يكون معها البعث . قال

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 89/30 ـ 40 .

[2] سورة : النازعات ، الآية : 11 .

[3] أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : معاني القرآن . عالم الكتب . بيروت . ط 3 . 1983. 231/3 .

[4] سورة : النازعات ، الآية : 34 .

ابن عبـاس في رواية الضحـاك عنه ، وهو قول حسن . وعن ابن عباس أيـضا والضحاك أنها القيامـة ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تـطـم على كل شيء فتـــعـــم ما ســواها لعظـم هــولها ، أي تغـلبـه . وفي أمثالهم : " جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ على الْقَرِيّ " [1] . وهذا التصريح الجلي ذاته هو الذي نظفر به في عبارة بُرِّزَت الجحيم الواردة في قوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [2] ، وحيث إن بروز الجحيم ، أي ظهورها ، لا يكون إلا يوم القيامة ، فإن دلالة صيغة فُعِّلَ ، لا يمكن إلا أن تكون على المستقبل ، واستعمال صيغة (فَعَلَ) للدلالة على الماضي في هذا الحقل الدلالي متساوق مع واحدة من الدلالات التي حددها لها النحاة ، كاستعمال تلك الصيغة لدى الحديث عن أحداث يوم القيامة ، وعده كأنه قد وقع لكونه متحقق الوقوع ، كما أكد ذلك الدكتور مهدي المخزومي حين سجل أن « بناء (فَعَلَ) ويراد به الفعل الماضي مطلقا ، مجردا أو مزيدا ، يرى الدارس أن بناء فَعَلَ يُستعمل ويُراد منه دلالات منها : الدلالة على أن العمل كأنه قد وقع ، لأن وقوعه أمر محقق » [3] . وفضلا عن ذلك فإن الجملة برمتها معطوفة على سابقتها الشرطية ، كما لا يخفى على ذي بصر . هذه هي الأفعال الثلاثة الواردة بصيغة (فَعَلَ) الدالة بوضعها ها هنا ، والمنصرفة هاهنا ، بفعل ضمائم وقرائن لفظية ومعنوية ، إلى الدلالة على المستقبل .

---

[1] أبو الفضل أحمد بن محمد النسابوري الميداني : مجمع الأمثال . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . ط 2 . د . ت . 1 / 219 .

[2] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . المجلد العاشر . 19ـ20 / 204 .

[3] سورة : النازعات ، الآية : 36 .

[4] المخزومي : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه . منشورات المكتبة العصرية . بيروت . ط 1 . 1964 . ص 122ـ 123 .

أما الأفعال التي جاءت على صيغة (فَعَلَ) والتي حافظت على دلالتها الأصلية أي الماضي فهي الواردة في كلام الله عن أخبار سيدنا موسى عليه السلام وعن فرعون ، وكذلك الأخبار التي تتحدث عن خلق الله للكون وبناء السماوات والأرض والجبال ، وفي الختام حديث عن الذين طغوا وتنكبوا الصراط المستقيم وعن الذين في الجهة المقابلة اتصقوا الله واجتنبوا المحرمات . إن إعمال النظر في هذه الزمرة الأخيرة من الأفعال يجعلنا نقف على تطابق جلي بين الصيغة الصرفية وبين الدلالة النحوية ، أي أن الماضي فيها بصيغته التي حددها النحاة دل بالفعل على زمن مضى وانقضى حسبما يؤكده السياق . ولئن عمدنا إلى تصنيف هذه الأفعال الدالة بصيغتها وسياقها على الماضي فإننا نظفر بأصناف ثلاثة ، يضم أولها أفعال : أتاك ، إذ ناداه ، طغى ، فأراه ، فكذّب ، وعصى ،أدبر ، فحشر ، فنادى ، فقال ، فأخذه ، وهي واردة في سياق سرد قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون ، ومآل هذا الأخير ، بعد تكذيبه وتماديه في ادعائه الربوبية وطغيانه . ومن المسلم به أنها جميعا أحداث مضت وانقضت ، ونزل القرآن الكريم يخبر الناس بها ليستخلصوا منها العبر . ومن المؤكد أن من وظائف صيغة (فَعَلَ) الأصيلة ، كما أورد ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي ، « سرد أحداث ماضية في أسلوب القصص ، كما جاء كثير من هذا النوع في النصوص القديمة » [1] . ويضم الصنف الثاني أفعال : بناها ، رفع ، فسواها ، أغطش ، أخرج ، دحاها ، أخرج ، أرساها ، وهي أفعال كلها تتحدث عن وقائع جرت في ماض سحيق عند بدء الخليقة ، ومن ثم فهي تدل على الماضي البعيد المطلق .أما

[1] السامرائي : الفعل : زمانه وأبنيته . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط 3 . 1983 . ص 28 .

الصنف الثالث فتنتظم فيه الأفعال الآتية : سعى ، بُرِّزَت ، طغى ، آثر ، خاف ، نهى ، وقد جاءت جميعها في معرض الحديث عما يحدث يوم البعث من تذكر كل إنسان لمسعاه في الدنيا والمضي إلى وصف مسلك فريقين من الناس : فريق الذين طغوا مؤثرين الحياة العاجلة ، فاستحقوا أن يكون الجحيم مصيرهم ، وفريق الذين خافوا ربهم وكبحوا جماح نفوسهم فنهوها عن أن تطوح بها الأهواء وترديها النزوات ، فاستحقوا هم بدورهم أن تكون الجنة مأوى ومستقرا لهم . ، ومن الواضح أن استعمال بناء (فَعَلَ) هنا ورد في معرض الحديث عن وقائع وتصرفات سابقة بدرت من صنفين من الناس ، في حياتهم الدنيا . واستعمال بناء (فَعَلَ) في هذا الحقل الدلالي أيضا كسابقه مقرر لدى النحاة ، كما أشار إليه أيضا الدكتور مهـــــدي المخزومي حـين أضاف : « ويكثر بناء (فَعَلَ) بهذا المعنى في الوعد والوعيد والمعاهدات » [1].

ومما ينبغي التوقف عنده هنا هو طبيعة هذه الأفعال من حيث دلالتها على الاستمرار والتجدد . فالطغيان وإيثار الحياة الدنيا ليست أفعالا حدثت في لحظة واحدة أو زمن معين ، بل استمرت في الزمن ثم ظلت تتجدد على مدى حياة فاعليها . والأمر ذاته ينطبق على أفعال الفريق الآخر : الخوف من الله ونهي النفس عن الهوى ، إذ أنها بالفعل أفعال لم تحدث في زمن معين ، ثم انقضت ، بل كانت سلوكا مستمرا متجددا مدى حياة أصحابها . وكل ذلك نجليه الجداول البيانية رقم 5 ، 6 ، 7 ، 8 .

[1] المخزومي : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه . ص 122ـ 123 .

سـورة عـبـس :

ونمضي قدما في متابعة صيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها لتكون محطتنا الآن سورة عَبَسَ التي اشتملت على اثنين وعشرين (22) فعلا بهذه الصيغة من بين ستة وثلاثين (36) فعلا ، هي مجموع الأفعال الواردة في هذه السورة ، وهو ما يمثل نسبة 61,11 % .

ولعل أول ما يلفت النظر في هذه الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها وجود ستة منها لا تدل على الماضي الذي هو دلالتها الأصلية ، بحسب ما تواضع عليه النحاة . وأول هذه الأفعال اللافتة للنظر فعل قُتِلَ في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يحمل معنى الدعاء. ومن هؤلاء المفسرين فخر الدين الرازي الذي قال : « قوله تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم ، لأن القتل عاية شدائد الدنيا . و ﴿ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ؛ فقوله ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ تنبيه على أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب ، وقوله ﴿ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ تنبيه على أنواع القبائح والمنكرات ؛ فإن قيل : الدعاء على الإنسان إنما يليق بالعاجز ، والقادر على الكل كيف يليق به ذاك ؟ والتعجب أيضا إنما يليق بالجاهل بسبب الشيء ، فالعالم كيف يليق به ذاك ؟ الجواب : أن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب وتحقيقه ما ذكرنا أنه تعالى بيّن أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب لأجل أنهم أتوا بأعظم أنواع القبائح » [2] . وعلى التقيض من ذلك يورد أبو حيان الغرناطي ، في مستهل حديثه عن هذه الآية ، إشارة على دلالة فعل (قُتِلَ) ها

---

[1] سورة : عبس ، الآية : 17 .

[2] فخر الدين الرازي : التفسير الكبير . دار الفكر . بيروت . ط 1 . 1981 . 60/16 .

هنا على معناه الأصلي ، أي الماضي ، عن طريق إيراد واقعة بعينها يرى أن الآية تشير إليها ، إذ يقول : « قيل : نزلت في عتبة بن أبي لهب غَاضَبَ أباه فأَسْلَمَ ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه إلى الشام ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر برب النجم إذا هوى . ورُوِيَ أنه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ابعث عليه كلبك يأكله ، فلما انتهى إلى الغاضرة ذكر الدعاء ، فجعل لمن معه ألف دينار إن أصبح حيا ، فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله : فأقبل الأسد إلى الرحال ووثب فإذا هو فوقه فمزقه ، فكان أبوه يندبه ويبكي عليه ، وقال : ما قال محمد شيئا إلا كان » [1] . ولكن أبا حيان يعود ليورد رأيا آخر يلتقي مع رأي الرازي فيضيف : « والآية وإن نزلت في مخصوص فالإنسان يراد به الكافر . وقُتِل دعاء عليه ، والقتل أعظم شدائد الدنيا » [2] . ويلتقي أيضا مع الرازي في تفسير عبارة ما أكفره حين يؤكد هو أيضا أنها تعني تعجبا من إفراط كفر الإنسان الكافر ، وحيث إن التعجب الذي هو ممكن من قِبَلِ المخلوقين مستحيل في حق الله تعالى ، فإنه يؤوّل العبارة على أنها تعني أن ذلك الإنسان « هو ممن يُقال فيه ما أكفره » [3] . والجدير بالذكر أن هذا الضرب مما يسميه البلاغيون تعجيبا ، أي دعوة من الله إلى الناس إلى التعجب ، لأن الله عز وجل منزه عن ذلك لكمال علمه وإحاطته لكل شيء . ونعود إلى فعل (قُتِلَ) لنخلص إلى القول إن الذي يترجح لدينا ، بعد هذا ، أن هذه الصيغة ، ها هنا تحمل معنى الدعاء ، على خلاف عبارة (قاتلهم الله) الواردة في قوله تعالى ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ

---

[1] أبو حيان : البحر المحيط . 426/6 .

[2] المصدر نفسه . 426/6 .

[3] المصدر نفسه . 426/6 .

﴿ ﴾، فإنها تعني التعجيب ، كما نبه إلى ذلك الطاهر بن عاشور حين قال مشيرا إلى أن مورد قوله تعالى ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [6] « غير مورد قوله تعالى :﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾ [7] وقوْلِهم : قاتَل الله فلانا ، يريدون التعجب من حاله ، وهذا أمر مرجعه للاستعمال ، ولا داعي إلى حمله على التعجيب ، لأن قوله ﴿ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ [8] يغني عن ذلك » [9] . وبطبيعة الحال فإن الدعاء لايتحقق إلا في المستقبل ، سواء أكان بعيدا أم قريبا ، على نحو ما هو مقرر لدى اللغويين قدماء ومحدثين ، ومنهم ، على سبيل المثال ، الدكتور إبراهيم السامرائي الذي أكد أن بناء (فَعَلَ) يأتي « في أسلوب الدعاء بالخير ، وهو من غير شك يشير إلى المستقبل ، نحو : رضي الله عنه ، ورحمه الله ، كما يأتي في الدعاء بالشر منفيا بلا ، نحو : لا رحمه الله » [10]. على أنه ينبغي أن نسارع إلى تبديد ما قد يتبادر إلى الأذهان من سوء فهم ها هنا ، مرده إلى ظاهر لفظ الدعاء الذي نتحدث عنه ، إذ لا ينبغي أن نعده دعاء بالسوء من الله تعالى بل هو « مستعمل في التحقير والتهديد لظهور أن حقيقة الدعاء لا تناسب الإلهية ، لأن الله هو الذي يتوجه إليه الناس بالدعاء » [11] .

أما الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) ولكنها تدل على المستقبل ، فهي الواردة في قوله

---

[1] سورة : التوبة ، الآية : 30 و سورة : المنافقون ، الآية : 4 .

[2] سورة : عبس ، الآية : 17 .

[3] سورة : التوبة ، الآية : 30 و سورة : المنافقون ، الآية : 4 .

[4] سورة : عبس ، الآية : 17 .

[5] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 120/30 .

[6] إبراهيم السامرائي : الفعل زمانه وأبنيته . ص 28 .

[7] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 120/30 .

تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] ، واثنان منهما تتقدمهما أداة الشرط (إذا) التي تُعرّف لدى النحاة عادة بأنها ظرف لما يستقبل من الزمن ، ومن ثم ففعل المضي بعدها لا تأويل له إلا المستقبل ، وهكذا يُصبح معنى الأية الأولى ، حسبما يرى الطاهر بن عاشور ، « ثم حين يشاء ينشره ، أي ينشره حين تتعلق مشيئته بإنشاره » [3] . ونظير ذلك ينطبق على الآية الأخرى . ولكن تأويل صيغة (فَعَلَ) في الموضعين بالمستقبل ، ليس متأتيا عن أداة الشرط (إذا) فقط ، بل هو متولد أيضا عن السياق ، إذ كلاهما ورد في سياق يتحدث عن البعث والنشور والقيامة (الصاخة) . فالزمن إذن ليس وليد الصيغة ، أي ليس زمنا صرفيا ، بل هو متأتٍ من الأداة السابقة (الشرط) ، ومن السياق ، وهو ما يسميه الدارسون المحدثون (الزمن النحوي) . ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن تأمل هذه الأفعال والأفعال التي تسبقها ضمن السياق الذي وردت فيه يبرز جانبا مهما ذا صلة بمسألة الجهة التي يتحدث عنها كثير من الدارسين المعاصرين . فجملة ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] واردة عقب جملة متتابعة من الأفعال ، كما تبينه الآيات الكريمة ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5] . فالأفعال : خَلَقَهُ ، قَدَّرَهُ ، يَسَّرَهُ ، أَمَاتَهُ ، أَقْبَرَهُ ، شَاءَ ، أَنشَرَهُ ، لا تحدث في وقت واحد ، بل هي متعاقبة ، فالخلق يعقبه

---

[1] سورة : عبس ، الآية : 22 .

[2] سورة : عبس ، الآية : 33 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 125/30 .

[4] سورة : عبس ، الآية : 22 .

[5] سورة : عبس ، الآيات من : 18 إلى 22 .

التقدير فالتيسير فالإماتة فالإقبار فالمشيئة فالإنشار ، أي أن تعاقبها زمنيا جلي ، وإن كانت واردة جميعا في الماضي المتجدد ، وهذا ما توقف عنده مليا الشيخ الطاهر بن عاشور ، حيث قال : « وفُرِّع على فعل (خَلَقَهُ) فعلُ (فَقَدَّرَهُ) بفاء التفريع لأن التقدير هنا إيجاد الشيء على مقدار مضبوط منظم ، كقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢ ﴾[1] ، أي جعل التقدير من آثار الخلق ، لأنه خلقه مهيئا للنماء وما يلابسه من العقل والتصرف وتمكينه من النظر بعقله ، والأعمال التي يريد إتيانها ، وذلك حاصل مع خلقه مدرجا مفرعا . وهذا التفريع وما عطف عليه إدماج للامتنان في خلال الاستدلال . وحرف (ثم) من قوله ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾[2] للتراخي الرتبي ، لأن تيسير سبيل العمل الإنساني أعجب في الدلالة على بديع صنع الله ، لأنه أثرُ العقل ، وهو أعظم ما في خلق الإنسان ، وهو أقوى في المنة »[3] . وبعد تيسير السبيل وتواصل الحياة إلى أجل معلوم ، قد يمتد وقد يقصر ، تجيء لحظة مغادرة الحياة لتعقبها حياة القبر البرزخية ثم البعث والنشور يوم يقوم الناس لرب العالمين . فالتفاوت بين الأزمنة الفاصلة بين وقوع كل فعل من هذه الأفعال واضح ؛ إذ لا ريب أن الخلق يعقبه فورا أو يزامنه التقدير وتيسير السبيل ثم تجيء الحياة التي قد تكون لحظة وقد تمتد عقودا من الزمن ثم يكون الموت الذي يعقبه عادة الإقبار دون تراخ ، ثم أخيرا تقوم القيامة ، حين يأذن الله بذلك ، بعد دهور لا يعلم مداها إلا هو . وإلى هذا المعنى أشار الطاهر بن عاشور حين أضاف : « وكذلك عطف (ثم أماته) على (

---

[1] سورة : الفرقان ، الآية : 2 .

[2] سورة : عبس ، الآية : 20 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 123/30 .

يسّره) بحرف التراخي هو لتراخي الرتبة ، فإن انقراض تلك القوى العقلية والحسية بالموت ، بعد أن كانت راسخة زمنا ما ، انقراض عجيب دون تدريج ولا انتظارِ زمانٍ يساوي مدة بقائها ، وهذا إدماج للدلالة على عظيم القدرة » [1] . أما صيغة (فَعَلَ) ها هنا فهي لا تدل ـ كما أسلفنا ـ على حدوث الفعل في الماضي وانقضائه الآن ، بل تدل على فعل حدث في الماضي مرارا ، ويستمر حدوثه إلى يوم القيامة ، فهو تقرير لحقائق ونواميس تتكرر باستمرار . « ومن المعلوم بالضرورة أن الكثير الذي لا يُحصى من أفراد النوع الإنساني قد صار أمره إلى الموت وأن مَنْ هو حيٌّ آيِلٌ إلى الموت لا محالة ، فالمعنى : ثم أماته ويميته . فصيغة الماضي في قوله : (أماته) مستعملة في حقيقتِه وهو موت من مات ، ومجازِه وهو موت من سيموتون ، لأن موته في المستقبل محقق ؛ وذكر جملة ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ ﴾ [2] توطئة وتمهيد لجملة ﴿ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ [3] » [4] . وإذا كانت هذه الأفعال من خلق من نطفة فتقدير فتيسير سبيل فموت وإقبار حدثت منذ بدء الخليقة ويستمر حدوث مثلها دامت الحياة الدنيا ، ومن ثم فهي مندرجة ضمن إحدى دلالات الماضي التي تحدث عنها النحاة ، ومنهم الدكتور مهدي المخزومي الذي استخلص من استقرائه للأفعال العربية في الاستعمال أن ممل تستعمل فيه صيغة (فَعَلَ) هذه ، الدلالة « على أن العمل كان قد حدث ، وحدث كثيرا ، ويمكن أن يحدث كثيرا أيضا » [5] ، فإن فعلي النشر المقرون بالمشيئة الإلهية ومجيء الصاخة لا يتحققان

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 120/30 .

[2] سورة : عبس ، الآية : 20 .

[3] سورة : عبس ، الآية : 20 .

[4] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 120/30 .

[5] المخزومي : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه . ص 123 .

إلا يوم القيامة ، كما هو معلوم ، (إذ الصاخة ، كمت يقرر المفسرون « هي الصرخة الثانية يوم القيامة » [1] ، ومن ثم فهما متمحضان للدلالة على المستقبل بلا ريب .ونظير هذه الأفعال التي تتحدث عن أمر حدثت وتحدث ويستمر حدوثها إلى يوم البعث ، أفعال (صَبَبْنَا) ، (شَقَقْنَا) (أَنبَتْنَا) الواردة في قوله تعالى : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] ، إذ أنها أفعال تتحدث عن نواميس وآيات كونية تشاهد عيانا منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة ، نعني نزول الغيث وانشقاق الأرض لاحتضانه وإنبات الحب منها ، وذلك قوام الحياة البشرية التي لا استمرار لها إلا باستمرار هذه الأفعال التي يمتن الله لها على عباده . فالماضي هنا مستمر ومتجدد ، كما هو واضح .

ويبقى الموضع الآخر الذي خرجت فيه صيغة (فَعَلَ) عن دلالتها على الماضي فحسب، فهو قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ [3] ، الذي يدل قطعا على فعل متجدد يحدث باستمرار ، وهذه الدلالة متأتية في الأساس عن السياق، وعن الأثر الناجم عن الأداة الشرطية (مَنْ) .

أما الأفعال المتبقية من مجموع الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) في هذه السورة فقد احتفظت بالدلالة الأصلية لهذه الصيغة ، نعني الدلالة على فعل حدث في زمن مضى وانقضى ، لأنها تتحدث بالفعل عن واقعة محددة حدثت للرسول صلى الله عليه وسلم ونقلتها كتب السيرة والحديث . فقد جاء في صحيح الترمذي ، مثلا ،« حدثنا سعيد بن يحيى بن

---

[1] أبو حيان : البحر المحيط. 428/6 .

[2] سورة : عبس ، الآيات من 25 إلى 27 .

[3] سورة : عبس ، الآية : 12 .

سعيد الأموي ، حدثني أبي ، قال : هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال : أُنزِلَ عَبَسَ وتولى غي ابنِ أم مكتوم الأعمى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : يا رسولَ الله أَرْشِدْنِي ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من عظماء المشركين ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعرِض عنه ويُقبل على الآخر ويقول : أَتَرَى بما تقُولُ بَأْسًا فيُقَالُ لا ؛ ففي هذا أُنزِلَ » [1] . وإذا كان عدد من علماء الشيعة ومفسريهم يعزو العبوس إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم ، تنزيها له صلى الله عليه عن هذا التصرف الذي يرونه معيبا ومنقصا من عصمته ، فإن الأفعال الثلاثة الواردة في قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ [2] تتحدث عن واقعة محددة ، وما بدر من عبوس وإعراض من غير النبي حسبما يرى هؤلاء أو من النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن أم مكتوم حين جاءه يستزيده معرفة ببعض مسائل الدين ، وهو منغمس في محادثة بعض علية القوم من قريش ، اجتهادا منه في إعطاء الأولوية لاستمالة هؤلاء إلى الإسلام وتعزيزه لهم ، حسبما يرى مفسرو السنة . إن الأفعال الثلاثة إذن محافظة على دلالتها الأصلية ، أي الماضي المنقضي . والصفة ذاتها تنطبق على الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) في الجملتين الشرطيتين المتضمنتين في قوله تعالى ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾ [3] ، فهي أيضا بدورها تبرز مفارقة وتشير إلى سلوك حَصَلَ بالفعل ونقلته الأحاديث

---

[1] الترمذي : صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي . دار الكتاب العربي . بيروت . د . ت . 12/ 231 ـ 232 .

[2] سورة : عبس ، الآيتان : 1 ، 2 .

[3] سورة : عبس ، الآيات : 5 إلى 8 .

وكتب السيرة والتفسير كما هو معلوم .

ومهما يكن من أمر فقد تبين لنا مما سبق أن ستة (06)أفعال واردة بصيغة (فَعَلَ) حافظت على المعنى الأصيل التي تدل عليه الصيغة ، أي الماضي المطلق ، وهو ما يمثل نسبة 27,27 % من مجموع الأفعال الإثنين والعشرين (22) الواردة بهذه الصيغة غي هذه السورة كما أسلفنا في مستهل حديثنا عنها . وفي مقابل ذلك نجد العدد نفسه (أي ستة ((06)) أفعال تمثل نسبة 27,27 % ذاتها) من الأفعال الواردة بهذه الصيغة ، قد تمحض للدلالة على المستقبل ، منصرفا تماما عن الدلالة الأصلية للصيغة , وإلى جانب ذلك سجلنا أيضا ورود عشرة (10) أفعال بهذه الصيغة (أي بنسبة 45,45 %) ، تدل على ما أسميناه بـ (الماضي المتجدد) ، أي حدوث الفعل في الماضي مرارا ، واستمرار حدوثه حاضرا ومستقبلا ، كما يتبين من الجدولان البيانيان رقم 9 ، 10 .

سـورة الـتـكـويـر :

وتعقب سورةَ عبس سورة التكوير التي اشتملت على تسعة عشر (19) فعلا على صيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها ، وهو ما يمثل نسبة 86,36 % من مجموع الأفعال الواردة في السورة وقد بلغت 24 فعلا . ولعل أول ما يلفت النظر في هذه السورة غلبة الدلالة على المستقبل بشكل ساحق في الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها .إن ما لا يقل عن خمسة عشر (15) فعلا يتوجب صرف دلالتها إلى المستقبل بفعل السياق والقرائن . وليس ثمة إمكان لالتماس دلالة ذات صلة بالماضي إلا في أربعة (04) أفعال لا غير .

ويلفت النظر أيضا في أفعال هذه السورة الواردة بالصيغة المشار إليها مجيء مغظمها مبنيا للمجهول أو بصيغة (انفعل) الدالة على المطاوعة ، كما أن أربعة عشر منها أي 73,68 % من المجموع مسبوقة بالأداة (إذا) التي تُعرَّف بأنها ظرف لما يستقبل من الزمن .وأما نظام الجمل التي فيها هذه الأفعال فهو على النمط الآتي :

الأداة (إذا) الظرفية المشربة معنى الشرط + الاسم + الفعل المبني للمجهول (أو الدال على المطاوعة . انفعل)

والزمن النحوي هو الذي جعل هذه الأفعال بصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها دالة على المستقبل ، لأن السياق العام لسورة التكوير هو حديث عن يوم القيامة . ويتعلق الأمر بالأفعال الآتية :

كُوِّرَ(تْ) ، *انْكَدَرَ(تْ) ، سُيِّرَ(تْ) ، عُطِّلَ(تْ) ، حُشِرَ (تْ) ، سُجِّرَ(تْ) ، زُوِّجَ(تْ) ، سُئِلَ(تْ) ، قُتِلَ(تْ) ، نُشِرَ(تْ) ، كُشِطَ (تْ) ، سُعِّرَ (تْ) ، أُزْلِفَتْ (تْ) ، أَحْضَرَتْ (تْ) ، شَاءَ .*

وقد أبرز هذا الجانب الشيخ الطاهر بن عاشور ،

حين قال في معرض تفسيره لهذه الآيات : « وصيغة الماضي في الجمل الثنتي عشرة الواردة شروطا لـ (إذا) مستعملة في معنى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط »[1].

وإذا تأملنا هذه الأفعال وجدنا تفاوتا بينا في زمن حصولها ،فزمن سؤال الموؤودة ونشر الصحف مقلا أقرب لزمن حصول النفس بما أحضرت (وهو جواب الشرط) من زمان تكوير الشمس وما عُطف عليه من الأحداث التي تحصل قبل البعث . ولو أردنا تصنيف هذه الأفعال وجدناها تنقسم قسمين متساويين : قسم يحصل في آخر الحياة الدنيوية ، ويتضمن الأفعال الستة الأولى : كُوِّرَ(تْ) ،انْكَدَرَ(تْ) ، سُيِّرَ(تْ) ، عُطِّلَ(تْ) ، حُشِرَ (تْ) ، سُجِّرَ(تْ) ، وقسم يحصل يوم القيامة وهو يتضمن الأفعال الستة الأخرى : زُوِّجَ(تْ) ، سُئِلَ(تْ) ، نُشِرَ(تْ) ، كُشِطَ (تْ) ، سُعِّرَ (تْ) ، أُزْلِفَتْ (تْ) . وقد استثنينا منها قُتِلَ (تْ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[2] ، واضح أنه يدل على الماضي المتجدد ، في سياق الحكاية والحديث عن فعل الوأد الذي حدث وظل يحدث قبل الإسلام إلى أن عم نور الإسلام على بلاد العرب ، كما هو معلوم . أما فعل كُشِطَ (تْ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ﴾[3]، فقد أدرجناه ضمن الأفعال التي تحدث يوم القيامة ، أهذا بالتفسير الذي يذهب إلى أن الكشط يعني الإزالة التامة وذلك مما يحدث يوم القيامة ، وقد رجح هذا التفسير ورودها في سلق جملة أفعال

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 141/30 .

[2] سورة : التكوير ، الآيتان : 8 ، 9 .

[3] سورة : التكوير ، الآية : 11 .

تحدث بعد البعث . على أن ثمة تفسيرا آخر يذهب ألى إعطائها معنى يضاهي معنى الانشقاق والانفطار ، وذلك من أشراط الساعة ، وبذلك يكون هذا الفعل متصلا بإعادة الخلق ،على رأي الشيخ الطاهر بن عاشور « وتصير الأشراط التي تحصل قبل البعث سبعة والأحداث التي تقع يعد البعث خمسة » [1] . ومهما يكن من أمر ، فالمؤكد أن هذه الأفعال ، وإن كانت جميعها تحدث في المستقبل شق منها يقع قبل الشق الآخر .فالزمن واحد ، والجهات متناينة .

ويلحق بهذه الأفعال في دلالتها على المستقبل فعلُ (عَلِمَتْ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] ، فإن هذا الفعل الواقع في جواب الجمل الشرطية الإثنني عشرة ليس له من زمن إلا المستقبل ، بخلاف الفعل الذي يعقبه ، نعني فعل (أَحْضَرَتْ) الذي يتعلق بمستقبل ولكنه مرتبط هو نفسه بماض منصرم انقضى بموت النفس في الحياة الدنيا ،نعني أن الإحضار ، وإن كان هو أيضا يحصل في المستقبل قبل علم النفس به أو عنده ، يتعلق بالعمل الذي تم طيلة حياة النفس المنقضية ، أو إن شئنا الدقة بأعمالها منذ بلوغها سن التكليف ، فهو ضرب من الماضي في المستقبل ، على حد تعبير الأب هنري فليش اليسوعي [3] .

وثمة في هذه السورة أيضا فعلان آخران بصيغة (فعَلَ) يدلان على الماضي غير أنــه

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 150/30 .

[2] سورة : التكوير ، الآية : 14 .

[3] الأب هنري فليش اليسوعي : العربية الفصحى أو نحو بناء لغوي جديد . تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين . منشورات المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ط 1 . 1966 . ص 136 .

ماض متجدد يحدث باستمرار ، كل يوم . وهما الفعلان الواردان في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ [1] . فعسعسة الليل وتنفس الصبح حدثتا كل يوم منذ بدء الخليقة ويستمر حدوثهما إلى يوم القيامة . إنهما يدلان على ماض مستمر ، وتلك من دلالات صيغة (فَعَلَ) التي حددها النحاة منذ القديم ، أي التعبير عن نواميس الكون ، نحو أشرقت الشمس ، طلع النهار ، أمطرت السماء ، دوى الرعد . . . ونلاحظ فضلا عن ذلك في هذين الفعلين (عَسْعَسَ) و (تَنَفَّسَ) ترابطهما وتتابعهما زمنيا . فلا يتنفس الصبح إلا بعد عسعسة الليل ، وليس لأحدهما أن ينفصل عن الآخر أبدا . ولئن كان هذان الفعلان مسبوقين بأداة الشرط (إذا) مما يوجب صرف دلالتهما إلى المستقبل ، فإن المقام هو الذي يصرف دلالتهما إلى الماضي المتجدد . وقريب منه فعل (شَاءَ) الوارد في قوله تعالى :﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] فهو أيضا يتحدث عن مشيئة حدثت وتحدث منذ بدء الخليقة إلى يوم البعث ، أي أنه يدل كذلك على ماض متجدد .

أما فعل (رَآهُ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] فلا مِرَاء في أنه دال على ماض منقض ، ولا مجال لصرفه للدلالة على غير ذلك ؛ ذلك أنه يومئ إلى واقعة محددة هي واقعة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، يوم جاءه أول مرة بغار حراء ، على كرسي جالس عليه بين السماء والأرض ،وقد جاء ذلك في معرض الرد على المشركين الذين قالوا إن الذي يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إنه جاءه ليس إلا

---

[1] سورة : التكوير ، الآيتان : 17 ، 18 .

[2] سورة : التكوير ، الآية : 28 .

[3] سورة : التكوير ، الآية : 23 .

جنيًّا يتراءى له . والجدير بالذكر أن الأداة (لقد) هنا لا تفيد إلا التأكيد والتحقيق، وهو أحد معانيها ، [1] وليس لها من أثر على زمن الفعل .

وهكذا يتضح لنا أن اثني عشر (12) فعلا بصيغة (فَعَلَ) دلت على المستقبل ، من بين تسعة (19) فعلا واردة بهذه الصيغة في هذه السورة ، وهو ما يمثل 73,68 % . وإلى جانب ذلك وجدنا فعلا واحدا بهذه الصيغة (01) يدل على ما يمكن أن نسميه بالماضي في المستقبل ، وهو ما يمثل نسبة 05,26 % ، ووجدنا ثلاثة (03) أفعال أخرى تدل على الماضي المتجدد ، وهو ما يمثل نسبة 15,78 % ، بينما لم يدل على الفعل الماضي المطلق إلا فعلان (02) اثنان لا غير ، أي بنسبة 10,52 % . وهذا أمر لافت ينبغي تسجيله . ولنا عودة له ولنظائر له لاحقا ، في آخر هذا الفصل ، إن شاء الله ، لدى حديثنا عن نتائج هذا المسح . والجدولان البيانيان رقما 11 ، 12 يلخصان ما تضمنته السورة من أفعال بصيغة (فَعَلَ) ودلالاتها الزمنية .

---

[1] أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . صيدت ـ بيروت . 1995 . 196/1 .

سـورة الانـفـطـار :

ونمضي قدما في تتبع صيغة (فَعَلَ) في سورة الانفطار التي تمضي في السياق الذي سارت فيه سابقتها (سورة التكوير) . وقد حوت هذه السورة خمسة عشر (15) فعلا بصيغة (فَعَلَ) من بين ثلاثين (30) فعلا وردت في هذه السورة ، وهو ما يمثل نسبة 50 % . وهي تشبه سابقتها من حيث كونهما مبدوءتين بعدد من الأفعال المسبوقة بـ (إذا) التي تنعت بأنها ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط ، على أن عددها هنا أقل من عددها في سورة التكوير ، إذ لم يرد هنا إلا أربعة (04) من الأفعال المسبوقة بهذه الأداة ، مقابل اثني عشر (12) فعلا في سورة التكوير ، ومن ثم فنسبتها إلى مجموع الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها هنا ، تبلغ 26,66 % من خمسة عشر (15) فعلا ، بينما بلغت هناك 73,68 % في سورة التكوير كما مر بنا سابقا . وتشبه هذه الجمل الأربع مثيلاتها الإثني غشر في السورة السابقة من حيث بنيتها ، فهي أيضا على نمط واحد :

الأداة (إذا) الظرفية المشربة معنى الشرط + الاسم + الفعل الدال على المطاوعة . انفعل (أو الفعل المبني للمجهول) .

ولا مناص من المسارعة إلى القول ، بعد ذلك ، بأن المقام الذي وردت فيه هذه الأفعال الأربعة هو مقام الحديث عن ما يحدث قبل قيامة الساعة من تحولات وانقلابات في الظواهر الكونية ،على نحو ما حملته سابقتها ، مع فارق جلي بينهما هو اقتصار هذه (سورة الانفطار) على الحديث عما يحدث في الدنيا قبل قيام الساعة ، أي ما يندرج تحت

ما يسمى يسمى بأشراط الساعة ، على حين تحدثت سورة التكوير ، إلى جانب هذا ، عن ما يحدث بعد قيام الساعة ، كما أوضحنا ذلك في حينه . ولا ريب في أن افتتاح هاتين السورتين بالحديث عن أشراط القيامة قاسم مشترك لا يقتصر عليهما بل يمتد ليشمل سورة الانشقاق بعدهما ، وهو الذي نبه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال ، في ما رواه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، : « مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأْيُ الْعَيْنِ فَلْيَقْرَأْ :﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، وَ ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾ ، و﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ » .

إن صيغة (فَعَلَ) في الآيات الأربع الأولى من السورة ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾ تدل على المستقبل ، لأن الأداة (إذا) قلبت دلالتها إلى ذلك ، ولأن المقام الذي جاءت فيه ، أي الحديث عن ما يحدث لدى قيام الساعة من انفطار للسماء وانتثار للكواكب وتفجير للبحار وبعثرة للقبور ، يوجب ذلك . ولكن استعمال صيغة (فَعَلَ) ، الموجهة للدلالة أصلا على الماضي ، للدلالة هنا على المستقبل يوصل إلى غاية أخرى ، وهي التأكيد على تحقق ذلك ، فكأنها أمور حدثت بالفعل ، وأضحت من الماضي ، ومن ثم فلا مجال للتشكيك فيها . وقد توقف عند ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور حين ، أضاف ، بعد فراغه من تفسير الآيات

---

288 سورة : التكوير ، الآية : 1 .

289 سورة : الانفطار ، الآية : 1 .

290 سورة : الانشقاق ، الآية : 1 .

291 الترمذي : صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي . 12/ 233 .

292 سورة الانفطار ، الآيات : من 1 إلى 4 .

الأربع « وصيغة الماضي في قوله (انفَطَرَتْ) وما عُطِف عليه مستعملة في المستقبل تشبيها لتحقيق وقوع المستقبل بحصول الشيء في الماضي »[293]. وجواب الشرط الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾[294] هو أيضا يحدث عند قيام الساعة ، أي في المستقبل ، فتأويل الكلام أنه عندما نمفطر السماء وتنتثر الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور تعلم النفس ما قدمت من أعمال وما أخرت ، وذلك عن طريق ما حواه كتابها الذي لايغادر سغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . على أنه لا بد من أن نشير ، بعد هذا ، إلى أن فعلي (قَدَّمَتْ) و (وَأَخَّرَتْ) يشيران إلى ماض انقضى بوفاة النفس المعنية .

ويبقى فعل ذو خصوصية هو الفعل (أَدْرَاكَ) الوارد مرتين في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾[295] ، وتتمثل خصوصيته في كون المفسرين اختلفوا فيه ، فمنهم من ذهب إلى أنه خطاب للكافر على وجه الزجر له ، وذهب آخرون إلى إنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد خاطبه بذلك لأنه ما كان عالما بذلك قبل الوحي . ومنهم من رأى أن الخطاب فيه لغير معين لأنه تركيب جرى مجرى المثل مستعملا للتهويل والتعظيم ، وقوامه ما الاستفهامية وفعل أدرى ، ومن ثم لا تدخله التثنية والجمع والتأميث ولو خوطب به غير المفرد المذكر . .وقد وردت صيغة (يفعل) من هذا الفعل في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، ولكن المفسرين ذهبوا إلى أن لها معنى مغايرا . فابن عاشور مثلا يقول : « واستعمال (ما أدراك) غير استعمال (ما يدريك) في قوله

---

293 سورة : الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 172/30 .

294 سورة : سورة الانفطار ، الآية : 5 .

295 سورة الانفطار ، الآية : 5 .

تعالى ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ ﴿ وقوله ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ في سورة الشورى . روي عن ابن عباس :كل شيء من القرآن من قوله (ما أدراك ، وكل شيء من قوله (وما يدريك) فقد طوي عنه . وقد روي هذا أيضا عن سفيان بن عيينة وعن يحيى بن سلام فإن صح هذا المروي فإن مرادهم أن مفعول (ما أدراك) محقق الوقوع ؛ لأن الاستفهام فيه للتهويل وأن مفعول (ما يدريك) غير محقق الوقوع ؛ لأن الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدراية » ﴾ . وعضَّد هذا الرأي الراغب الإصفهاني حين قال : « وكل موضع ذكر في القرآن (وما أدراك) فقد عقب ببيانه نحو :﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾ ﴿، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ ، ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـٔٗا ﴾ [301] ، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾ [302] . وكل موضع ذكر فيه " وما يدريك " لم يعقبه بذلك نحو: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ ، ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ » ﴾ .

---

[296] سورة الأحزاب ، الآية : 63 .

[297] سورة الشورى ، الآية : 17 .

[298] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 124/29 .

[299] سورة : القارعة ، الآيتان : 10 ، 11 .

[300] سورة : القدر ، الآيتان : 2 ، 3 .

[301] سورة : الانفطار ، الآيتان : 18 ، 19.

[302] سورة : الحاقة ، الآيتان : 3 ، 4 .

[303] سورة : عبس ، الآية : 3.

[304] سورة : الشورى ، الآية : 17 .

[305] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني : مفردات غريب القرآن ، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز . د. ت . 1/ 168 ، 169 .

أما الأفعال الستة المتبقية (غَرَّكَ) ، (خَلَقَكَ) ، (فَسَوَّىٰكَ) ، (فَعَدَلَكَ) ، (شَآءَ) ، (رَكَّبَكَ) الواردة في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ شملة ، فدلالتها على الماضي لا ريب فيها ، غير أنه ، في ما عدا أولها (غَرَّكَ) ماض متجدد ، إذ أفعال الخلق والتسوية والتعديل والتركيب حدثت منذ بدء الخليقة ، وتظل تحدث إلى إلى أن يأذن الله بقيام الساعة . وما ذهب إليه بعض الدارسين من كونها أفعالا أُلغيت فيها الظاهرة الزمنية أمر فيه نظر . لقد نعت بعضهم هذه الأفعال بأنها « أفعال خالدة غير مرتبطة بزمن ، فالرحمن خلق ويخلق وسيخلق ؛ فهي أفعال معجزة باقية أبدية ومستقبلية حتى يرث الله هذه الأرض » [306] ومن الواضح أن قوله هذا ينطوي على تناقض جلي بين نفي ارتباط هذه الأفعال بزمن ، وبين الإشارة إلى كونها حدثت في الماضي وتحدث الآن وستظل تحدث في المستقبل ، كما يستفاد من عبارته : خلق ويخلق وسيخلق . فالأفعال إذن مرتبطة بزمن ولكنه زمن ممتد ومتجدد ، وله نهايته وهي قيام الساعة ، كما أسلفنا . وأبدية الفعل المتولدة عن إلغاء الدلالة الزمنية لا توجد إلا في فعل الكينونة المستعمل في مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ ﴾ [307] والذي سنتوقف عنده في موضع لاحق إن شاء الله .

---

306 سورة : الانفطار ، الآيات : من 6 إلى 8 .

307 عبد الفتاح الدجني : الإعجاز النحوي في القرآن الكريم .ص 198 .

308 سورة : الأحزاب ، الآية : 1 .

ونلاحظ من جهة أخرى تتابع زمن هذه الأفعال ظاهريا ، كما يبدو من السياق ، حيث جرى ترتيبها ليتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنها تحدث تباعا ، والفاء التي تربط بين الخلق والتسوية والتعديل تومئ إلى ذلك ، أي أن الخلق نعقبه التسوية فالتعديل ثم التركيب على أكمل صورة . ولكن عددا من المفسرين بذهب إلى أنها متزامنة ، على نحو ما يستقى من كلام الشيخ الطاهر بن عاشور الذي أضاف بعد فراغه من الكلام عن هذه الآية : « وتعداد الصلات ، وإن كان بعضها قد يغني عن ذكر البعض ، فإن التسوية حالة من حالات الخلق ، وقد يغني ذكرها عن ذكر الخلق ، كقوله : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ ﴾ [309]، ولكم قُصد إظهار مراتب النعمة . وهذا من باب الإطناب المقصود به التذكير بكل صلة والتوقيف عليها بخصوصها ، ومن مقتضيات الإطناب مقام التوبيخ » [310] ثم يزيد الأمر جلاء ويتحول إلى التصريح بتزامن الأفعال حين يقول ، في موضه لاحق ، : « وفَرَّعَ فعل (سوَّاكَ) على (خَلَقَكَ) وفعل (عَدَّلَكَ) على (سَوَّاكَ) تفريعا في الذكر ، نظرا إلى كون معانيها مترتبة في اعتبار المعتبر ، وإن كان جميعا حاصلا **في وقت واحد** ، إذ هي أطوار التكوين من حيث كونه مضغة إلى تمام خلقه ، فكان للفاء في عطفها أحسن وقْعٍ ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [311] » [312] . ومهما يكن من أمر ، وسواء أكانت هذه الأفعال متعاقبة أي متتابعة زمنيا وبين كل منها والذي يعقبه برهة

---

309 سورة : البقرة ، الآية : 29 .

310 الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 175/30 .

311 سورة : الأعلى ، الآيتان : 2 و3 .

312 الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 176/30 .

ولو يسيرة ، أم كانت متزامنة بدلالتها على شيء واحد حدث برمته في وقت واحد ، فإن القاسم المشترك بينها أنها إما أن تكون دالة على الماضي المنقضي ، حين تُحمل على أنها تتعلق بالخلق الأول ، أي خلق آدم الذي تناسلت منه البشرية ، وإما أن تكون دالة على الماضي المستمر المتجدد حين تحمل على أن المقصود بها تكوين الإنسان نطفة فعلقة فمضغة ثم تصويره في بطن أمه وخروجه إلى الدنيا ، وهذا أمر وقع منذ ولادة ابني آدم مرارا ، ويقع الآن كل يوم ، وسيظل يقع إلى يوم يبعثون .وهذا مما يمكن أن تحمله صيغة (فعل) ومتفرعاتها من دلالات ، كما سجل ذلك الدكتور شوقي ضيف ، حين نبه إلى أنه « قد تخرج صيغة الماضي عن طبيعتها في إفادة الماضي ، وأن حادثة فيه وقعت وانتهت ، فتدل على الماضي والحاضر والمستقبل ، أو بعبارة أخرى تدل على الاستمرار الزمني » [313].

ونعود إلى فعل (غَرَّكَ) الذي ورد مسبوقا بـ (ما) الاستفهامية « والاستفهام مجاز في الإنكار والتعجيب من الإشراك بالله ، أي لا موجب للشرك وإنكار البعث إلا أن يكون ذلك غرورا غره » [314] على حد تعبير الشيخ الطاهر بن عاشور .وتبعا لذلك يكون الفعل دالا على الماضي ، فما للمشرك أن يقدم على ما أقدم عليه من شرك وإنكار للبعث لولا غرور تملكه وجعله يتنكب طريق توحيد بارئه .

وهكذا اتضح لنا مما تقدم أنه من بين خمسة عشر (15) فعل ا بصيغة (فَعَلَ) ومتقرعاتهاوردت في هذه السورة ، وجدنا ثلاثة (3) منها فقط ندل على الماضي ، أي

313 شوقي ضيف : تجديد النحو . دار المعارف . القاهرة . ط 2 . 1986 . ص 201 .

314 الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 174/30 .

ما نسبته 20 % ، كما وجدنا ستة (6) أخرى (بنسبة 40 %) تدل على ما نعتناه بالماضي المستمر أو المتجدد ، وكان نصيب الأفعال الدالة على المستقبل بالصيغة ذاتها قريبا من ذلك ، حيث وردت منها خمسة (5) أي بنسبة 33.33 %. ولم نجد إلا فعلا واحدا (1) دل بهذه الصيغة على الزمن المطلق (فعل شاء) ، وذلك ما يمثل نسبة 06.66 % من مجموع أفعتا السورة الواردة بهذه الصيغة . والجدولان البيانيان رقما 13 ، 14 يوضحان ذلك .

سـورة المـطـفـفين :

ونواصل استقراء سور هذا الجزء ، لنقف عند محطة سورة المطففين التي تضمنت واحدا وعشرين (21) فعلا على صيغة (فَعَلَ) ، من بين اثنين وأربعين فعلا هي مجموع الأفعال الواردة في هذه السورة ، وذلك ما يمثل نسبة 50 % ؛ وبين هذه الأفعال أربعة من أفعال الكينونة لنا وقفة معها في آخر كلامنا عن هذه السورة .ولعل أول ما يلفت النظر لدى تأمل هذه السورة وجود خمسة (06) أفعال مسبوقة بـ (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط ، أو معطوفة على فعل مسبوق بها . وقد وردت هذه الأفعال في سياقين متباعدين ، إذ وردت ثلاثة منها في أوائل السورة ، أي في قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[1] . وهي أفعال : ٱكْتَالُواْ . كَالُوهُمْ . وَّزَنُوهُمْ ، والأولان منها مسبوقان بـ (إذا) والثالث معطوف على ثانيهما كما نرى .أما الثلاثة الأخرى ، فقد جاءت في أواخرها ، أي في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] ، وهي أفعال : مَرُّواْ . ٱنقَلَبُواْ . رَأَوْهُمْ . وعند فحصها تستوقفنا ظاهرة ورود جواب شرط الأفعال الثلاثة الأولى بصيغة يَفْعَلُ ، وكذلك جواب شرط الفعل الأول من الثلاثة الثانية ، على حين جاء جواب شرط الفعلين الآخرين من المجموعة الثانية على صيغة (فَعَلَ) فما دلالة ذلك ؟ من الواضح أن الآيات الأولى تتحدث عن

---

[1] سورة المطففين ، الآيتان : 2 ، 3 .

[2] سورة المطففين ، الآيات : من 30 إلى 32 .

ظاهرة التطفيف في الميزان التي يمارسها أناس بلا ضمائر في كل عصر ومصر ، وتسبر أغوار نفوسهم المجبولة على الأنانية وحب الاستحواذ على ما ليس من حقها ، عن طريق سرقة الكيل إذا كان متعلقا بغيرهم ، وفي مقابل ذلك يحرصون كل الحرص على استيفاء كامل حقهم إذا اقتنوا من الآخرين شيئا . فالأفعال هنا جميعها حدثت في الماضي وتحدث الآن وستظل تحدث في المستقبل ، ومجيء فعل الشرط بصيغة (فَعَلَ) وجوابه بصيغة يفعل يؤكد أن دلالة (فَعَلَ) ها هنا خرجت عن الدلالة الأصلية لها حسبما حدده لها النحاة ، كما خرجت دلالة الجملة برمتها عن ما قرره النحاة من دلالتها على المستقبل بفعل أثر أداة الشرط (إذا) ، وأضحت الأفعال هاهنا تدل على ماض مستمر في الحاضر ومتجدد في المستقبل. وكذلك الأمر في تصوير موقف الكافرين المجرمين في مواجهة المؤمنين ، من سخرية واستهزاء وتغامز لدى المرور بهم ، فهذا السلوك أضحى سنة ماضية في الخلق ، سار على دربه الكفرة منذ بدء الخليقة وعاشه المومنون ، وما زال أولئك المستهزئون ممارسين له كما ظل الصالحون يعانون منه ، وسيظل ذلك الموقف متجددا إلى يوم يبعثون . فالأفعال هنا بصيغة (فَعَلَ) ، وإن خالف اثنان منها نظراءهما في الآيات الأولى ، فجاء جواب شرطهما بصيغة (فَعَلَ) : ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾[1] ، هي أيضا خرجت عن الدلالة الأصلية المحددة لصيغة (فَعَلَ) بوجه عام .ولكن الذي ينبغي لفت النظر إليه ها هنا أن هذه الأفعال ، كما يذهب إلى ذلك لفيف من المفسرين ، ومنهم الشيخ الطاهر بن عاشور ، وردت في معرض إيراد ما يحدث يوم القيامة ،

[1] سورة المطففين ، الآيات : من 30 إلى 32 .

عندما تتغير المواقع ، ويصبح من كانوا موضع سخريةٍ واستهزاءٍ هم الضاحكون ، ويتحول المستهزئون المتغامزون إلى الجهة المقابلة جزاءً وِفاقا لما بدر منهم . إن هذه الآيات واردة في معرض حكاية ما يُقال للفريقين يوم القيامة تذكيرا لهم بما كان يحدث في الحياة الدنيا ، بدليل تعقيب الله تعالى على هذا الحديث ، بقوله ، إثر ذلك مباشرة : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1] . يقول الشيخ ابن عاشور، معلقا : « هذا من جملة القول الذي يقال يوم القيامة للفجار المحكي بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] لأنه مرتبط بقوله في آخره ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3] إذ يتعين أن يكون قوله ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [4] حكاية كلام يصدر في يوم القيامة ؛ إذ تعريف (اليوم) باللام ونصبه على الظرفية يقتضيان أنه يوم حاضر مؤقت به الفعل المتعلق هو به . ومعلوم أن اليوم الذي يضحك فيه المؤمنون من الكفار ، وهم على الأرائك ، هو يوم حاضر حين نزول هذه الآيات (. . .) ولأن قوله ﴿ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [5] ظاهر في أنه حكاية كونٍ مضى ، وكذلك معطوفاته من قوله : (وَإِذَا مَرُّواْ ـ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ ـ وَإِذَا رَأَوْهُمْ) فدلَّ السياق على أن هذا الكلام حكاية قول يُنَادَى به يوم القيامة من حضرة القدس على رؤوس الأشهاد » [1] . وإذا كان الأمر

---

[1] سورة المطففين ، الآيات : من 34 إلى 35 .

[2] سورة المطففين ، الآية : 17 .

[3] سورة المطففين ، الآية : 34 .

[4] سورة المطففين ، الآية : 34 .

[5] سورة المطففين ، الآية : 34 .

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 209/30 .

كذلك ، فينبغي أن نُفهم الآيات التي تتحدث عن استهزاء المجرمين بالمؤمنين على أنها واردة في سياق ما يقوله الله يوم القيامة تذكيرا لهؤلاء المجرمين بماضيهم وسوء مسلكهم تجاه المؤمنين تنديما وتشميتا ، وإشهادا لهم على تبادل المواقع في هذا اليوم بينهم وبين المُستَهزأ بهم من قبلُ . ومن ثم يمكن أن نخلص إلى أن دلالة صيغة (فَعَلَ) في هذه الآيات الأخيرة انصرفت عن دلالتها الأصلية إلى الدلالة على ماض مستمر متجدد ضمن المستقبل ، أي يُحكى في المستقبل عن حدوثه في الماضي وتجدده واستمرار وقوعه ، طوال الحياة الدنيا .

وإلى جانب هذه الأفعال التي انصرفت فيها الدلالة عن دلالتها الأصلية إلى الدلالة على ماض متحدد ضمن المستقبل ثمة خمسة أفعال حافظت على دلالتها الأصلية ، نعني الماضي ، هي فعل (رَانَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] وفعل (أَجْرَمُوا) الوارد في قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] ، وفعل (أُرْسِلُوا) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] وفعل (آمَنُوا) الوارد مرتين ، في الآية السابقة ، وفي قوله عز وجل : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] ، . إن كلا من الإجرام والإيمان موقف اتخذه صاحبه في لحظة معينة من حياته الدنيا ، كما أن الران على القلوب قد وقع حين سلك الفاسقون طريق

---

[1] سورة المطففين ، الآية : 14 .

[2] سورة المطففين ، الآية : 29 .

[3] سورة المطففين ، الآية : 33 .

[1] سورة المطففين ، الآية : 34 .

الانحراف والغواية ، أثناء حياتهم الدنيا ؛ فهي جميعا تدل على الماضي البسيط فحسب ، دون أية دلالة أخرى . أما فعل (ثُوِّبَ) في قوله تعالى : ﴿ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] فهو إذ يشير إلى جزاء الكفار يوم القيامة ، يتحدث عن أمر سيقع لا محالة ذلك اليوم ، وذلك في شكل استفهام تقريري . ومجيء الحديث عن المستقبل بصيغة (فَعَلَ) شبيه لما يتكرر في القرآن كله . بقصد توكيد ما يحدث في الآخرة ، وعده كأنه أمر وقع بالفعل ، ولا سبيل إلى التشكيك في وقوعه . فدلالته على المستقبل لا غبار عليها .

أما فعل (قَالَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] فمن الجلي أن فعل الشرط (تُتۡلَىٰ) الذي جاء بصيغة (يفعل) التي تفيد هنا الاستمرار والتكرار جعل جوابه مندرجا في هذا السياق ، ومعبرا هو أيضا بدوره عن الماضي المتجدد الذي يُسرد ويتحدث عنه في المستقبل ، ومعنى الكلام بعبارة أخرى أن هذا الأفاك الأثيم يتكرر منه نعته للآيات بأنها أساطير الأولين كلما تليت عليه تلك الآيات . ولكن قوله هذا مرتبط بتلاوة الآيات على مسمعه ، والتلاوة تتكرر ، وقد يأتي معها مزامنا لها ، أو بالأحرى عقبها ولو فور الشروع في التلاوة مباشرة ، وقبل الفراغ منها . فالقول يوجد بوجود التلاوة ، وينعدم بانعدامها ، وبينهما ارتباط وتتابع من حيث الزمن كما بينا . والأمر ذاته يصدق على فعل (مَرُّواْ) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] . ولئن

---

[1] سورة المطففين ، الآية : 36 .

[2] سورة المطففين ، الآية : 13 .

[1] سورة المطففين ، الآية : 20 .

كانت صيغة الجملة هنا معاكسة لسابقتها شكلا ، إذ فعل الشرط وارد بصيغة (فَعَلَ) بينما جاء فعل جوابه بصيغة (يَفْعَلُ) ، فإن التغامز لا يحدث إلا عند المرور ، وهو أيضا مزامن له ، أو حاصل عند الشروع في المرور ، كما توضحه الصيغة . وهكذا يتبين أن وجود صيغة يفعل في أحد طرفي الشرط أسهم في تحويل دلالة صيغة (فَعَلَ) لتعبر عن الماضي المتكرر والمتجدد والمستمر إلى أمد بعيد ، وهنا يتبين بجلاء أن ظاهر بنية الجملة يشير إلى أن زمن فعلي الشرط هو المستقبل بسبب أثر الآداة (إذا) التي تحول صيغة (فَعَلَ) إلى الدلالة على المستقبل ، كما قرره النحاة ، ولكن التعمق في الدلالة بإزاء السياق يبين أن الأمر يتعلق بحكاية ما حدث في الدنيا من تغامز لدى مرور المؤمنين ، وهو تغامز حدث مرارا وتكرارا في كل زمان ، لدى وجود المؤمنين ، وظل يحدث باستمرار إلى أن زال الوجود البشري في الأرض . ولكنه ، بإزاء اللحظة التي يُتحدث عنه فيها لم يعد إلا ماضيا انقضى ولم يعد له من وجود .

ومثلما ورد لفظ (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ) في سورة الانفطار مرتين ، ورد اللفظ ذاته هنا أيضا مرتين ، يصدق على كل منهما ما أوردناه على سابقيهما ، من حيث دلالتهما على الماضي المستمر كذلك .

وتستوقفنا في نهاية حديثنا عن سورة المطففين أربعة أفعال للكينونة وردت في تراكيب من نمط واحد قوامه فعل الكينونة بصيغة (فَعَلَ) وجملة فعلية قائمة على فعل بصيغة (يَفْعَلُ) في موقع خبر . وهذه الأفعال هي : ثلاثة أفعال بلفظ (كَانُواْ) وردت في قوله تعالى : ﴿كَلَّآ

بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ [1] وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ [2] وفي قوله تعالى :﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ [3] وفعل واحد بلفظ (كُنتُم)جاء في قوله سبحانه:﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ [4].

ومن الجلي أنها جميعا ، عند تحليلها نلقاها متخذة النمط الآتي :

كَانُواْ يَكۡسِبُونَ

كَانُواْ (...) يَضۡحَكُونَ

كَانُواْ يَفۡعَلُونَ

كُنتُم (...) تُكَذِّبُونَ

إن تأمل هذه الصيغ في مواضعها يوقفنا على سمة مشتركة لها كلها ، هي كون معنى الاستمرار في أفعالها مقصود قصدا فنيا يُدْرَكُ كنهه عند إعمال النظر في المعنى الذي تدل عليه الصيغة المركبة بجزأيها : فعل الكينونة والفعل الأساس . إن تكذيب الكافرين دائم متجدد لا ينقطع ، مما يجعلهم مستحقين لأشد العقاب وأوجعه ؛ والأمر نفسه ينطبق على تكذيبهم وأفعالهم الإجرامية وعلى ضحك المؤمنين منهم يوم القيامة . وقد وقف عند هذا الجانب الشيخ الطاهر بن عاشور ، لدى حديثه عن هذه الآيات : « ومجيء يكسبون بصيغة

---

[1] سورة المطففين ، الآية : 14 .

[2] سورة المطففين ، الآية : 29 .

[3] سورة المطففين ، الآية : 36 .

[4] سورة المطففين ، الآية : 17 .

المضارع دون الماضي لإفادة تكرر ذلك الكسب وتعدده في الماضي . وفي ذكر فعل (كَانُواْ) دون أن يقال ما يكسبون ، إشارة إلى أن المراد : ما كسبوه في أعمارهم من الإشراك قبل مجيء الإسلام (. . .) ولحق بذلك ما اكتسبوه من وقت مجيء الإسلام إلى أن نزلت هذه السورة ، فهي مدة ليست بالقصيرة » [1] .ويضيف في موضع لاحق : « ويؤذن تركيب (كَانُواْ يَضْحَكُونَ) بأن ذلك صفة ملازمة لهم في الماضي ، وصوغ (يَضْحَكُونَ) بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم وأنه ديدن لهم » [2]

إن الشيخ الطاهر بن عاشور في وقفته هذه ليس إلا يكن إلا مقتفيا آثار النحاة منذ عهود غابرة حتى الآن ، حين أبانوا أن هذه الجمل بصيغها المركبة التي قوامها فعل الكينونة بصيغة (فَعَلَ) متبوعا بفعل آخر بصيغة (يَفْعَلُ) ، أي صيغة (كان يفعل) ، تدل على الماضي الاستمراري . ولقد ازداد الاهتمام بهذه الجوانب لدى الدارسين المحدثين من مستشرقين وعرب ، ومن هؤلاء الأستاذ حامد عبد القادر الذي توقف بإسهاب عند هذه المسألة منذ عهد مبكر (نهاية الخمسينيات) في بحث له عن معاني الماضي في القرآن الكريم فذكر أن الماضي الاستمراري في العربية يتركب من جزأين : أولهما ماضي فعل الكينونة ، وثانيهما المضارع الدال على الفعل الأساسي المراد التعبير عنه ، وعندئذ يتعين أن يتحد المسند

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/ 200 .

[2] المصدر نفسه . 30/ 210 .

إليه في الفعلين من حيث العدد والنوع والشخص . [1] وعلى الدرب ذاته سار الدكتور مهدي المخزومي ليخلص إلى أن صيغة كان يفعل وما على مثالها تُستعمل للتعبير عن استمرار الحدث في فترة من الزمان الماضي [2] .

ومما تقدم نخلص إلى أن الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) في هذه السورة ، وهي واحد وعشرون فعلا كما أسلفنا ، لم يحتفظ منها بالدلالة الأصلية للصيغة ، أي الماضي المطلق ، غير خمسة (05) أفعال ، أي ما يمثل نسبة 23,80 % ، وفي مقابل ذلك نسجل أن أحد عشر(11) فعلا ندور في فلك الماضي المستمر المتجدد ، وهو ما يمثل نسبة 52,38 % ، باستثناء أفعال الكينونة الأربعة (04)التي دخلت على أفعال بصيغ (يَفْعَلُ) فقلبت معناها بدورها للدلالة على الماضي المستمر المتجدد أيضا ، مما يجعل النسبة ترتفع فتصل إلى 71,42 % . ور يبقى بعد ذلك إلا فعل واحد (01)انصرف للدلالة على المستقبل ، أي بنسبة 04,76 % . وكل ذلك تتضمنه الجداول البيانية رقم 15 ، 16 ، 17 ، 18 .

[1] حامد عبد القادر : معاني الماضي في القرآن الكريم . مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء 10 . السنة 1958 . القاهرة . ص 67 وما بعدها .

[2] مهدي المخزومي : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه . ص 156 .

سـورة الانـشـقـاق :

أما سورة الانشقاق فقد احتوت هي الأخرى تسعة عشر (19) فعلا بصيغة (فَعَلَ) ، من بين واحد وعشرين (31) فعلا واردة في هذه السورة ، أي بنسبة 61,29 % ، من الأفعال الواردة بهذه الصيغة ما جاء دالا على الماضي ، ومنها ما جاء دالا على المستقبل ، ومنها ما كانت له دلالات خاصة ، وهذا الاختلاف مرجعه إلى السياق العام . أي إلى السورة ، وإلى القرائن اللفظية (من ضمائم وأدوات ولواصق قبلية وبعدية) متصلة بالفعل .

والمجموعة الأولى من هذه الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) هي تلك التي دلت على الماضي ، وهي الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] ، إضافة إلى فعل الكينونة الموصوف لدى النحاة بأنه من النواسخ ، وبانه فعل ماض ناقص ، كما هو معلوم ، وقد ورد في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [2] . والذي يُستقى من السياق والتفاسير أن زمن هذه الأفعال قد مضى وانقضى . قال ابوحيان في تفسير ﴿ إِنَّهُۥ

---

[1] سورة : الانشقاق ، الآية : 14 .

[2] سورة : الانشقاق ، الآية : 21 .

[3] سورة : الانشقاق الآية : 22 .

[1] سورة : الانشقاق ، الآية : 25 .

[2] سورة : الانشقاق ، الآية : 13 .

ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] : « أي أن لن يرجع إلى الله ، وهذا تكذيب بالبعث ، بلى : إيجاب بعد النفي ، أي بلى ليحورنَّ » [2] . أما الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] فقد فسر فيها القرطبي السجود المذكور بالصلاة . وهنا ينبغي التنبيه إلى أن الزمن الماضي يصلح لهذه الآية ، كما يصلح أن أن يكون زمنها الاستمرارية والدوام ، لأن التأبي على السجود أو الصلاة كان ويكون منذ بدر الخليقة إلى منتهاها ، فهذه الفئة من البشر موجودة إذن في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض زمن عليها . ومن ثم فهذا الفعل يمكن أن يدرج ضمن الأفعال التي نعتنا زمنها من قبلُ بأنه الماضي المستمر المتجدد .

أما الأفعال الأحرى الواردة بالصيغة ذاتها فهي في مجموعها دالة على المستقبل ، إذ دل عدد مها على ما يحدث في نهاية الدنيا ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ ﴾ [4] ، وعند الآية الأولى منها وقف الشيخ الطاهر بن عاشور حين نبه إلى أن (إذا) « ظرف للزمان المستقبل ، والفعل الذي في الجملة المضافة إليه (إذا) مؤول بالمستقبل وصيغ بالمضي للتنبيه على تحقق وقوعه ، لأن أصل (إذا) انقطع بوقوع الشرط (. . .) وقدّم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ ﴾ [5] دون أن يقال : إذا انشقت السماء لإفادة تَقَوِّي الحكم ، وهو التعليق الشرطي ، أي إن هذا الشرط محقق الوقوع ، زيادة على ما يقتضيه (إذا

---

[1] سورة : الانشقاق ، الآية : 14 .

[2] أبو حيان : البحر المحيط . 447/6 .

[3] سورة : الانشقاق، الآية : 14 .

[4] سورة : الانشقاق، الآيات : من 1 إلى 5 .

[5] سورة : الانشقاق، الآية : 1 .

) في الشرطية من قصد الجزم بحصول الشرط بخلاف (إِنْ) » [1] . وقمة جملة من الأفعال الأحرى واردة بالصيغة ذاتها ودالة على المستقبل ودل عدد آخر منها على جزاء المؤمنين وعقالب الكافرين حينذاك : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

إن هذه الأفعال الواردة إذن بصيغة(فَعَلَ) تتحدث جميعها عن المستقبل ، ولكن الفئة الأولى تَحْدُث قبل الثانية يقينا . فالمستقبل متفاوت من حيث قربه من الحاضر ، أو من لحظة نزول الآية ، أو تلفظ القارئ بها . أما الأفعال الواردة في القسم المذكور في قوله تعالى : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [1] فهي تتحدث عن ظواهر كونية تتجدد وتحدث دوما ، حتى زوال الدنيا ، فهي أفعال زمنها ماض مستمر متجدد .

ولعل أهم ما يستوقفنا في الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) في هذه السورة فعل الكينونة في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [2] وهو مختلف عن نظيره السابق في السورة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [3] ، ذلك أن هذا الفعل هو المنعوت لدى النحاة القدماء بـ " كان الإلهية " ودلالته « تشمل الأزمنة الثلاثة : الماضي ، الحاضر ،

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 218/30 .

[2] سورة : الانشقاق، الآيات : من 7 إلى 14 .

[1] سورة : الانشقاق، الآيات : من 16 إلى 19 .

[2] سورة : الانشقاق، الآية : 15 .

[3] سورة : الانشقاق، الآية : 15 .

والمستقبل ، بحجة وجود القرينة التي هي " الله " عز وجل ، إذ لا يُعقل أن يكون الله عليما حكيما في الماضي فقط ، بل كان ولا يزال وسيبقى كذلك في كل الأزمنة » [1] .وهذه الفكرة هي التي تبرز عند فخر الدين الرازي في معرض ما نقله من أقوال مأثورة لتفسير هذه الآية ، حيث قال : « أما قوله : فقال الكلبي :كان بصيرا به من يوم خلقه إلى أن بعثه . وقال عطاء : بصيرا بما سبق عليه في أم الكتاب من الشقاء ، وقال مقاتل : بصيرا متى بعثه . وقال الزجاج : كان عالما بأن مرجعه إليه ، ولا فائدة في هذه الأقوال ، إنما الفائدة في وجهين ذكرهما القفال (الأول) أن ربه كان عالما بأنه سيجزيه (والثاني) أن ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي ، قلم يكن يجوز في حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله ، وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي » [1]

وفعل الكينونة هذا ، على ما يجمع الدارسون المحدثون ، ليس دالا على الماضي ، ولكنه ، حسب تعبير فئة منهم ، متجرد من الزمن ولا غاية له إلا التوكيد [2] ؛ أو هو ، لدى فئة أخرى ، معبر عن الزمن المطلق ، وهم في ذلك يضاهون قول القدماء .

إن هذه السورة إذن قد حوت ، كما رأينا ، من بين أفعاله التسعة عشر (19) الواردة بصيغة (فَعَلَ) ستة (05) أفعال دالة على الزمن الماضي ، وهو مايمثل نسبة 26,31 % ، وجاءت فيها عشرة (10) أفعال من هذه الصيغة دالة على المستقبل

---

[1] السعيد هادف : وكان الله عليما حكيما . دراسة لغوية تحليلية لفعل الكينونة . بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية . جامعة باتنة . العدد 03 . جوان 1995 . ص 68 ـ 69 .

[1] فخر الدين الرازي : التفسير الكبير . المجلد السادس عشر . 109/31 .

[2] السعيد هادف : المرجع السابق . ص 72 ـ 75 .

بسبب السياق ، وبذلك تفوقت هذه الدلالة على ما سواها بنسبة 52,63 % ، ولم يدل على الماضي المتجدد إلا ثلاثة (03) أفعال ، أي بنسبة 15,78 %. أما فعل الكينونة المتفرد هنا والمتجرد من الزمن متمحضا للتأكيد أو الدال على الزمن المطلق فلم يمثل هنا إلا نسبة 05,26 % . وكل ذلك تبرزه الجداول البيانية رقم 19 ، 20 ، 21 ، 22 .

سـورة البروج :

أما سورة البروج فإن أول ما يثير الانتباه فيها قلة عدد الأفعال الواردة فيها بصيغة (فَعَلَ) بالقياس إلى ما سبقها وبالنظر إلى عدد آياتها ، وليس بالقياس إلى عدد الأفعال الواردة فيها ، فمجموع الأفعال الواردة فيها اثنا عشر (12) فعلا ، من بينها سبعة (07) أفعال وردت بصيغة (فَعَلَ) ، وهو ما يمثل نسبة 58,33 % . ولعل طغيان الجمل الاسمية في السورة يفسر قلة عدد الأفعال في هذه السورة . لقد قص الله عز وجل لنا في هذه السورة خبر أصحاب الأخدود وما كانوا يفعلونه بالمؤمنين ، ثم جاء ذكر من تشابه مع أصحاب الأخدود في الظلم والطغيان والتعذيب ، وهم فرعون وثمود ؛ وهذا هو السياق العام لهذه السورة . ومن المفروض أن تكون الأفعال دالة على الماضي ، لكونها تسرد لنا قصص الغابرين وأخبارهم ، غير واقع استعمال صيغة (فَعَلَ) ودلالاتها في هذه السورة يطلعنا على خلاف ذلك . إن الأفعال التي جاءت بصيغة (فَعَلَ) سبعة ، كما ذكرنا ، وهي (قُتِلَ . نَقَمُواْ . فَتَنُواْ . ءَامَنُواْ . وَعَمِلُواْ . أَنَتَكَ . كَفَرُواْ) ، ولكن التي على الزمن الماضي سواء أكان ذلك بالصيغة أم كان عن طريق السياق لا تتجاوز فعلين (02) اثنين ، هما (نَقَمُواْ . أَنَتَكَ) ، أي ما يمثل نسبة 28,57 % من الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) . وإذا بحثنا عن فاعل (وَمَا نَقَمُواْ) وجدناه يدل على أصحاب الأخدود ، أولئك الذين عذبوا كوكبة من المؤمنين في عهد غابر . والفعل من ثم وارد في سرد أخبار هؤلاء . أما الفعل الثاني ، وهو (هَلۡ أَتَىٰكَ) فقد قال عنه أبو حيان : « هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ [1]: تقرير

[1] سورة البروج ، الآية : 17 .

لحال الكفرة ، أي قد أتاك حديثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم من العقوبات بسبب تكذيبهم » [1]. وإذا أعملنا النظر في قول أبي حيان هذا تأكدت لنا هذه الدلالة لفعل (أَنَىٰكَ) المسبوق بـ (هل) التي أفادت الاستفهام التقريري ، أي قد أتاك ، لأن قد التي تسبق الفعل الماضي تؤكد وقوع الحدث في زمن مضى .وفضلا عن ذلك ، فإن عبارة (هَلْ أَنَىٰكَ) التي تكررت في مواضع عديدة من القرآن الكريم كثيرا ما ترد في معرض التمهيد التشويقي لسرد قصص وأحداث ماضية في أسلوب القصص ، كما ذكر هذا الدكتور إبراهيم السامرائي .[1]

وإلى جانب هذين الفعلين ثمة أربعة (04) أفعال أخرى وهي : (فَنَوْاْ . ءَامَنُواْ . وَعَمِلُواْ . كَفَرُواْ) ، تدل على الماضي ، غير أنها قد تُحمل على الدلالة على الماضي المستمر المتجدد ، فالإيمان وعمل الصالحات والكفر وفتنة المؤمنين أعمال عرفتها البشرية منذ بدء الخليقة حتى يوم البعث والنشور . والقرآن الكريم يتحدث عنها بوصفها مولقف وتصرفات لا ترتبط بفئة معينة من الناس وُجدت وعاشت قي زمن معين محدد ، بل يتحدث عنها بحسبانها أعمالا نمطية تحدث في كل زمان ومكان .

أما فعل (قُتِلَ) فقد اختلف فيه المفسرون . وذهبوا فيه مذاهب شتى . فهناك من فهمه على أنه يعني اللعن ، وهذا ما نقله الشيخ الطاهر بن عاشور حين قال : « وقوله :

---

[1] أبو حيان الغرناطي : البحر المحيط . 8/ 452 .

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل : زمانه وأبنيته . ص 28 .

﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ صيغته تشعر بأنه إنشاء شَتْمٍ لهم شتمٌ خِزْيٍ وغضب ، وهؤلاء لم يُقتلوا ، ففعل قُتِلَ ليس بِخَبَرٍ بل شَتْم ، نحو قوله تعالى :﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وقولهم : قاتَلَهُ اللهُ ، وصدوره من الله يفيد معنى اللعن ، ويدل على الوعيد لأن الغضب واللعن يستلزمان العقاب على الفعل الملعون لأجله »[2] . وهناك من جعل ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ جوابا للقسم الذي ابتدأت به السورة ، والكلام إذن خبر ، وتقديره : لقد قُتِلَ أصحاب الأخدود ، وعندئذ يكون المقصود بأصحاب الأخدود إما أولئك المعذبين الظالمين وإما الذين أُوذوا وَعُذِبُوا ، ولفظ أصحاب عندئذ مستعمل في معنى مجرد المقارنة والملازمة ، كما هو معهود في لغة العرب قبل الإسلام . وهذا ما ذكره فخر الدين الرازي حين ذهب إلى أنه يمكن « أن يكون المراد أن أولئك القاتلين قُتلوا بالنار على ما ذكرنا أن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم ، وأما إذا فسرنا أصحاب الأخدود بالمقتولين كان المعنى أن أولئك المؤمنين قُتلوا بالإحراق بالنار ، فيكون ذلك خبرا لا دُعاءً »[3] ، وهماك من رأى أنه يعني الدعاء ، ومن هؤلاء القرطبي الذي قال : « ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ دعا على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله تعالى »[4] . فإذا أخذنا بالتفسير الثاني لم يكن لنا إلا أن نجعل زمن الفعل محصورا في الماضي المنقطع ، بوصفه سردا لواقعة

---

[1] سورة البروج ، الآية : 4 .
[2] سورة الذاريات ، الآية : 10 .
[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 30/ 240 .
[1] سورة البروج ، الآية : 4 .
[2] فخر الدين الرازي : التفسير الكبير . المجلد السادس عشر . 31/ 119 .
[3] سورة البروج ، الآية : 4 .
[4] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . 19/ 292 .

جرت في زمن انقضى . أما إذا أخذنا بالتفسير الأول وجعلنا الفعل الواقع في جملة إنشاء كنظيره في التفسير الثالث ، فإن زمنه يصبح مستقبلا بلا ريب ، ذلك أن الدعاء لا يكون زمنه إلا مستقبلا . يقول الدكتور إبراهيم السامرائي : « يأتي بناء (فَعَلَ) في أسلوب الدعاء بالخير ، وهو من غير شك يشير إلى المستقبل ، نحو : رضي الله عنه ، ورحمه الله ، كما يأتي في الدعاء بالشر منفيا بـ (لا) ، نحو : لا رحمه الله ، ولا رضي الله عنه » [1] .

إن هذه السورة إذن حوت فعلين فقط دلا على الماضي ، وهو ما يمثل نسبة 28,57 % كما أسلفنا ، وورد فيه إلى جانب ذلك أفعال أخرى أربعة يمكن أن تُحمل على الماضي ، كما يمكن أن تكون لها دلالة على الماضي المتجدد ، وهي تمثل نسبة 57,14 % ، أما الفعل الوحيد المتبقي من السبعة فهو الدال على المستقبل ، ويمثل نسبة **14.28** % من مجموع الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) في هذه السورة . ويجدر التنبيه هما إلى أن السورة تخلو من أفعال الكينونة . والجدولان البيانيان رقما 23 ، 24 يوضحان ما حوته السورة .

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل العربي . زمانه وأبنيته . ص 28 .

سـورة الـطـارق :

ونمضي إلى سورة الطارق لنجدها أقل من سابقتها من حيث وجود الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) ، فهي لم تتضمن إلا ثلاثة (03) هي : (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ـ مِمَّ خُلِقَ ـ خُلِقَ) **من بين عشرة** (10) **أفعال تضمنها السورة ، وذلك ما يمثل نسبة** 30 % . ومن الواضح أن الفعل الأول (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ) **لا تختلف دلالته عن نظيراتها في مختلف سور القرآن الكريم .ودلالته على الماضي المتجدد جلية ، كما أوضحناه قي حديثنا عن سورة الانفطار . والدلالة الزمنية ذاتها نصدق على الفعلين الآخرين :** (خُلِقَ) **الأول الذي ورد في معرض الاستفهام أداته** (مِمَّ) ، **و الثاني** (خُلِقَ) **الوارد في معرض الإجابة عليه ، وكلاهما يتعلق بأمر يتكرر حدوثه ، لأنه مرتبط بالوجود الإنساني على وجه الأرض ، مثلما اقتضت المشيئة الإلهية ذلك . فالفعلان هما أيضا يدلان على الماضي المتجدد ، وهو أمر من الدلالات الأصيلة لهذا البناء ، كما أكده الدكتور إبراهيم السامرائي حين قال :** « (فَعَلَ) قد يشير هذا البناء إلى أن الحدث وقع في الماضي ، على أنه أمر قد تردد وقوعه مرات عدة ، نحو : أشرقت الشمس وطلع الفمر » [1] . فالأفعال الثلاثة الواردة إذن في هذه السورة جميعها تدل على الماضي المتجدد ، ولا دلالة أخرى لهذه الصيغة في هذه السورة .والجدولان البيانيان رقما 25 ، 26 يوضحان ذلك .

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل العربي . زمانه وأبنيته . ص 28 .

الحزب الأخير :

لا يختلف استعمال صيغة فَعَلَ عموما في هذا الحزب الأخير الواقع بين سورتي الأعلى والناس عما رأيناه في مختلف سور الحزب السابق . وقد تضمن هذا الحزب 28 سورة تفاوتت من حيث عدد آياتها ، بين سورة الفجر التي بلغ عدد آياتها 30 أية وسور العصر والكوثر والنصر التي لم يتحاوز عدد آيات كل منها 3 آيات ، كما تفاوت عدد الأفعال الواردة في كل سورة ، بين 32 فعلا في سورة الفجر ، و 3 أفعال في كل من سور القدر وقريش والكوثر والناس . أما عدد الأفعال الواردة بصيغة " فَعَلَ" وما تفرع منها فقد بلغ 157 فعلا ، وهو ما يمثل نسبة 53,40 ٪ من مجموع الأفعال الواردة في هذا الحزب وعددها 294 فعلا .

ومن الظواهر التي تكررت في هذا الحزب ، ولها نظائرها في الحزب السابق ، ورود صيغة " فَعَلَ "في معرض الحديث عن أحداث وقعت في الماضي ، وتقع الآن ، ويستمر وقوعها إلى قيام الساعة ، ففي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [1] نلحظ أن الخلق والتسوية والتقدير والهداية ، وكذلك إخراج المرعى وجعله غثاء أحوى ، لا يمكن أن تكون قد وقعت في الماضي المطلق غير المحدد وانقضت ، وإنما هي بكل تأكيد أفعال حدثت منذ بدء الخليقة ، ويتكرر حدوثها كل يوم ما استمرت دورة الحياة ، حياة الإنسان والحيوان والنبات على وجه البسيطة ، أو هي على حد تعبير إبراهيم السامرائي الذي أوردناه قبل قليل تشير « إلى أن الحـــدث وقع في

[1] سورة الأعلى ، الآيات : من 2 إلى 5 .

الماضي على أنه أمر كان قد تردد وقوعه مرات عديدة » [1] . وهذا ما يمكن أن ننعته بالماضي المتجدد . ويذهب احمد الملاخ إلى أن ما استخلصه السامرائي تأويل مصطنع « لأن المتكلم يشير إالى حدث وقع في الماضي ، أما تكراره في الماضي فهو مرتبط بالمعارف المشتركة بين المتكلم والمخاطب حول العالم الخارجي ، ويحتاج هذا التأويل إلى قرائن سياقية » [2] . ويخلص بعد ذلك إلى الدعوة إلى التفريق بين التكرار في المحور الزمني الواحد ، وذلك ما تفيده صيغة " فَعَلَ " ، كما في قولنا : سعل زيد طيلة اليوم ، وبين التكرار في محاور زمنية متعددة تفيده صيغة " يَفْعَلُ " ، كما في قولنا : يذهب زيد إلى المقهى كل صباح « فالقراءة الأولى تنتج تكرارا محدودا في محور زمي واحد . والجملة الثانية لها دلالة الاعتياد habitual . وفي غياب نظرية للزمن والجهة يستعصي ضبط الفرق بين التأويلين » [1] .

والحق أن السامرائي لم يتحدث عن دلالة الصيغة مفردة على تردد وقوع الفعل عدة مرات ، بل ترك الأمر مفتوحا ولم يكن في حاجة إلى النص على أن تلك الدلالة متولدة من السياق ، لأن من المعلوم بالبداهة أن التمييز بين دلالات الصيغ لا يتولد بالضرورة إلا من السياق . وفضلا عن ذلك فإن جملة طيلة اليوم هي التي صرفت دلالة تكرار صيغة " فَعَلَ " إلى ما نعته الملاخ بـ " المحور الزمني الواحد " بينما صرفت عبارة كل صباح دلالة تكرار صيغة " يَفْعَلُ " إلى ما نعته بـ " محاور زمنية متعددة " . ومن ثم بإمكان صيغة " فَعَلَ" أن تنصرف إلى دلالة التكرار فيها إذا اقترنت بعبارة تشير إلى ذلك ، كأن نقول مثلا : اعتاد زيد قراءة

---

[1] إبراهيم السامرائي : الفعل العربي . زمانه وأبنيته . ص 28 .

[1] امحمد الملاخ : الزمن في اللغة العربية . بنياته التركيبية ودلالاته . ص 50 .

[2] المرجع نفسه . ص 50 .

الجريدة كل يوم . . وإذا كان تمام حسان يجعل وظيفة صيغة " كانَ يفْعَلُ " ﴿ هي الدلالة على الماضي المتجدد فإن الأمثلة السابقة تقدم لنا حجة على أن لا مانع أيضا من نعت استعمال صيغة " فَعَلَ " ضمن السياقات المماثلة للسياق التي وردت فيه هاهنا ، بـ " الماضي المتجدد " . ولا يفوتنا في هذا السياق أن نتوقف أيضا وقفة يسيرة إلى ما تشير إليه الأفعال الواردة في الآيات التي استشهدنا بها من تتابع في أحداثها متولد عن الفاء الرابطة بينها ، وخصوصا قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ ﴿ ؛ فمن الجلي أن جعل المرعى غثاء أحوى لا يحدث إلا بعد زمن طويل من إخراجه ، كما هو معلوم . فزمن الجعل متأخر عن زمن الإخراج ، مع أن كليهما يحدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، أو بكلمة واحدة في الماضي المتجدد ، أي أنه يمكننا أن نتحدث ضمن جهة واحدة ، هي الماضي المتجدد ، عن زمنين هما : ما قبل الماضي : أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ، والماضي : فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ . ولئن كانت ظاهرة تتابع الأزمنة قد وردت هنا في جهة المتجدد ، فإنها وردت في جهات أخرى ، في مواضع أخرى من هذا الحزب ، كورودها ضمن جهة الماضي المطلق ، كما في قوله تعالى :﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ [2] وقوله : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [3] . وكما في معرض سرد القصص القرآني في نحو قوله هز وجل : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾

---

[1] تمام حسان : اللغة العربية ـ مبناها ومعناها . ص 245 .

[1] سورة الأعلى ، الآيتان : 4 ، 5 .

[2] سورة الشمس ، الآيات : من 1 إلى 4 .

[3] سورة الليل ، الآيتان : 1 ، 2 .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ ﴾[1] ؛ فمن الواضح أن الأفعال الواردة في هذه الآيات ليست متزامنة ، ولا يتصور وقوعها في لحظة واحدة ، وقول الرسول وتحذيره سابق على التكذيب المتجسد لاحقا في عقر الناقة ، ثم وقوع العقوبة المتمثلة في الدمة التي دكت الأرض وسوتها . فبين كل فعل وآخر برهة زمنية صغرت أم كبرت .وذلك متولد عن الفاء اللاصقة التي تسبق كل فعل من هذه الأفعال ، وهي الفاء التي ينعتها النحاة القدماء بأنها لـ " الترتيب " و " النعقيب " . يقول ابن هشام الأنصاري ، في معرض حديثه عن الوجوه التي ترد عليها الفاء ، ومنها العطف الذي يقيد أمورا عدة ، « أحدها : الترتيب ، وهو نوعان : معنوي ، كما في " قام زيد فعمرو " ، وذِكْري ، وهو عطف مفصل على مجمل (. . .) الأمر الثاني : التعقيب ، وهو في كل شيء بِحَسَبِه ، ألا ترى أنه يُقال " تزوج فلان فوُلِدَ له " إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل ، وإن كانت متطاولة ، و " دَخَلْتُ البصرةَ فبغدادَ " إذا لم تُقِمْ في البصرة ولا بين البلدين » [1] . وقد أشار بعض المحدثين أيضا إلى وظيفة هذه الفاء التي تكون في معناها « عاطفة تحمل معنى الترتيب للأحداث ، فتفيد حدوث الأول قبل الثاني ، وإن كان على وجه السرعة ، وذلك يفيد في تقسيم الجهات ، ففي مثل قولنا : " دخل محمد فعمرو . دخل محمد فدخل عمرو ، فإن كان الفعل بالقرائن تحدد زمانه بالماضي ، فإن الفعل الأول الأول سيكون للماضي البعيد ، أما الثاني فسيكون للقريب ، ولو دلت القرائن على أن الفعل في

[1] سورة الشمس ، الآيات : من 13 إلى 15 .

[1] ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . 1 / 183 ـ 184 .

الماضي البعيد ، فإن الفاء تحدد جهة الأبعد بالنسبة للفعل الأول » [1]

ومن استعمالات صيغة " فَعَلَ " التي تكررت في هذا الحزب ، كما تكررت في سور الحزب الذي سبقه ، استعمالها لسرد أحداث وقعت في الماضي ، كما هو الحال في الأفعال التي تتحدث عن بداية الكون وخلقه ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1] ، نجد حديثا عن خلق الإبل ، ورفع السماء ونصب الجبال ، وسطح الأرض ، وكلها أفعال تمت وانقضت في بدء الخليقة ، أي في ماض بعيد ، مثلها مثل الأفعال التي تتحدث عن قصص العابرين من أمم بلغت شأوا كبيرا غي المدنية لكنها كذبت رسل الله ، وأشخاص شادوا بنيانا شامخا مقترنا بطغيان وإكثار للفساد في الأرض ، فحاق بهم جميعا العقاب الإلهي المستحق ، سجلها قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾ [2] ، وسجل مثيلا لها قوله في موضع آخر :﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ [3] وفي سورة الفيل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ

---

[1] محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . ص 166 .

[1] سورة الغاشية ، الآيات : من 17 إلى 20 .

[2] سورة الفجر ، الآيات : من 1 إلى 12 .

[3] سورة الشمس ، الآيات : من 11 إلى 15 .

بَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [1] . إن زمن صيغة " فَعَلَ " الواردة في سرد قصة أصحاب الفيل صرفي ، وليس زمنا نحويا يحدده السياق عموما . أما الضمائم فقد تضمنت هذه الآيات نموذجا دالا على أثرها ، وهو" لم " التي تعد لدى النحاة المحدثين « من الأدوات المبينة لجهة الزمن بعدها » [2] . لقد حولت أداة النفي " لم " صيغة " يَفْعَلُ " من دلالتها الأصلية على الحال أو المستقبـــل إلى الدلالة على الماضي ، على نحو ما في لفظ " أَلَمْ تَرَ " ولفظ " أَلَمْ يَجْعَلْ " ، والذي يدل على هذا التحول في الدلالة الزمنية هو عطف فعل " وَأَرْسَلَ "الوارد بصيغة " أَفْعَلَ " المتفرعة عن " فَعَلَ " ، وذلك « لأن المضارع الذي قلبته " لم " إلى الماضي له قوة الماضي وضعا ، فيُعطف عليه الماضي بصيغة من صيغه المعروفة » [3] . ومثل ذلك ما نلقاه في قوله عز من قائل : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [4] . وقد مر نظير لذلك في سورة النبأ من الحزب السابق .

واستُعملت صيغة " فَعَلَ " في هذا الحزب للدلالة على المستقبل ، حين الحديث عن أحداث القيامة ، كما في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

---

[1] سورة الفيل ، الآيات : من 1 إلى 5 .

[1] مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية . ص 46 .

[2] المرجع نفسه . ص 46 .

[3] سورة الشرح ، الآيات : من 1 إلى 4 .

﴿ ۚ . وإذا كان من الصحيح أن الظرف المضمن معنى الشرط المتمثل في الأداة " إذا " هو الذي قلب الماضي إلى " المضارع " في جملة " إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ " ، فإن السياق ظاهَرَ ذلك ، وأبان عن أن الحديث يتعلق بيوم القيامة . وظرف الزمان هذا المحول للشرط هو الذي انبنت عليه سورة الزلزلة ، حيث افتُتِحت بقوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ ۚ ، ومن الواضح أن السياق هنا أيضا يُفصح عن أن الأمر يتعلق بيوم القيامة ، وهو ما نلقاه أيضا في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ ۘ والقرينة السياقية الدالة عليه هي الحديث السابق عن القارعة . وقد لاحظنا في غير ما موضع من الحزب السابق ، أن الحديث عن القيامة يجيء في أحايين كثيرة بصيغة " فَعَلَ " . ولكن ثمة مواضع أخرى جاءت فيها الأداة " إذا " في سياق مغاير يتحدث عن أحداث مستقبلية ، كما هو الحال في سورة النصر التي يتحدث فيها المولى عز وجل عن مجيء النصر والفتح المبين الذي بعقبه عموم نور الإسلام : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ ۗ . فظرف الزمان المحول للشرط هو الذي قلب في هذه المواضع جهة الفعل من الماضي إلى المستقبل ، وذلك مندرج في ما ينعته الدارسون بالزمن

---

[1] سورة : الفجر . الآيات : من 21 إلى 23 .

[1] سورة : الزلزلة . الآيات : من 1 إلى 3 .

[2] سورة : الفارعة ، الآيات : من 6 إلى 9 .

[3] سورة : النصر . الآيات : من 1 إلى 3 .

النحوي .

ومن صيغ " فَعَلَ " التي تحولت دلالتها من الماضي إلى المستقبل ما ورد منها مستعملا في الإنشاء الإيقاعي في معرض الدعاء، ولم نظفر بمثيل له ، في أي من سور الحزب السابق ؛ فالدعاء الوارد في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [1] لا يتحقق إلا في المستقبل بداهةً .

وإلى جانب دلالات صيغة " فَعَلَ " السابقة في هذا الحزب ، أي الماضي المطلق ، والماضي المتجدد ، والمستقبل ، حملت لنا سور الحزب دلالة لهذه الصيغة على الماضي المستمر الذي يمتد حتى الحاضر ، بل إنه ليمكن نعته بأنه قريب من الحال . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] الذي علق عليه الطاهر بن عاشور بقوله : « ويجوز أن تكون الفاء للتفريع المعنوي فيكون فعل " أَنذَرْتُكُمْ " مرادا به الحال ، وإنما صيغ في صيغة المضي لتقريب زمان الماضي من الحال » [3] .

ومما يلفت النظر في بعض سور هذا الحزب ظاهرة الانتقال من صيغة " فَعَـــلَ "إلى صيغة " يَفْعَلُ " مع بقاء الدلالة الزمنية على ما هي عليه ، ففي مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ [4] نلاحظ

---

[1] سورة : النصر . الآيات : من 1 إلى 3 .

[2] سورة : الليل . الآية : 14 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 20/ 389 .

[4] سورة : الشمس . الآيات : من 1 إلى 8 .

أن الظرف المحول للشرط " إذا " أعقبه فعلا "تَلَيْهَا" و " جَلَّيْهَا " وكلاهما بصيغة " فَعَلَ " وقد دلا كلاهما على زمن ماض ثم تبعهما فعل " يَغْشَيْهَا " الذي جاء على صيغة " يَفْعَلُ " التي دلت هي أيضا هنا على الماضي ، واستمر السياق مستخدما صيغة " فَعَلَ " في أفعال " طَحَيْهَا " ، " سَوَّيْهَا " ، " فَأَلْهَمَهَا " ، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ، وخير مثال له قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [1] والمعنى قتلتم ، لأنه لا بد من « اتفاق الزمن بين المتعاطفين أو الفعلين المرتبطين بسياق واحد أو مقام واحد» [2] أو كما يقول ابن عصفور : « ولا يجوز عطف فعل على فعل إلا بشرط اتفاقهما في الزمان ، والأحسن أن يتفقا مع ذلك في الصيغة . » [3] . إن هذا التحول من صيغة إلى أخرى مع بقاء الزمن هو ما ينعته النحاة والبلاغيون بالالتفات ، وهو التفات لفظي تم فيه التحول من صيغة فعلية إلى أخرى ، من صيغة " فَعَلَ " أي الماضي بتعبير القدماء ، إلى صيغة " يَفْعَلُ " التي ينعتها بعض القدماء بالمضارع . والمرء يدرك دلالة الثانية على الماضي بالاستناد إلى قرائن لفظية ومعنوية واردة في السياق ، وقرائن أخرى تُعلم من خارج السياق .وكل ذلك مندرج ضمن ما يُسمى بالزمن النحوي .

لقد سبق ابن جني إلى اشتراط مثل هذه القرائن ، اتقاءً للبس ، حيث يُرام العدول من صيغة إلى أخرى ، مع الحفاظ على الدلالة الزمنية لإحداهما ، فقال : « وليس كذلك قولك : قُمْتُ غدا ، وسأقوم أمس ، لأنه عارٍ م جميع ما نحن فيه ، إلا أنه لو دل دليل من لفظ

---

[1] سورة : البقرة . جزء من الآية : 87 .

[2] كمال رشيد : الزمن النحوي في اللغة العربية . ص 65 .

[3] ابن عصفور : المقرب . 1/ 236 .

أو حال لجاز نحو هذا ، فأما على تعريه منه وخلوه مما شرطناه فلا يجوز على الإفراد »[1] . ولفظ الإفراد المستخدم ها هنا يؤكد لنا تنبه هذا اللغوي الرائد إلى مسألة التفرقة بين الزمن الصرفي والزمن النحوي .

ويبقى أمر أخير نشير إليه في سور هذا الحزب ، هو ورود فعل الكينونة في موضع واحد فيه مفيدا التوكيد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾[2] . وإذا كان فعل الكينونة قد استُخدم في هذا الحزب في موضعين آخرين ، هما قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾[3] وقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾[4] ، فإن فعل الكينونة في سورة النصر له دلالة مغايرة لهما ، وله خصوصيته التي تميزه والتي لا يناظره فيها ضمن هذا الجزء إلا قوله عز وجل : ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾[5]. إن " كان " التي ينعتها النحاة والمفسرون هنا بـ " الزائدة " ويحترزون تأدبا وتنزيها للقرآن الكريم عن الزيادة ، فيضيفون عبارة " في غير القرآن " ، ليست ذات دلالة زمنية ، بل تضطلع بوظيفة توكيدية ، ذلك بأنهم يخصونها بنعت " الإلهية " »[6] . ونظيرها من صيغة " يَفْعَلُ " المنفية قي قولـــه تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ

---

[1] ابن جني : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت . ط 2 . د . ت . 1/ 236 .

[1] سورة : النصر . جزء من الآية : 3 .

[2] سورة : البلد . الآية : 17 .

[3] سورة : العلق . الآية : 11 .

[4] سورة : الانشقاق . الآية : 15 .

[5] السعيد هادف : " وكان الله عليما حكيما " ـ دراسة لغوية تحليلية لفعل الكينونة . ص 55 ،

﴿٤﴾ خ.

والواضح أنها هنا لاتعبر عن زمن ، بل ترمي إلى تأكيد عدم وجود كفؤ لله نعالى أبدا . مثلما تم تأكيد كونه توابا أبدا .

ومهما يكن من أمر ، فإن صيغة " فَعَلَ " في سور هذا الحزب ذات دلالات زمنية مماثلة لما تقدم من دلالات سور الحزب السابق ، مع وجود خصوصيات توقفنا عند أهمها في الصفحات القليلة السابقة .

ولقد تبين لنا مما تقدم في حديثنا غن استحدام صيغة " فَعَلَ " في هذا الجزء أن هذه الصيغة لها دلالات زمنية متنوعة ، فقد دلت على الماضي المطلق في 152 موضعا من بين 304 موضع ظهرت فيه صيغة " فَعَلَ "وما تفرع منها ، وهو ما يمثل النصف تماما (50 %) ، بينما وجدنا هذه الصيغة تدل على الماضي المستمر في 54 موضعا وهو ما يساوي نسبة 17,76 %، والماضي المتجدد في 05,26 %. ودلت الصيغة على الزمن العام في 05 مواضع ، أي بنسبة 01,54 % وذهبت إلى الدلالة على ما يمكن نعته بماضي المستقبل في 04 مواضع . وإلى جانب ذلك وجدتا هذه الصيغة تنصرف تماما عن الارتباط بالماضي بأدنى صلة وتتمحض للدلالة على المستقبل في 73 موضعا بما يمثل نسبة 24,01 % من مجموع المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ، مثلما يبين ذلك كله الجدولان رقما 81 ، 82 . ولا ريب في أن بلوغ الأفعال الواردة بصيغة " فَعَلَ " وما تفرع منها نسبة تناهز الربع أمر بالغ الأهمية والدلالة على أن ما يدعو إليه بعض المهتمين بالنحو العربي من

[1] سورة : الإخلاص . الآية : 4 .

المحدثين من الفصل بين الصيغة ودلالتها الزمنية ، والبعد عن التسميات التي لا تلتزم معيارا واحدا بخلطها بين زمن الفعل وشكله ، أمر له وجاهته ؛ ومع ذلك ينبغي الإقرار بأن إجماع مدرستي الكوفة والبصرة على إطلاق اسم الماضي على صيغة " فَعَلَ " لم يأت اعتباطا . بل هو اصطلاح قائم على الاستقراء الفعلي لاستعمال الصيغة في الموروث اللغوي القديم ، وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص .

الفصل الثالث :

الفعل " المضارع "

(صيغة يفْعَلُ)

وفعل الأمر

(صيغة افْعَلْ)

سـورة الـنبأ :

لقد ضمت سورة النبأ ستة عشر (16) فعلا على صيغة " يَفْعَلُ " ومتفرعاتها من بين أربعين (40) فعلا ، هي مجموع أفعال السورة ، (بما في ذلك أفعال الكينونة الست الواردة بصيغة (فَعَلَ) كما تقدم في الفصل السابق) ، وهو ما يمثل نسبة 40 % . ومعلوم أن النحاة جعلوا الأصل في هذه الصيغة أن تدل على الحاضر أو المستقبل ضمن شروط معينة ، غير أن الاستعمالات اللغوية والتراكيب والأساليب المختلفة والسياقات التي ترد فيها هذه الصيغة ومتفرعاتها في لغتنا العربية لا تجعلها دالة على الحاضر أو المستقبل فحسب ، بل تمد دلالتها لتشمل الماضي والاستمرار ؛ ذلك أن لهذه الصيغة ومتفرعاتها ، كصيغة (فَعَلَ) ومتفرعاتها ، مثلما رأينا ، زمنا صرفيا ، وهو الذي تحدده الصيغة ، وزمنا نحويا ، وهو الذي يحدده السياق والضمائم والأدوات . . . أما فعل الأمر فليس في السورة منه إلا فعل واحد منه ، وهو ما يمثل نسبة 02,50 % من مجموع أفعال السورة المشار إليها أعلاه .

وقد انقسمت الأفعال المضارعة في هذه السورة أربعة أقسام ، أولها ما دل فيه الفعل على المستقبل ، وهو المتفوق على ما سواه ، وثانيها هو الذي جاء فيه الفعل دالا على الحال ، وثالثها ما انصرفت دلالته إلى الماضي ، وآخرها ما دل على الاستمرارية .

ولنبدأ بالفعل الأول في السورة ، وهو (يَتَسَآءَلُونَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ ﴾[1]. إن الدلالة الزمنية لهذا الفعل هي الحال أو الحاضر . وذلك ما يُستخلص

[1] سورة : النبأ ، الآية : 1 .

بسهولة ويسر من أقوال المفسرين ومنهم الزمخشري الذي قال في كشافه : « يتساءلون : يسأل بعضهم بعضا ، أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، نحو يتداعونهم ويتراءونهم ، والضمير لأهل مكة ، كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم »[1]. كما إن القرائن المعنوية ، أو ما يسمى بالسياق ، تثبت هذه الفكرة ، أي الدلالة على الحال . وطبيعي أن دلالة هذا الفعل على الحال مرتبطة بزمن نزول السورة ، فالتساؤل قائم من المشركين زمن النزول ، ومن ثم فالفعل يعبر عن حال ، ولكن قراءة هذه السورة الآن ، بعد ما يربو عن الأربعة عشر قرنا من نزولها ، يجعل زمن الفعل ماضيا بالتأكيد ، فالمعول عليه إذن في تحديد زمن الفعل هو زمن النزول ، لا زمن التلفظ بالفعل . وهذا يصدق على كل آي القرآن الكريم وما تتضمنه من أزمنة . إن المشركين تساءلوا في زمن مضى وانقضى بالنسبة إلينا ، وهذا ما يسمى بـ " حكاية الحال الماضية "، أو ما يُطلق عليه بالفرنسية " Le present de narration "[2].

وإذا ما تحولنا إلى القسم الثاني من هذه الأفعال ، وهي الدالة على المستقبل ، لاحظنا أنها إما مسبوقة بحروف محَّضَتْها للدلالة على المستقبل ،كالسين[3] في فعل(سَيَعْلَمُونَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾[4] ، أو بكلمة يوم في قوله :﴿

---

[1] الزمخشري : الكشاف . 206/4 .

[2] Dictionnaire LAROUSSE . Canada by S–P-A-D-E-M et A-D-A-G-P . p 616 .

[3] ابن هشام : مغني اللبيب . 147/1 .إبراهيم السامرائي : الفعل العربي : زمانه وأبنيته . ص 32 ـ 32 .

[4] سورة : النبأ ، الآيتان : 4 ، 5 .

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ [1] وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ [2] وقوله : ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ [3] ، أو بأداة من أدوات النصب (لَنْ) في قوله عز وجل : ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ [4] . وأما بقية الأفعال الأخرى فإن دلالتها على المستقبل تُفهم من السياق ، لأن الأمر يتعلق بما يحدث يوم القيامة ، وهو يوم لم يأت بعدُ .ولا يفوتنا أن نشير إلى ما يمكن أن ندرجع ضمن ما يسميه بعض الدارسين المحدثين بـ " الجهة " ، أي ما يحدد تباين الأزمنة داخل نطاق زمني واحد . فلو توقفنا عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [5] واستوْقَفَنَا سر تكرار لفظ (سَيَعْلَمُونَ) ، ورحنا ننقب عن ذلك في كتب الأقدمين ، وجدنا الخطيب الإسكافي مثلا يفسر التكرار بكون « الأول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرهم ، والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم ، وإذا لم يرد بالثاني ما أريد بالأول لم يكن تكرارا ، وقيل الأول توعد بالقيامة وهولها ، والآخر توعد بما بعدها من النار وحرها » [6] ، ومن ثم فـ " سَيَعْلَمُونَ " الأولى سابقة للثانية زمنيا ، تتحقق قبلها ، على الرغم من كونهما يقعان معا في دائرة المستقبل .وهذا التفاوت في الزمن ضمن الدائرة الزمنية

---

[1] سورة : النبأ ، الآية : 18 .

[2] سورة : النبأ ، الآية : 38 .

[3] سورة : النبأ ، الآية : 40 .

[4] سورة : النبأ ، الآية : 30 .

[5] سورة : النبأ ، الآيتان : 4 ، 5 .

[6] الخطيب الإسكافي : دُرّة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات من كتاب الله العزيز .منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط 4 . 1981 . ص 516 .

الواحدة نلحظه أيضا عندما نتأمل سياق تتابع أفعال أخرى ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [1] ، فالنفخ في الصور يسبق إتيان الناس أفواج ، مع أنهما جميعا سيحدثان يوم القيامة ، أي في المستقبل ، والمستقبل ممتد ، يحدث أحد الفعلين في لحظة منه ، ثم يجيء أوان الفعل الثاني بعده مباشرة أو بتراخٍ .

والقسم الثالث من الأفعال في هذه السورة هو ما دلت فيه صيغة (يَفْعَلُ) على الماضي ، وهذا نتيجة دخول الجازم (لَمْ) ، أو وجود الفعل المضارع مسبوقا بفعل الكينونة بصيغة (فَعَلَ) ، أي كان ، وقد تحدثنا عنه في موضعه من الفعل السابق ، مع الإشارة هنا إلى فارق مميز هنا هو كون الفعل المضارع منفيا ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] ، ولكن ينطبق عليه ما انطبق على نظرائه المثبتين في مولضع أخرى من هذا الجزء ، من دلالته على ماض متجدد ممتد . وهذه كلها مما فصل فيه القولَ النحاة القدماء منهم والمحدثون على السواء .[3]

وفي القسم الرابع والأخير من هذه الأفعال نجد فعلا واحدا جاء على صيغة (يَفْعَلُ) ودل على الاستمرارية ، ويتعلق الأمر بفعل (وَيَقُولُ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [4] ، ذلك أن فعل (يَقُولُ) يتحدث عن كلمة يرددها الكافر طول يوم الحساب ، وليس في لحظة واحدة تنقضي بإتمامه قولها .

---

[1] سورة : النبأ ، الآية : 18 .

[2] سورة : النبأ ، الآية : 27 .

[3] ينظر مثلا : سيبويه : الكتاب . 117/1 ، ابن هشام : مغني اللبيب . 307/1 ـ 309 ، وابن هشام : شرح اللمحة البدرية . 278/2 . إبراهيم السامرائي : الفعل ـ زمانه وأبنيته . ص 33 .

[4] سورة : النبأ ، الآية : 40 .

ونعود إلى فعل الأمر الوحيد في هذه السورة ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1]، فإن دلالته على المستقبل لا غبار عليها ، ليس لأنه لا يمكن أن يتحقق إلا في المستقبل فحسب ، بل لأنه مما يُقال لأهل النار في يوم القيامة تبكيتا لهم على ما كان يصدر منهم في حياتهم .

ولو شئنا أن نترجم إحصائيا ما حوته السورة لقلنا : إن اثني عشر (12) فعلا دلت على المستقبل من بين ستة عشر (16) فعلا مضارعا وردت في هذه السورة ، وهو ما يمثل نسبة 75 % . و إلى جانب ذلك ثمة فعلان (02) اثنان يدلان على الماضي ، أي ما نسبته 12,50 % ، إلى جانب فعل واحد يدل على الاستمرار ، وآخر يدل على الحال وكل منهما يمثل نسبة 06,25 % من المجموع . ونضيف إلى ذلك فعل الأمر الذي مثل نسبة 02,50 % والذي دل على المستقبل . والجداول البيانية التي تحمل أرقام 83 ، 84 ، 85 ، 86 تؤكد ذلك وتوضحه .

[1] سورة : النبأ ، الآية : 30 .

سـورة الـنـازعـات :

وننتقل الآن إلى سورة النازعات التي اشتملت على أربعة عشر (14) فعلا مضارعا أي بصيغة (يَفْعَلُ) ومتفرعاتها ، من بين أربع وأربعين (44) فعلا حوتها السورة ، وهو ما يمثل نسبة 31,81 % . ولم تَحْوِ هذه السورة من أفعال الأمر سوى فعلين من مجموع أفعال السورة .

ولم تختلف هذه السورة عن سابقتها من حيث اختلاف دلالة أفعالها المضارعة على أزمنة متباينة ، فهي أيضا تؤكد أن هذه الصيغة لا تدل بالضرورة إما على الحال وإما على المستقبل ، بل يمكن أن تدل على الماضي ، استنادا إلى السياق العام ، وارتكازا على القرائن اللفظية والضمائم من سوابق ولواحق لاصقة أو منفصلة تسهم في تحديد الزمن بدقة . وتبعا لذلك يمكن الوقوف على زمر عدة من الأفعال المضارعة في هذه السورة .

وأول زمرة نتوقف عندها هي زمرة الأفعال الدالة على المستقبل ، وهي : أفعال (تَرْجُفُ) في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾[1] و(تَتْبَعُهَا) في قوله تعالى : ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾[2] و(تَزَكَّى) في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[3] و(وَأَهْدِيَكَ) و(فَتَخْشَىٰ) في قوله تعالى : ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[4] و(يَتَذَكَّرُ) في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾[5] و(يَرَىٰ) في قوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ

---

[1] سورة : النازعات ، الآية : 6 .
[2] سورة : النازعات ، الآية : 7 .
[3] سورة : النازعات ، الآية : 18 .
[4] سورة : النازعات ، الآية : 19 .
[5] سورة : النازعات ، الآية : 35 .

ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1] و(يَرَوْنَهَا) في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] ، وحيث إن الصبغة التطبيقية هي السمة التي رُمْتُ إضفاءها على هذا البحث منذ البداية ، ومن ثم فالمبتغى من هذا البحث استقصاء استخدام الصيغ الزمنية في واقع الاستعمال ، فقد تبين لدى تأمل هذه الصيغة داخل التراكيب التي وردت فيها ، أن القرائن اللفظية والمعنوية تدل قطعا على أن زمن هذه الأفعال هو المستقبل . ومن هذه القرائن لفظ (يوم) الذي يشير إلى يوم القيامة ، يوم الحساب والعقاب . وقد تكرر هذا اللفظ أو عُطف عليه غير ما مرة . وكذلك أن التي تسبق المضارع فتنصبه وتجعله يدل على المستقبل كما هو مقرر لدى النحاة [3] . وأما بقية الأفعال في هذه الزمرة فإن دلالتها على المستقبل متأتية من السياق العام للسورة ، وهو هنا متمثل في الحديث عن يوم الحساب الذي هو بالنسبة للدنيا مستقبل لا محالة .

أما الزمرة الثانية من الأفعال المضارعة الواردة في هذه السورة فهي زمرة الفعلين اللذين تحولت دلالتهما لتتوجه إلى الدلالة على الماضي . وهذان الفعلان هما فعل (يَسْعَىٰ)الوارد في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] وفعل (لَمْ يَلْبَثُوٓاْ)الوارد في قوله تعالى :﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [5] . والفعل الأول جاء في سياق عرض مشعد من

---

[1] سورة : النازعات ، الآية : 36 .

[2] سورة : النازعات ، الآية : 46 .

[3] ينظر : ابن هشام : شرح اللمحة البدرية . 2 / 270 . ومغني اللبيب . 1 / 199 . وشرح شذور الذهب . ص 281 . وعبد الستار الجواري : نحو الفعل . ص 37 ـ 39 .

[4] سورة : النازعات ، الآية : 22 .

[5] سورة : النازعات ، الآية : 46 .

قصة سيدتا موسى عليه السلام مع فرعون ، فقد أمر الله عز وجل رسوله موسى أن يذهب إإلى فرعون الذي طغى وتجبر ، ليدعوه إلى الإيمان بربه وخشيته ، غير أنه كذب وأدبر يسعى ، أي قام من مكانه فارا بنفسه ، وقال الجمهور : هو كناية عن إعراضه عن الإيمان . يسعى : يجتهد في مكايدة لموسى عليه السلام . ونفهم من هذا التفسير ومن النص نفسه ، أي سورة النازعات ، أن زمن يسعى هو الماضي ، لأنه مسبوق بفعل ماض ، وهو : أَدْبَرَ ، ولو شئنا الدقة لقلنا إن زمن الفعل هو الحال في الماضي ، وآية ذلك أن فعل (يسعى) واقع في موقع حال ، كما يقرر النحاة . أما الفعل الثاني الذي يدل على الماضي فهو (لَمْ يَلْبَثُوٓاْ) الذي جاءته هذه الدلالة من سبقه بـ (لم) الجازمة ، فهو من قبيل المضارع لفظا والماضي معنى ، وهو أمر واضح لا غبار عليه لدى النحاة .

وتبقى المجموعة الأخيرة التي تتضمن فعل(يَقُولُونَ) في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] وفعل (يَخْشَىٰ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] وفعل (يَسْـَٔلُونَكَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] وفعل (مَن يَخْشَىٰهَا) الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [4] ، وكل هذه الأفعال تدل على الاستمرارية حسبما يتبين من السياق العام والقرائن اللفظية .

لقد توقف الشيخ الطاهر بن عاشور مطولا عند لفظ (يَقُولُونَ) ودلالته في قوله تعالى :

---

[1] سورة : النازعات ، الآية : 10 .

[2] سورة : النازعات ، الآية : 26 .

[3] سورة : النازعات ، الآية : 42 .

[4] سورة : النازعات ، الآية : 45 .

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] فقال : « وحُكِيَ مقالُهم بصيغة المضارع لإفادة أنهم مستمرون عليه ، وأنه متجدد فيهم لا يرعوون عنه . وللإشعار بما في المضارع من استحضار حالتهم بتكرير هذا القول ليكون ذلك كناية عن التعجيب من قولهم هذا كقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [2] . وقد علم السامع أنهم ما كرروا هذا القول إلا وقد قالوه فيما مضى » [3] . وتوقف أيضا عند مجيء لفظ (يَسۡـَٔلُونَكَ) بصيغة المضارع في قوله عز وجل ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ [4] ، فقال : « وَحُكي فعل السؤال بصيغة المضارع للدلالة على تجدد عذا السؤال وتكرره » [5] ومن جهة أخرى فإن قصة موسى وفرعون المشار إليها بلفظ (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] تتضمن بالفعل عبرة مستمرة ينتفع بها كل من يخشى الله ممن ممن يستمع إليها عبر العصور ، منذ وقوعها ، ثم نزول خبرها في القرآن الكريم إلى يوم يبعثون . وكذلك السؤال عن الساعة الذي ظل مستمرا متكررا على ألسنة الناس . ومثل ذلك يتعلق بلفظ (يخشاها) الذي يتحدث عن كل إنسان يخشى ما يحدث في الساعة من حساب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، إذ الرسول منذر لكل من يتصف بهذه الصفة من العالمين ، حتى زوال الدنيا .

---

[1] سورة : النازعات ، الآية : 45 .

[2] سورة : هود ، الآية : 74 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 69/30 .

[4] سورة : النازعات ، الآية : 42 .

[5] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 95/30 .

[6] سورة : النازعات ، الآية : 26 .

ولعل مما لا يجوز أن يفوتنا التوقف عنده ظاهرة تعاقب الجهات داخل الزمن الواحد ، وقد تكررت في مواضع عدة من هذه السورة ، ففي قوله تعالى مثلا :﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1] نلاحظ تعاقب فعلي الهداية والخشية ، بسبب توقف الثاني على الأول ، بمعنى أن التزكية المتمثلة في الخشية لا يمكن أن تحدث إلا بعد الهداية ، مع كون زمنهما معا هو المستقبل بالقياس إلى لحظة تلفظ موسى عليه السلام بقولته ، أو حتى بالقياس لزمن تحققه ، لو قُدِّر له أن يتحقق . وإلى هذا نبه ابن عاشور في تفسيره ، حيث شرحها بقوله : « أي إن كان فيك إعداد نفسك للتزكية يكن إرشادي إياك فتخشى ، فكان ترتيب الجمل في الذكر مراعى فيه ترتبها في الحصول فلذلك لم يحتج إلى عطفه بفاء التفريع »[2] .

أما فعلا الأمر الواردان في هذه السورة فهما : فعلا (ٱذْهَبْ) و (فَقُلْ)في قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[3] . وكلاهما وارد ضمن حكاية وصية الله لموسى عليه السلام حين إرساله إلى فرعون . ولو تأملناهما بعمق لوجدنا حدوثهما حين صدر الأمر بهما ما كان له أن يكون إلا في المستقبل . ولكنهما صدرا في الماضي ، ثم تم تنفيذهما بعد هذا ، فأصبح ذلك بدوره ماضيا بالنسبة لتاريخ نزول الآية ، وبالنسبة لقارئها منذ نزولها حتى يوم الدين . ونلاحظ أنه على الرغم من أنهما كانا مستقبلا لحظة الأمر بهما ، وأصبحا ماضيا بعد تنفيذهما ، فقد تفاوت زمنهما بطبيعة الحدث الوارد

---

[1] سورة : النازعات ، الآيتان : 18 ، 19 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . 77/30 .

[3] سورة : النازعات ، الآيتان : 17 ، 18 .

فيهما ، فالذهاب سابق للقول لا محالة ،ولو ببرهة يسيرة ، وثانيهما متوقف على الأول . وهذا التتابع الزمني متحقق ضمن ما يسميه النحاة المحدثون بالجهة ، بغض النظر عن الزمن ، هو هو المستقبل بالقياس للحظة صدور الأمر ، أم هو الماضي بالقياس للحظة نزول الآية أو قراءتها . وربما كان من الأنسب أن نتبنى هنا مصطلح " مستقبل الماضي " الذي ابتدعه عبد الملك المطلبي [1]، للتعبير عن زمن هذين الفعلين .

ومن كل ذلك نستخلص أن الأفعال المضارعة الدالة على المستقبل تتفوق على ما سواها ، حيث بلغت تسعة (08) أفعال تمثل نسبة **57,14** % ، على حين دلت على الحال المستمر ثلاثة (04) أفعال (أي بنسبة) **28,57** % ، بينما انصرفت دلالة اثنين (2) إلى الماضي ، وهو ما يمثل نسبة **14,28** % من مجموع الأفعال المضارعة التي حوتها السورة . أما فعلا الأمر اللذان دلا على " مستقبل الماضي " فقد بلغت نسبتهما 04,54 % . والجداول البيانية 87 ، 88 ، 89 ، 90 توضح ذلك .

[1] مالك يوسف المطلبي : الزمن واللغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة . 1986 . ص 307 .

سـورة عـبـس :

أما سورة عبس فقد بلغ عدد أفعالها المضارعة هي أيضا، كسابقتها أربعة عشر (14) فعلا مضارعا أي بصيغة (يَفْعَلُ) ومتفرعاتها ، ولكن من مجموع من الأفعال أقل من مجموع سابقتها أي من بين ستة وثلاثين (36) فعلا من مختلف الصيغ ، وهو ما يمثل نسبة 38,88 % . ولا تختلف هذه السورة من حيث تنوع دلالات أفعالها المضارعة عن سابقتيها ، فهي أيضا تضمنت أصنافا مختلفة الدلالة من الأفعال ، واختلاف دلالتها ، بطبيعة الحال ، عائد إلى الأساليب المختلفة والسياق العام والقرائن اللفظية ، فضلا عن طبيعة المص القرآني .أما فهل الأمر بصيغة (افْعَلْ) فقد خلت منه هذه السورة تماما ، كما هو شأن كثير من سور هذا الجزء .

وأول مجموعة من هذه الأفعال تلك التي دلت على الزمن الحاضر أو الحال ، ويلاحظ عليها أنها تكاد تجيء دوما مرتبطة بالوصف ، الأمر الذي رجح دلالتها على الحال دون سواه ، والفيصل في ذلك ما حفلت به كتب التفسير من آراء أهل هذا التخصص . ويتعلق الأمر بفعل (يُدْرِيكَ) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [1] وفعل (يَذَّكَّرُ) في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ [2] ، وفعل (تَصَدَّىٰ) في قوله تعالى : ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [3] ، وأفعال (يَسْعَىٰ) و (يَخْشَىٰ) و (تَلَهَّىٰ) في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ

---

[1] سورة : عبس ، الآية : 3 .

[2] سورة : عبس ، الآية : 4 .

[3] سورة : عبس ، الآية : 6 .

يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] ، وجميعها في وصف حال الرسول صلى الله عليه وسلم وحال ابن أم مكتوم الذي عاتبه الله فيه وأنزل فيه هذه السورة . وقد سبق أن أوضحنا في الفصل السابق الملابسات التي أحاطت بهذه الواقعة . ولعل أهم ما يستخلص من ذلك هو دلالة الأفعال على الحال ، مثلما يتحلى من السياق .

والمجموعة الثانية من الأفعال المضارعة في هذه السورة تدل على المستقبل ، بالاستناد إلى قرائن لفظية أو السياق العام . وهذه الأفعال هي فعل(يَزَّكَّىٰ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [2] ، وفعل(تَنفَعَهُ) الوارد في قوله سبحانه : ﴿ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ [3] ، وفعل(يَزَّكَّىٰ) الوارد في قوله عز وجل : ﴿ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [4] ، وفعل(يَفِرُّ) الوارد في قوله جل من قائل : ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [5] ، وفعل(يُغۡنِيهِ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [6] ، وفعل(تَرۡهَقُهَا) الوارد في قوله سبحانه : ﴿ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [7] . وفي ما يتعلق بهذه الأفعال نلاحظ ، على غرار ما ما رأيتا قي السورة السابقة ، وفي مواضع من الفصل السابق ، تباينا داخليا بين الجهات

---

[1] سورة : عبس ، الآيات : من 8 إلى 10 .
[2] سورة : عبس ، الآية : 3 .
[3] سورة : عبس ، الآية : 4 .
[4] سورة : عبس ، الآية : 7 .
[5] سورة : عبس ، الآية : 34 .
[6] سورة : عبس ، الآية : 37 .
[7] سورة : عبس ، الآية : 41 .

داخل الزمن الواحد ، أي المستقبل ، فهناك ها هنا مستقبل قريب وآخر بعيد . وليس المرء في

حاجة إلى إعمال الفكر ليعرف أن عددا من هذه الأفعال يتعلق بمستقبل يحـــــدث لاحقا في الحياة الدنيا ، وثمة عدد آخر يحدث بعده ، يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ويبقى فعل مضارع واحد من الأفعال الواردة في هذه السورة ، يدل على الماضي ، وهو فعل (يَقْضِ) المسبوق بأداة الجزم (لما) في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] . وتحول الدلالة إلى الماضي متأتية عن حرف النفي لما ، وقد أبرز أثره هنا الطاهر بن عاشور فقال : « و(لما) حرف نفي يدل على نفي الفعل في الماضي مثل (لم) ويزيد بالدلالة على استمرار النفي إلى وقت التكلم ، كقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴿١٤﴾ ﴾[2] . والمقصود أنه مستمر على عدم قضاء ما أمره الله بما دعاه إليه »[3].

وليس لنا ، بعد ذلك أن نتحول عن هذه السورة دون أن نشير إلى فعل تحول بدلالته إلى الأمر ، نعني فعل (فَلۡيَنظُرِ)المتضمن في الآية الكريمة ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]، فدخول لام الأمر عليه حوّل دلالته إلى الأمر ، زإذا كان لنا أن ندرجه ضمن المجموعة الدالة على المستقبل ، فإننا نفعل ذلك بشيء من التحفظ ، لأن دلالته على ذلك موضع نقاش لدى

---

[1] سورة : عبس ، الآية : 23 .

[2] سورة : الحجرات، من الآية : 14 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 128/30 .

[4] سورة : عبس ، الآية : 24 .

بعض النحاة المحدثين ، وهو خلو من الدلالة على الزمن لاحتماله عدم الوقوع إطلاقا في رأي آخرين . ولكن الحديث عن ذلك لا يمكن أن يتم بإطلاق ، حيث إن وقوعه مرتبط بطبيعة الفعل المأمور به ، أي الحدث ، ذاته ، فأوامر الله إلى ملائكته ولأنبيائه ورسله نُفّذت بالفعل ، بل أضحت جزءًا من الماضي لحظة نزول الآيات التي تذكرها في القرآن الكريم ، ولحظة تلاوتها من لدن جموع المؤمنين حاى يوم القيامة .والذي يهمنا التأكيد عليه هنا ، أن أفعاله ، كنظرائه في هذا الجزء ، يدل على أن الأمر ليس وقفا على صيغة " افعل " التي توهم بعضهم انحصار الدلالة على الأمر فيها . وكل ذلك لنا عودة إليه في أخر هذا الفصل إن شاء الله .

وهكذا ، وبعد هذه الرحلة عبر دلالات الأفعال المضارعة الواردة في هذه السورة ، استخلصنا أن الأفعال التي دلت على الحال بلغ عددها ستة (06) ، أي ما يناهز نسبة 42,85 % ، من مجموع الأفعال المضارعة الأربعة عشر (14) ، ومثلها تماما الأفعال التي دلت على المستقبل ؛ فالحال والمستقبل متساويان عدديا هاهنا . على حيت لم نجد إلا فعلا واحدا انصرفت دلالته إلى الماضي ، وهو ما يمثل نسبة 07,14 % ، وهي النسبة ذاتها التي نالها الفعل الوحيد الذي تحول إلى الدلالة على الأمر كما أسلفنا . والجدولات الآتيان رقما 91 ، 92 يبرزان ذلك .

سـورة الـتـكـوير :

ليس في سورة التكوير سوى خمسة (05) أفعال مضارعة من بين أربعة وعشرين (24) فعلا ، أي بنسبة 20,83 % . ولعل من المفارقة أن يكون موضوع السورة الحديث عن القيامة وما يسبقها ، ثم يقل عدد الأفعال المضارعة بهذا الشكل اللافت للأنظار ، مع أنه يُفترض في الأفعال المضارعة ، بحسب ما تواضع عليه النحاة ، أن تستعمل للدلالة على الحاضر أو المستقبل . والواقع أنه عند تأمل السورة ، يبدو بارزا أن تكون صيغة (فَعَلَ) التي اصطلح النحاة على نعتها بالفعل الماضي طاغية فيها طغيانا ساحقا ، ولكنها جاءت فيها للدلالة على المستقبل ، لا على الماضي . وذلك بسبب افترانها بجملة من الضمائم واللصائق ، سوابق ولواحق ، منفصلة أم متصلة ، وبسبب السياق العام . إن ثمة ما لا يقل عن اثنتي عشر (12) فعلا جاءت بصيغة (فَعَلَ) ولكنها مستعملة في الحديث عن المستقبل ، وقد محضها لذلك الظرف (إذا) الشرطي المستعمل لما يستقبل من الزمن ، والذي سبق كلا منها . وهذا بلا ريب يؤكد حقيقة مهمة ، وهي أن صيغة الفعل ليست وحدها هي المعول عليها في تحديد الدلالة الزمنية للفعل ، وأن ما يُنعت بالزمن النحوي هو المعول عليه أكثر في تحديد زمن الفعل . وهذه الملاحظة تصدق أيضا على السورة اللاحقة ، سورة الانفطار لاتفاقهما في الموضوع . أما صيغة (اقْعَلْ) الدالة على الأمر ، فلا وجود لها في هذه السورة على الإطلاق .

وبالعودة إلى الأفعال الخمسة التي حوتها هذه السورة بصيغة (يَفْعَلُ) يتبين أن واحدا منها فقط توجهت دلالته إلى الاستمرارية ، وهو فعل (أُقْسِمُ) المستعمل في الآية

المتضمنة قسما في هذه السورة : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾[1] ، فعلى الرغم من أن زمن القسم المثبت هنا (بوصف (لا) زائدة هاهنا ، هو الحاضر ، أي زمن نزول الآية ، فإن تلاوة الآية من لدن كل قارئ للقرآن منذ زمن نزولها حتى زوال الدنيا ، يجعل القسم مستمرا . كما يتبين أن ثلاثة (03) أفعال منها تدل على المستقبل هي : فعل (تَذۡهَبُونَ) في قوله عز وجل من قائل : ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] وفعلا (يَسۡتَقِيمَ) و(تَشَآءُونَ) في قوله سبحانه : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] . إن هذه الأفعال جميعها تدل على المستقبل بحكم السياق بالنسبة لفعلي (تَذۡهَبُونَ) و (تَشَآءُونَ) ، وبحكم عمل (أن) التي تجعل المضارع دالا على المستقبل ، كما رأينا نظير ذلك في السورة السابقة . أما فعل (يَشَآءَ) في الآية الأخيرة : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4] ، فإنه ، وإن كان زمانه هو المستقبل بسبب دخول (أن) عليه , غير أن ما يعتقده المؤمن من كون مشيئة الله أزلية ، يجعل دلالة الفعل فوق الزمان ، ومن ثم فالظاهرة الزمنية ملغاة ، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني .

ونخلص مما تقدم أن أفعال هذه السورة المضارعة الخمسة توزعت على أزمنة ثلاثة : زمن مستمر جاء به فعل واحد (01) ، فكانت نسبته 20 % ، من مجموع الأفعال

---

[1] سورة : التكوير ، الآية : 15 .

[2] سورة : التكوير ، الآية : 26 .

[3] سورة : التكوير ، الآيتان : 28 ، 29 .

[4] سورة : التكوير ، الآية : 29 .

المضارعة الخمسة لومستقبل دلت عليه ثلاثة (03) أفعال ، أي بنسبة 60 % ، وفعل واحد تجرد من الظاهرة الزمنية ، أو دل على زمن أزلي أو مطلق ، وكانت نسبته 20 %. وفي الجدولين البيانيين رقمي 93 ، 94 إبراز لكل ذلك .

سـورة الانـفـطـار :

لا تختلف هذه السورة عن سابقتها من حيث عدد الأفعال المضارعة ، فقد بلغ عددها في كل منهما خمسة ، وتكاد تقترب منها من حيث نسبتها المائوية بالنظر إلى العدد الإجمالي للأفعال ، حيث بلغت هنا عشرين 20 فعلا ، ومن ثم ناهزت نسبتها المائوية 25 %. ومن الواضح أن ذلك ناجم عن اتفاقهما في الموضوع ، وهو الحديث عن يوم القيامة ، كما أوضحنا ذلك بإسهاب لدى حديثنا عنهما في الفصل السابق .

أما أزمنة أفعال هذه السورة فقد توزعت بين الدلالة على الاستمرار ، وقد انضوت فيه ثلاثة أفعال هي فعل : (تُكَذِّبُونَ) وهو الوارد في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾ وفعلا : (يَعْلَمُونَ) و (تَفْعَلُونَ) الواردان في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ . إن التقريع الموجع للكفار ووصمهم بالتفكير بالدين ليس خطابا موجها لأناس بأعيانهم في عصر محدد ، بل هو تقرير لحالة عامة مرتبطة بالوجود البشري على ظهر المعمورة بأسرها منذ بدء الخليقة إلى حين زوال الوجود البشري على ظهر الأرض . وتبعا لذلك فإن الكرام الكاتبين المرافقين لكل كائن بشري يتصفون على الدوام بصفة العلم والإحاطة بما يعمله هؤلاء المخلقون ، فعلمهم دائم وشامل ومستمر ما داموا موكلين بإخصاء أعمال الخلق وتدوين كل صغيرة وكبيرة عبر الأزمنة والأمكنة . وحيث إن عمل الناس كان منذ وجدوا وهو كائن الآن ، ومستمر إلى حين زوال وجوده ، فعلم الملائكة بذلك غير محدود الزمن ، بمعنى أنه هو أيضا كان في الماضي ، وهو كائن لحظة نزول الآية أو نطق الإنسان بها ، وسيكون باقيا إلى أن تعود روحه إلى بارئها ومستقرها .

والزمن الآخر الذي انضـوى تحته الفعلان المتبقيان هو المستقبل . والفعلان المعنيان هما فعل (يَصْلَوْنَهَا) الوارد في الآية الكريمة ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ، وفعل (تَمْلِكُ) المذكور في قوله عز من قائل ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] . والفعلان كلاهما مقترن بالظرف الزمني(يوم) مع كونه سابقا في ثانيهما ولاحقا في أولهما . والواضح أن هذه القرينة اللفظية هي التي وجهت دلالتهما على المستقبل دون سواه .ونشير بعد ذلك إلى أننا لم نجد في هذه السورة أيا من أفعالها تحولت دلالته إلى الماضي .

إن الأفعال المضارعة الخمسة التي تضمنتها هذه السورة إذن انقسمت قسمين : قسما انصرفت دلالته إلى الاستمرار ، وقد ضم ثلاثة أفعال مثلت نسبة 60 % ، وقسما آخر دلت أفعاله على المستقبل وانضوى تحته فعلان بلغت نسبتهما 40 % . والجدولات البيانيان رقما 95 ، 96 يوضحان ذلك .

[1] سورة : الانفطار ، الآية : 15 .

[2] سورة : ا الانفطار ، الآية : 19 .

سورة المطففين :

على النقيض من سابقتيها تتميز هذه السورة بكثرة الأفعال المضارعة فيها ، حيث بلغ عددها (21) واحدا وعشرين فعلا من بين واحد وأربعين فعلا ضمتها السورة . وبذلك حازت الأفعال المضارعة نسبة خمسة 51,21 % متفوقة على الأفعال الواردة بصيغة (فَعَلَ) لتكون بذلك من بين السور القلائل التي اتصفت بهذه الخصيصة . أما فعل الأمر فقد خلت منه السورة تماما .

إن الأفعال المضارعة الواردة في هذه السورة تدل على أزمنة ثلاثة متباينة ، هي الماضي والمستقبل والمستمر . وقد حظي الماضي بخمسة أفعال ، وبطبيعة الحال فإن ذلك مستمد مما يُنعت بالزمن النحوي . أي الزمن الذي يحدده النص أو السياق ، وليس الفعل المفرد , وهذه الأفعال هي : فعل (يَكْسِبُونَ) من قول الله عز وجل :﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] وفعل (تُكَذِّبُونَ) من قول الله عز وجل :﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2] وفعل (يَضْحَكُونَ) من قول الله عز وجل :﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3] وفعل (يَتَغَامَزُونَ) من قول الله عز وجل :﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4] وفعل (يَفْعَلُونَ) من قول الله عز وجل :﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[5] . ويلفت النظر في هذه الأفعال أن أربعة منها مسبوقة بفعل الكينونة أو الوجود

---

[1] سورة : المطففين ، الآية : 14 .
[2] سورة : المطففين ، الآية : 17 .
[3] سورة : المطففين ، الآية : 29 .
[4] سورة : المطففين ، الآية : 30 .
[5] سورة : المطففين ، الآية : 36 .

بصيغة (فَعَلَ) . وقد تبين لنا في الفصل السابق أن دلالة هذه الأفعال انقلبت إلى الدلالة على الماضي بسبب دخولها في هذا التركيب الذي يدل على الاستمرار في الماضي .وإلى هذا الجانب بالذات ، كانت التفاتة الشيخ الطاهر بن عاشور الذي علل مجيء (يَكْسِبُونَ) بصيغة المضارع ، دون الماضي ، مع أنه كان يمكن القول : ما كانوا كسبوا ، فقال : « ومجيء يكسبون بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرر الكسب وتعدده في الماضي » [1] .

أما الفعل المتبقي ، فعل (يَتَغَامَزُونَ) ، فقد انقلبت دلالته بعطفه على واحد منها ، ودخول (إذا) عليه ، وهي أداة توصف بأنها ظرف لما يستقبل من الزمن ، لم يجعل ذلك المستقبل يخرج عن الماضي ، فقد أضحى مستقبلا في الماضي ، بمعنى أن التغامز يجيء عقب المرور ، أو متوقفا عليه .وكلاهما حدث في الماضي كما هو باد بجلاء .

والفئة الأخرى من الأفعال حافظت على الدلالة الأصلية لصيغتها المفردة ، أي المستقبل . وينضوي تحت لواء هذه الفئة اثنا عشر (12) هي فعلا (يَسْتَوْفُونَ) و (يُخْسِرُونَ) من قول الله عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2] وفعل (يَقُومُ) من قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3] وفعل (نُتْلَى) من قول الله عز وجل : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[4] وفعل

---

[1] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 200/30 .

[2] سورة : المطففين ، الآيتان : 2 ، 3 .

[3] سورة : المطففين ، الآية : 6 .

[4] سورة : المطففين ، الآية : 13 .

(يَشْهَدُهُ) من قول الله تعالى : ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [1] وأفعال (يَنظُرُونَ)و(تَعْرِفُ) و (يُسْقَوْنَ) من قوله سبحانه : ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ [2] وفعل (يَشْرَبُ) من قول الله عز وجل : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [3] وفعلا (يَضْحَكُونَ) و(يَنظُرُونَ) من قول الله عز وجل : ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [4] . وهذه الأفعال ، كما نرى ، فيها ما جاء جوابا لفعل شرط مسبوق بـ (إذا) التي قلبت دلالة صيغة (فَعَلَ) إلى المستقبل ، وفيها ما اقترن باسم الظرف (يَوْمَ) أو (اَليَوْمَ) سابقا أو لاحقا وهو قرينة لفظية أكدت دلالة الفعل على المستقبل . وقد استُعمل المضارع هنا في هذه المواضع من باب استحضار الحالة ، وتصويرها كأنها ماثلة للعيون ، على نحو ما نبه إليه الطاهر بن عاشور في معرض تعليقه على عبارة (يَقُومُ ٱلنَّاسُ) ، حيث قال : « ومعنى (يَقُومُ ٱلنَّاسُ) أنهم يكونون قياما ، فالتعبير بالمضارع لاستحضار الحالة » [5] .

وإذا كنا قد أشرنا في مفتتح حديثنا عن هذه السورة إلى خلوها من أي فعل أمر بالصيغة التي أوقفه النحاة عليها ، نعني صيغة (افعَلْ) فإن من الضروري المسارعة هنا إلى

---

[1] سورة : المطففين ، الآية : 21 .

[2] سورة : المطففين ، الآيات : من 23 إلى 25 .

[3] سورة : المطففين ، الآية : 28 .

[4] سورة : المطففين ، الآيتان : 34 ، 35 .

[5] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 193/30 .

التنبيه إلى أن هذه السورة تضمنت فعلا يندرج في نطاق المستقبل بحكم تحوله إلى الأمر لدخول لام الأمر عليه ، نعني فعل (فَلْيَتَنَافَسِ) المذكور في الآية الكريمة ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [1] إن هذه اللام اللاصقة هي اللام التي نعتها الدكتور فاضل مصطفى الساقي بأنها تلك « التي يقع الفعل بعدها مجزوما وهي اللام الموضوعة للطلب ، وتكون مكسورة إلا إذا سبقتها الفاء أو الواو » [2]. وواضح أن الأمر يتعلق ها هنا بالحالة الأولى ، أي دخول الفاء ، الأمر الذي جعل اللام في قوله (فَلْيَتَنَافَسِ) ساكنة ها هنا ساكنة .والجدير بالذكر أن هذه اللام هي التي نعتها ابن عاشور بأنها في هذا الموضع « مستعملة في التحريض والحث » [3] .

وتبقى من الأفعال المضارعة في هذه السورة ثلاثة أفعال تدل على الاستمرارية ، ويتعلق الأمر بفعل (يَظُنُّ) الوارد في قوله تعالى :﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ [4] وفعلا (يُكَذِّبُونَ) و (يُكَذِّبُ) الواردان في قوله سبحانه :﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [5] .

ومما تقدم نستخلص أن خمسةً (05) من الأفعال المضارعة في هذه الســـورة دلت على

---

[1] سورة : المطففين ، الآية : 26 .

[2] فاضل مصطفى الساقي : أقسام الشكل العربي من حيث الشكل والوظيفة ، ص 347 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 207/30 .

[4] سورة : المطففين ، الآية : 4 .

[5] سورة : المطففين ، الآيتان : 11 ، 12 .

الماضي ، ونسبتها من مجموع الأفعال المضارعة الإحدى والعشرين 23,80 % ،واثني عشر (12) فعلا تطابق فيها الزمن النحوي مع الزمن الصرفي فدلت على المستقبل ، إحدى الدلالتين الأصليتين للفعل المضارع المفرد (وإن كانت قد عززتها القرائن اللفظية أو السياق) وقد بلغت نسبتها من مجموع ما حوته السورة من أفعال مضارعة 57,14 % ، فضلا عن فعل آخر دل على الأمر بدخول لامِهِ عليه ، فلم يخلُ من دلالة على المستقبل ، ومثَّلَ نسبة 04,76 % . ومعلوم أن السورة خلت من الأمر بصيغة (افعَلْ) التي قرنه بها النحاة .أما الأفعال الدالة على الاستمرار في مختلف الأزمنة فثلاثة (03) تمثل نسبة 14,28 % . وكل ذلك يجليه الجدولان البيانيان رقما 97 ، 98 .

سـورة الانـشـقـاق :

يقل عدد الأفعال المضارعة في هذه السورة عددا ونسبة ، بالنظر إلى سابقتها . لقد بلغ عدد أفعالها المضارعة أحد عشر (11) فعلا تمثل نسبة 35,48 % من مجموع الأفعال الواردة فيها ، وهو 31 فعلا . ولم يرد في السورة سوى فعل أمر واحد ، بصيغة الأمر الأصلية : (افْعَلْ) ، وهو يمثل نسبة 03,22 % ، من مجموع أفعال السورة .

ولقد توزعت دلالة الأفعال المضارعة في هذه السورة على ثلاثة فئات : فئة دلت على المستقبل ، وأخرى دلت على الحال ، وثالثة دلت على الاستمرار ، على تفاوت في عدد الأفعال المنضوية تحت كل منها ، واختلاف في جهات الدلالات . إن ستة (06) أفعال حملت دلالة المستقبل هي : فعلا (يُحَاسَبُ) و (وَيَنقَلِبُ) في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [1] ، وفعلا (يَدْعُواْ) و (وَيَصْلَىٰ) في قوله سبحانه : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [2] ، وفعل (يَحُورَ) في قوله عز من قائل : ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾ [3] ، وفعل (لَتَرْكَبُنَّ) في قوله عز من قائل : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] . والملاحظ أن هذه الأفعال إما مسبوقة بأدوات محضت دلالتها للمستقبل ، وإما معطوفة عليها . فثمة فعلان مسبوقان بـ (سوف) التي تخلص الفعل للدلالة على المستقبل البعيد ، حسيما قرر ذلك النحاة منذ القديم . وهذا ما أبرزه الشيخ

---

[1] سورة : الانشقاق ، الآيتان : 8 ، 9 .

[2] سورة : الانشقاق ، الآيتان : 11 ، 12 .

[3] سورة : الانشقاق ، الآية : 14 .

[4] سورة : الانشقاق ، الآية : 14 .

الطاهر بن عاشور لدى حديثه عن هذه الآية ، حيث قال : « وحرف (سوف) أصله لحصول الفعل في المستقبل ، والأكثر أن يُراد به المستقبل البعيد ، وذلك هو الشائع ، ويُقصد به في الاسنقبال البعيد تحقق حصول الفعل واستمراره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ [1] في سورة يوسف ، وهو هنا مفيد للتحقق والاستمرار بالنسبة إلى الفعل القابل للاستمرار وهو ينقلب إلى أهله مسرورا ، وهو المقصود من هذا الوعد » [2] . وثمة فعل واحد مسبوق بالحرف (لن) الذي ينعته الطاهر بن عاشور ، في معرض تفسيره لهذه الآية ،بأنه « الدال على تأكيد النفي وتأبيده لحكاية جزمهم وقطعهم بنفيه » [3] ، وهذا على النقيض من ابن هشام الذي يعرفه بأنه « حرف نصب ونفي واستقبال » [4]، مضيفا « ولا تفيد (لن) توكيد النفي خلافا للزمخشري في كشافه ، ولا تأبيدَه خلافا له في أنموذجه ، وكلاهما دعوى بلا دليل ، وقيل : ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [5] ولكان ذكر الأبد في ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [6] تكرارا ، والأصلُ عدمُه » [7] . ومهما يكن من أمر فإن فعل فعل (يَحُورَ) . يتضمنا نفي للمستقبل لا يخلو من لمسة تأبيد ، أي أن المستقبل هنا مستمر ، وأبدي في نظر الظان المشرك الذي لا يؤمن بالبعث والنشور .

---

[1] سورة : يوسف ، من الآية : 98 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 222/30 ـ 223 .

[3] المرجع نفسه ، 30/ 225 .

[4] ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 1/ 312 .

[5] سورة : مريم ، من الآية : 26 .

[6] سورة : الجمعة ، الآية : 7 .

[7] ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 1/ 313 .

أما المجموعة الثانية من الأفعال المضارعة في هذه السورة فهي تلك التي دلت على الحال ، وتضم أفعال (يُؤْمِنُونَ) و (يَسْجُدُونَ) و (يُكَذِّبُونَ) و (يُوعُونَ) من قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] . إن المتأمل في السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الأفعال لا يجد أدنى عناء في استخلاص كون هذه الأفعال تدل على الحاضر ، وذلك جلي في القرائن اللفظية والمعنوية التي ترتبط بهذه الأفعال . إن هذا الجزء من السورة يتحدث عن المشركين المكذبين بالوحي والرسالة ومنكري البعث والنشور ، الذين إذا قُرئ عليهم القرآن المُعجز ، وهم أهل فصاحة وبلاغة ، لا يتخلون عن عنادهم ولا يُصلون ، ولا يتواضعون ويخضعون ، وقد وضحت الدلائل وأقيمت الحجة ، ويمعنون قي غيهم ، جحودا واستكبارا [2] . ولكن هذه الآيات من جهة أخرى تصور عناد البشر واستكبارهم وإعراضهم عن الإصغاء لصوت العقل والفطرة ، انقيادا لصوت الهوى والشيطان . ومن ثم يصح أن نلمس في دلالة هذه الأفعال شيئا من الدلالة على الاستمرارية ، كما رأينا مثل ذلك في أفعال كثيرة مضارعة ،في مواضع عديدة من هذا الجزء ، تتحدث عن حالات النفس البشرية الأمارة بالسوء ، والمعرضة عن ذكر الله عبر الأمكنة والأزمنة .

ويبقى فعل واحد اقترنت دلالته يقينا بالاستمرار ، هو فعل (أُقْسِمُ) الوارد في قول المولى عز وجل : وفعل (يَحُورَ) في قوله عز من قائل : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾[3] ،

---

[1] سورة : الانشقاق ، الآيات من : 20 إلى 23 .

[2] أبو حيان الغرناطي : البحر المحيط ، 448/6 .

[3] سورة : الانشقاق ، الآية : 16 .

فالقسم الإلهي أزلي ، لا ينحصر في زمن معين ، والله مُقْسِم دون ارتباط بزمن محدود ، وقسمه هذا يُتلى من قراء كتابه إلى قيام الساعة .

وأما فعل الأمر في هذه السورة فهو (فَبَشِّرْهُم) الوارد في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] ، ودلالته على المستقبل جلية . فالأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بتبشير المشركين (« والتبشير هنا مستعار للإنذار والوعيد على طريقة التهكم ، لأن حقيقة التبشير : الإخبار بما يسر وينفع . فلما علق بالفعل عذاب أليم كانت قرينة التهكم كنار على علم » [2]) يتم تنفيذه فور صدوره ، لا بل إنه يُنفّذ بالقعل مع تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، فور نزولها .فهو مستقبل قريب جدا ، مثل معظم أفعال الأمر التي خوطب بها الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم .

وخلاصة القول في الأفعال المضارعة في هذه السورة أن ستة (06) منها دلت على المستقبل . أي بنسبة 54,54 % ، على حين مثلت الأفعال المضارعة الأربعة (04) التي دلت على الحال نسبة **36,36** % . ولم يحظ الفعل الوحيد الذي دل على الاستمرار إلا بنسبة 09.09 % .

وفهل الأمر الوحيد الوارد بالصيغة الأصلية للأمر يمثل بالقياس للعدد الإجمالي لأفعال السورة ، وهو واحد وثلاثون (31) فعلا ، نسبة 03,22 % . والجداول البيانية 99 ، 100 ، 101 ، 102 تلخص ذلك كله .

---

[1] سورة : الانشقاق ، الآية : 24 .

[2] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 30/ 234 .

سـورتا الـبروج والـطـارق :

تضمنت سورة البروج ستة (06) أفعال مضارع ، تمثل نسبة 50 % من مجموع أفعال السورة الذي بلغ 12 فعلا ، وهذه النسبة ذاتها ، أي 50 % ، التي بلغها عدد الأفعال المضارعة ، وهو خمسة (05) أفعال في سورة البروج من بين مجموع عشرة (10) أفعال تضمنتها سورة الطارق . أما في ما يتعلق بفعل الأمر فقد خلت منه سورة البروج تماما ، بينما حوت سورة الطارق فعلي (02) أمر فحسب .

لقد توزعت دلالة الأفعال المضارعة في سورة البروج على أربعة أزمنة ، حيث دلت أربعة (04) أفعال على الاستمرار ، لأن كلا منها « لا يحدث في زمن خاص ، ولكنه يحدث في كل وقت ، ولا يلاحظ فيه وقت معين ، ولكنه يدل على الدوام »[1] على حد تعبير الدكتور مهدي المخزومي ، ففعلا (يُبْدِئُ) و (وَيُعِيدُ) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] . يتحدثان عن صفتين لله تعالى أزليتين خالدتين ، كما هو معلوم . فزمنهما مستمر أو مطلق ، وفعل الإبداء والإعادة حدث ويحدث وسيظل يحدث إلى الأبد . وكذلك فعل (يُرِيدُ) في الآية الكريمة : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[3] ، إذ الإرادة صفة من صفات الله الأزلية فير المرتبطة يزمن محدد . وقريب من ذلك فعل (يُؤْمِنُواْ) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾[4] ، وهو مسبوق بأن المصدرية

---

[1] مهدي المخزومي : في النحو العربي . نقد وتوجيه ، ص 124 .

[2] سورة : البروج . الآية : 13 .

[3] سورة : البروج . الآية : 16 .

[4] سورة : البروج . الآية : 8 .

، وواقع في سياق حصر نقمة الكفار على المؤمنين إيمانهم فحسب . ونقمة الكافرين على المؤمنين إيمانهم مستمرة ما دام ثمة إيمان وكفر ، وما استمر التدافع بين أهل الإيمان والكفر ، متخطيا بعدي الزمان والمكان حتى قيام الساعة .

وثمة في سورة البروج فعل واحد دل على الحاضر ، وهو فعل (يَفْعَلُونَ) الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] . إن هذا الفعل مندرج في سياق تصوير مشهد مؤثر لأخدود كله نار تتقد وتشتعل ، والكفار قعود عندها يشهدون تعذيب المؤمنين ،يمتحنونهم قي دينهم ، ويسعون إلى فتنتهم عن دينهم ، فهو يستحضر هذا المشهد ، ويتحدث عنه كأنه ماثل للعيان ، مما يمكن أن يُنعت بـ " حكاية حال ماضية " وهو ما يسميه الفرنسيون Le présent de narration؛ لذلك يعد هذا الفعل دالا على الحال أو الحاضر لحظة وقوع الحدث ، وإن كان ماضيا بالنسبة لزمن سرده ، زمن نزول النص القرآني ، أو تلاوة السورة من لدن قارئ القرآن إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها .

ويبقى فعل واحد في هذه السورة انقلبت فيه دلالة الفعل المضارع إلى الماضي نتيجة اتصاله بـ (لم) الجازمة ، وهو فعل (يَتُوبُواْ) من قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [2].

أما الأفعال المضارعة في سورة الطارق فتختلف عن سابقتها من حيث دلالة أزمنتها ، ففيها ، على خلاف سورة البروج فعل يدل على المستقبل ، وهو فعل (تُبْلَى) المذكور في

[1] سورة : البروج . الآية : 7 .
[2] سورة : البروج . الآية : 10 .

قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾[1] واقتران الفعل بظرف الزمان يوم الذي يشير إلى يوم القيامة هو الذي حصر دلالة الفعل في المستقبل ، وفاقا لما هو مقرر لدى النحاة . وتنفرد سورة الطارق أيضا بوجود فعل مضارع انقلبت دلالته إلى الأمر بدخول لام الأمر عليه ، وهو فعل (فَلْيَنظُرِ) من الآية الكريمة ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾[2] . وتبقى ثلاثة أفعال مضارعة في السورة تدل على الحاضر المستمر ،حيث يتحدث أحدها ، وهو فعل (يَخْرُجُ) عن أحد نواميس الحياة المستمرة المتجددة ، وهي مجيء كل الناس إلى الدنيا عن طريق ماء دافق يخرج من بين صلب الإنسان وترائبه ، وقد حملت ذلك الآية الكريمة ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾[3] . إن الحياة مستمرة إلى أجل قدره الله ، وخروج هذا الماء الدافق مستمر متجدد لكونه مصدر الحياة ومسبب استمرارها . ونظير هذا القانون البيولوجي قانون اجتماعي حضاري عبر عنه فعلا (يَكِيدُونَ) و (وَأَكِيدُ) المتضمنان في قول المولى سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ ﴾[4] ، فكيد المبطلين سيظل معرضا لإبطال الله له ، وسيظل الله بالمرصاد لكل من يروم الصد عن سبيله بمؤامرات وأعمال إجرامية ، مادامت المواجهة بين الحق والباطل قائمة على وجه هذه الأرض . وإلى ظاهرة الدلالة على الاستمرار هذه ، أشار الدكتور عبد الله بوخلخال حين نبه إلى أن صيغة " يَفْعَلُ

---

[1] سورة : الطارق . الآية : 9 .

[2] سورة : الطارق . الآية : 5 .

[3] سورة : الطارق . الآيتان : 6 ، 7 .

[4] سورة : الطارق . الآيتان : 15 ، 16 .

" قد « تأتي في السياق اللغوي للدلالة على الأزمنة الثلاثة " الماضي والحاضر والاستقبال " ، وخاصة إذا كانت هذه الصيغة في القرآن الكريم أو أُسندت الصيغة إلى الله سبحانه وتعالى ، فهي في أغلب الاستعمالات تفيد الاستمرار في الماضي والحال والاستقبال » [1]

وهكذا ، اتضح لنا من لستعراض أفعال سورتي البروج والطارق أن أربعة (04) أفعال من بين مجموع الأفعال المضارعة في سورة البروج الستة دلت على الاستمرار ، وهو ما يمثل نسبة 66,66 % ، ومن بين الأفعال المضارعة الخمسة في سورة الطارق دلت ثلاثة (03) منها على الاستمرار ، أو بالأحرى الحاضر المستمر وهو ما يمثل نسبة 60 % . ودل على الحال المطلق في سورة البروج فعل واحد (01) ، أي ما يساوي 16,66 % ، بينما لم نظفر في سورة الطارق بفعل له مثل هذه الدلالة . وانفردت سورة البروج بفعل واحد انقلبت دلالته إلى الماضي بما يساوي نسبة 16,66 ، مثلما انفردت سورة الطارق بفعل واحد يدل على المستقبل وهو ما يمثل نسبة 20 % ، وبفعل واحد تحولت دلالته إلى المستقبل بدلالته على الأمر وهو ما يمثل النسبة ذاتها .

أما في ما يتعلق بفعل الأمر بصيغة (افْعَلْ) فإن سورة البروج خلت منه ، على حين حوت سورة الطارق فعلين منه يمثلان نسبة 20 % من مجموع أفعال السورة التي بلغت عشرة أفعال . والجداول البيانية المرقمة بأرقام 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 توضح كل ذلك .

---

[1] عبد الله بوخلخال : التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . د . ت . 1 / 131 .

الحزب الأخير :

يبلغ عدد الأفعال الواردة بصيغة " يَفْعَلُ " في هذا الحزب الأخير من جزء " عَمَّ " ومن القرآن الكريم برمته ، 117 فعلا ، وهو ما يمثل نسبة 39,79 ٪ من مجموع أفعال هذا الحزب البالغ عددها 294 كما أسلفنا . ولم يرد في هذا الحزب إلا 20 فعلا بصيغة " افْعَلْ " ، وهو ما يمثل تسبة 06,80 ٪ من المجموع .

وتكاد تتطابق دلالات صيغة " يَفْعَلُ " في هذا الحزب مع مثيلاتها في سابقه إلا قليلا . ولكن ثمة جوانب مهمة ينبغي التوقف عندها هنا . وأولها نسبة وجود صيغة " يَفْعَلُ " في هذا الحزب ، فهي مساوية تقريبا للنسبة العامة لورود الصيغة في الجزء كله ، حيث وردت فيه 213 مرة ، بما يمثل نسبة 39,22 ٪ ، وتلك الملاحظة تصدق أيضا على صيغة " فَعَلَ " التي تكرر استعمالها 304 مرة في هذا الحزب ، الأمر الذي يجعل نسبتها تبلغ 55,98 ٪ , فهذا الحزب إذن لا يتميز بأي خروج عن النسبة العامة لاستخدام الصيغتين في الجزء برمته . والاختلاف النسبي بين استعمال صيغة " افْعَلْ " في هذا الحزب (20 مرة ، أي بنسبة 06,80 ٪)وبين استعمالها في الحزب السابق ، حيث لم تُستعمل سوى 06 مرات في حزب " عَمَّ " ، أي بنسبة 02,31 ٪ ، وخو ما يجعل ما يجعل النسبة الإجمالية لا ستخدامها قي الجزء بأكمله 04,78 ٪ ، وخو ما يعادل أكثر من ضعف استعمالها في حزب " عَمَّ " . ومع ذلك كله فإن الدلالات الزمنية لاستخدام كل من صيغتي " فَعَلَ " و " يَفْعَلُ " في هذا الجزء تقدم لنا حقائق أخرى سنقف عليها في ختام هذا

الفصل ، بعد تتبع سريع لبعض ما يلفت النظر في دلالات صيغة " يَفْعَلُ " الزمنـية في هـذا الحزب الأخير .

إن من الظواهر التي تلفت النظر في هذا الحزب وجود كم كبير من الأفعال التي وردت بصيغة " يَفْعَلُ " دالة على الماضي ، وليس على الحاضر والمستقبل . وقد بلغ عددها 12 فعلا ، أي بنسبة 10,25 ٪ . فإذا ضممنا إليها ما نصطلح على تسميته بالمستمر ،وقد تردد هو بدوره 16 مرة ، أي بنسبة 13,67 ٪ ، أضحى العدد الإجمالي 28 فعلا ، وأضحت النسبة من ثم 23,93 ٪ . وإذا تفحصنا هذه الأفعال وجدناها على ضربين : ضرب جاءه التحول في الدلالة الزمنية من السياق ، وآخر بتأثير سوابق قلب الجهة .

أما الأول فمثاله قوله عز وجل : ﴿ تَـرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾[1] ، وقد جاء في معرض سرد قصة أصحاب الفيل ، والأفعال التي سبقته جاءت بصيغة " فَعَلَ " مستخدمة قي معناها الأصلي ، أي الماضي ، ومن ثم جاء لفظ " تَـرْمِيهِم " ليتحدث عن حدث وقع في الماضي ، في سياق أحداث سبقته ، ولكنه دام بعض الوقت ، وهو ما يفسر العدول عن التعبير عنه بلفظ " رَمَتْهُمْ " إلى التعبير عنهم بهذا اللفظ ، إفادة لاستمرار الفعل في الماضي حينا من الزمن . ولفظ " تَـرْمِيهِم " وارد في سياق شرح عبارة أو حالا ، ولكن من البين أن المقصود بها التأكيد على أن الرمي الذي وقع في الماضي استمر حتى حقق غايته بإبادة أولئك الغزاة المعتدين على بيت الله الحرام . فقرائن الحال أو المقام هنا هي

[1] سورة : الفيل . الآية : 4 .

التي حددت جهة الفعل بغض النظر عن صيغته ، وهي التي أفصحت بجلاء عن تحول دلالته إلى جهة الماضي . ولكن الأستاذ مهدي المخزومي أن الأمر يتعلق هنا باستعمال أصيل لصيغة " يفعَلْ " في ما وُضعت له أصلا ، وهي الدلالة على حدث « يكون مستقبلا بالنسبة إلى حدث وقع قبله في الماضي الذي سبق زمن التكلم » [1] ، وهو في هذا يلتقي مع فاضل مصطفى الساقي الذي ذهب إلى حد القول بأن « استعمال صيغة (يَفْعَلُ) للدلالة على المضي مقصورة على أساوب النفي سواء أكان هذا النفي في الخبر أم في الاستفهام » [2]. وشبيه بهذا الاستعمال لصيغة " يَفْعَلُ " للدلالة على حدث مستمر في الماضي ما وقفنا عليه من قبل لدى سرد قصة أصحاب الأحدود ، حيث جاء قوله عز وجل مشيرا إلى تعذيب المؤمنين : ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ ﴾ [3] .

أما الضرب الثاني من هذه الأفعال ، وهو أكثرها انتشارا ووضوحا ، فهو دخول أداة النفي " لم " على الصيغة ، لتقلب جهته ، على حد تعبير النحاة القدماء والمحدثين ؛ فـ « وظيفة " لم " هي قلب المضارع الى المضي » [4] . وفي هذا الحزب وجدنا هذا القلب في 15 موضعها ، بينما لم يرد في الحزب السابق إلا في 03 مواضع . والمواضع التي ورد فيها قلب جهة " يَفْعَلُ "إلى المضي إما خبرية مثبتة نحو قوله تعالى :﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾ [5] . وإما إنشائية استفهامية مثل قوله :﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾

---

[1] مهدي المخزومي : في النحو العربي ـ نقد وتوجيه ، ص 157 .

[2] فاضل مصطفى الساقي : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة . ص 238 .

[3] سورة : البروج . الآية : 7 .

[4] مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية ، ص 46 .

[5] سورة : الفجر . الآية : 8 .

، وقلب الجهة هنا من الحال أو المستقبل إلى المضي معاكس لمثله المتولد عن أداة الشرط " إذا " التي تقلب جهة الماضي إلى الحاضر أو المستقبل ، كما رأينا في قوله عز من قائل : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ [1] .

وإذا كان التنازع قد احتدم بين عدد من النحاة القدماء الذين جعلوا دلالة صيغة " يفعل " الأصلية على الحال ، وبين الذين جعلوها دالة أصلا على المستقبل ، وبين الذين توسطوا فجعلوها دالة عليهما في آن ، فإن من المؤكد أن هذه الصيغة في استعمالاتها التي ظهرت في سور هذا الحزب ، والحزب الذي سبقه ، ترد دالة على واحد من الزمنين أو على امتدادتهما ، وفقا لما يمليه السياق ، أو توجبه الضمائم . وإلى هذا أشار بعض الدارسين المحدثين حين قال : « تدل صيغة المضارع (يَفْعَلُ) بحكم وضعها غلى الحال أو الاستقبال . ويُستعان لمعرفة جهة من الجهتين بإدخال بعض الأدوات على الفعل » [2] ؛ وذلك مندرج ضمن ما يُنعت بـ « تعبيرات الجهة في معنى التخصيص » [3] . ومن الأدوات التي تخصص دلالة هذه الصيغة للمستقبل كل من حرفي التنفيس : السين وسوف . والتنفيس يعني التوسيع ، قد سُميا كذلك لأنهما ينقلان « المضارع من الزمن الضيق ـ وهو الحال ـ إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال » [4] . يقول عبد الله بن السيد البطليوسي : « قال أبو القاسم (يقصد الزجاجي) : وأما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ . كقولك : زيد يقوم

---

[1] سورة : الضحى . الآية : 6 .

[2] سورة : النصر . الآية : 1 .

[3] مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية ، ص 57 .

[4] المرجع نفسه ، ص 57 .

[5] عصام نور الدين : الفعل والزمن ، ص 78 .

الآن ، ويقوم غدا . وعبد الله يصلي الآن ويصلي غدا ، فإذا أردتَ أن تخلّصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف . فقلت : سوف يقوم ، وسيقوم ، فيصير مستقبلا لا غير » [1] . ومما يلفت النظر حقا استعمالهما في هذا الحزب بقدر أكبر من الكثافة بالقياس إلى ما حواه الحزب السابق . لقد جاء استخدام السين في هذا الحزب 07 مرات مبثوثة قي أربع سور ، بينما لم يستعمل في الحزب السابق سوى مرتين وردتا في سورة واحدة هي سورة النبأ . أما " سوف " ، فإنها لم تـــرد في الحزب السابق سوى مرة واحدة ، بينما وردت في لاحقه هذا 04 مرات . ومن أمثلة السين قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ [2] ، وأما سوف فمثالها قوله عز وجل : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [3] . وهنا لا يفوتنا أن نذكر وجود مسعى لدى بعض النحاة القدماء والمحدثين إلى التفرقة بين الحرفين من حيث التدقيق في الزمن الذي تدل عليه كل منهما ، حيث يرى البصريون أن المدة مع سوف أوسع منها مع السين . أي أن السين اشير إلى المستقبل القريب بينما تشير " سوف " إلى المستقبل البعيد ، وهذا ما خلص إليه تمام حسان في الجداول الزمنية التي أعدها [4] . ولكن ذلك ليس موضوع إجماع ، فقد رأى الكوفيون ترادف الحرفين الذين ذهبوا إلى أن المدة مع " سوف " ليست بأوسع ،أي أنهما مستويان . وقد انتصر لرأي الكوفيين هذا ابن هشام الأنصاري ، فقال ، مشيرا إلى السيـــن ، : « ولا مـــدة الاستقـــبال معه أضيق منها مـــع

---

[1] ابن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل . ص 52 .

[2] سورة : الأعلى . الآية : 6 .

[3] سورة : الضحى . الآية : 5.

[4] تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها . ص 245 .

" سوف " خلافا للبصريين »[1] . ومهما يكن من أمر ، فإن وظيفة كل من هذين الحرفيين هي تخليص دلالة صيغة " يَفْعَلُ " إلى الاستقبال فحسب . أما التدقيق في زمن الفعل في الجهة فأمر متولد من قرائن انبثق من السياق ، أو من أدوات أخرى , ولو وقفنا على سبيل المثال على قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾[2] لوجدنا الفاء الداهلة على الفعل الثاني " فَتَرْضَىٰٓ " هي التي أفادت وقوعه بعد الفعل الأول " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ " ، إذ الرضا يجيء بعد العطاء ، وليس قبله أو حتى بالتزامن معه . ومثل ذلك ما نقف عليه في قول الله سبحانه : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3] ، فالفعل الأول سابق زمنيا للاحقه ، حسب رأي الفيروزابادي الذي يقول : « قوله : (سوف تعلمون) وبعده : (سوف تعلمون) تكرار للتأكيد عند بعضهم . وعند بعضهم : هما في وقتين : في القبر والقيامة . فلا يكون تكرارا »[4] . فالفعلان واقعان في جهة المستقبل ، ولكمهما مختلفان زمنا ، حيث يقع أحدهما قبل الآخر ، والذي أفاد هذا التتابع هو حرف العطف " ثم " . وهذا الحرف ذاته هو الذي أفاد أيضا التعاقب مع التراخي ، في قوله بعد ذلك في السورة نفسها : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾[5] وقد علق عليه الفيروزابادي أيضا بقوله : « قوله : (لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا تأكيد أيضا . وقيل : الأول قبل الدخول ، والثاني بعد الدخول . ولهذا قال

---

[1] ابن هشام : مغني اللبيب ، 1 / 158 .

[2] سورة : الضحى . الآية : 5 .

[3] سورة : التكاثر . الآيتان : 3 ، 4 .

[4] الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 540 .

[5] سورة : التكاثر . الآيتان : 6 ، 7 .

بعده : (عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ) أي عيانا ، لستم عنها بغائبين » [1] .

ولنا بعد ذلك أن نشير إلى جانب ذي علاقة بالدلالة الزمنية لحرف التنفيس" السين" ، هو الدلالة على الاستمرار ، وقد تنبه الطاهر بن عاشور لدى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [2] ، إذ قال : « واليسرى في قوله" لِلۡيُسۡرَىٰ " هي ما لا مشقة فيه . (. . .) ويحتمل اللفظ معاني كثيرة تندرج في معاني الدافع الذي لا يشق على صاحبه ، أي الملائم . (. . .) وحرف التنفيس على هذا التفسير يكون مرادا منه الاستمرار من الآن إلى آخر الحياة » [3] . فالسين هنا أفادت استمرار زمن الفعل من الحاضر إلى المستقبل البعيد .

وإذا كان تعيين الجهة وتخليص الدلالة للمستقبل يحدث عن طريق السين وسوف ، كما رأينا في ما سبق ، فإن ثمة أداة أخرى لتحقيق الغاية ذاتها استُخدمت في بعض سور هذا الحزب ، وهي أداة النفي الناصبة " لن " التي ينعتها ابن هشام بأنها « حرف نصب ونفي واستقبال » [4] ، ويذهب الزمخشري إلى أنها لتوكيد النفي وتأبيده ، ولكن ابن هشام يرى أن كليهما « دعوى للا دليل » [5] . وقد وردت في هذا الحزب مرة واحدة هي قوله تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ ﴾ [6] علما بأنه سبق أن ذُكِّرَتْ مرتين أخريين في الحزب

---

[1] الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 540 .

[2] سورة : التكاثر . الآيتان : 3 ، 4 .

[3] الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 20 / 383 .

[4] ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 1 / 312 .

[5] المرجع نفسه ، 1 / 313 .

[6] سورة : البلد . الآية : 5 .

السابق . ولو أمعنا النظر في هذه الآية لأدركنا أن الفعل " يَقْدِرَ " لا يدل على المستقبل وحده ، بل يدل على الماضي والحال أيضا ، فهناك إذن دلالة زمنية للفعل بمفرده دلت عليها صيغته ، وهي الحال أو الاستقبال ، ثم جاءت السابقة المنفصلة " لن " ، بهدف تخليص الفعل للدلالة على المستقبل ، ذلك أنها واحدة من أدوات تخصيص تعبيرات الجهة [1] ، ولكن السياق الذي ورد فيه هذا الفعل الذي يتحدث عن طبيعة الإنسان المغتر بقوته والذي لم يهتد بوحي إلهي يعرفه كيفية تسوية خلقه وتصويره ، ويريه قدره وموقعه في الكون ، جعل الدلالة تشمل الماضي والحال والمستقبل . فمثل هذا الشعور بالقوة ، وعدم قدرة أحد آخر على المس به ليس أمرا يحدث مستقبلا ، بل هو ملازم لكل متصف بهذا الخلق المذموم . ومن الجدير بالذكر أن دلالة صيغة " يَفْعَلُ " على الحقائق الثابتة المتعلقة بالكون والطبائع البشرية أمر أصيل في دلالات هذه الصيغة ، وهذا ما يسميه بعض النحاة المحدثين بالزمن العام , يقول إبراهيم السامرائي مثلا : « ويأتي بناء " يَفْعَلُ " للإعراب عن حدث من قبيل الحقائق الثابتة » [2] . ويقول كمال رشيد : « قد لا يُراد بالصيغة زمن معين محدد ، بل قد يراد بها عموم الزمان ، وذلك في ما يتعلق بالطبائع البشرية والحقائق الكونية والأحكام الدينية والأمور المألوفة » [3] . وإلى مثل هذه الدلالة لبناء " يَفْعَلُ " يشير مهدي المخزومي بقوله : « إن الحدث لا يحدث في زمن خاص ، ولكنه يحدث في كل زمان ، ولا يلاحظ فيه زمان

---

[1] مصطفى النحاس : دراسات في الأدوات النحوية ، ص 57 .

[2] إبراهيم السامرائي : الفعل العربي ـ زمانه وأبنيته ، ص 33 .

[3] كمال رشيد : الزمن النحوي في اللغة العربية ، ص 42 .

معين » [1] .

وإذا كان المثال الذي وقفنا في ما تقدم منفيا بـ " لن " ، فإن لدينا مثالا آخر مثبتا هو قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [2] وذلك ما لا يدع مجالا للارتياب في أن الدلالة على الزمن العام تحققها صيغة الفعل " يَفْعَلُ " معضدة بالسياق ، وليس الضميمة " لن " التي تأكد لنا أن وظيفتها تخليص هذه الصيغة للدلالة على المستقبل كما أسلفنا . وهكذا يتبين لنا أن صيغة " يَفْعَلُ " مفردة أو بسيطة . على حد تعبير بعضهم . دون حاجة إلى ضمائم من سوابق أو لواحق ، تحمل من قدرات التعبير على الزمن في أبعاده المختلفة ما يتعين على الدارسين المحدثين تمحيصه وإبرازه ومحاولة التقعيد له ، بعيدا عن تأويلات هي أدخل في المباحث البلاغية منها في النحو . وهذا الغنى في دلالة الصيغة ، ولو مفردةً ، على جهات زمنية متعددة ، يشمل أيضا صيغة " فَعَلَ " ، كما يؤكده ها هنا لفظ " أَخْلَدَهُۥ " ، وقد سبق أن وقفنا على أمثلة متعددة لذلك حين حديثنا عن صيغة " فَعَلَ " في الفصل السابق .

ومن نظائر دلالة صيغة " يَفْعَلُ " على الزمن العام الممتد من الماضي مرورا بالحال إلى المستقبل ما يستشف من قوله عز وجل : ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] ، فالحديث ها هنا عن سلوك بعض الناس ، وهو سلوك غير مرتبط بزمن محدد

---

[1] الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 540 .

[2] سورة : الهمزة . الآية : 3 .

[3] سورة : الفجر . الآيات : من 17 إلى 20 .

، ذلك أن عدم إكرام اليتيم ، وعدم الحض على إطعام المسكين ، وأكل الموروث من حقوق الناس أكلا لا يبقي منه شيئا . وحب المال بشدة ، صفات ملازمة لفئة من الناس ، كانت عندهم في الماضي ، وهي عندهم حاليا ، وقد تبقى عندهم مستقبلا ، إن لم تتداركهم عناية الله فيهتدوا بهدي النبوة .

ومن الظواهر التي يجدر تسجيلها في معرض استقصاء دلالات صيغة " يَفْعَلُ " الزمنية في هذا الحزب استعمالها في مثل قوله عز وجل : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ، ففيه ما ينعته النحاة والبلاغيون بـ " الالتفات " ، وهو في هذه الآية من صيغة " فَعَلَ " (تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ) إلى صيغة " يَفْعَلُ " (فَيُعَذِّبُهُ) ، وقد تكرر في غير ما موضع من هذا الحزب ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] . فالتحول من صيغة " فَعَلَ " (تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ) " إلى صيغة " يَفْعَلُ " (فَيُعَذِّبُهُ) يفرضه المقام ، فالتولي والكفر وقع في الدنيا ، أي في زمن سابق بالضرورة على تعذيب المتولين والكافرين ، الذي سيكون في الآخرة . والدلالة الزمنية لفعلي " (تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ) " محددة بالنظر إلى ما بعدها " فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ " ، وليس بالنظر إلى لحظة التلفظ بالجملة .

ونعود إلى محددات الجهة في معنى التخصيص ، فنتوقف عند لفظ " يومئذ " الظرفية

[1] سورة : الغاشية . الآيات : من 22 إلى 24 .

[2] سورة : الغاشية . الآيات : من 22 إلى 24 .

الدي خصص دلالة جهة " يَفْعَلُ " بالمستقبل ، وعند التوقف عند الآيات الواردة في هذا الحزب يلفت نظرنا أنها جميعا تتحدث عن يوم القيامة ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] نلاحظ ورود فعل " وَجِاْيٓءَ " لصيغة " فَعَلَ " الدالة على الماضي عادة ، ولكنها تدل بفعل السياق المؤكد بـ " يومئذ " الظرفية على المستقبل ، كما نلاحظ مجيء فعل " يَتَذَكَّرُ " بصيغة " يَفْعَلُ " مسبوقة بـ " يومئذ " الظرفية " لتدل على الحاضر ، ولكنه حاضر واقع في جهة المستقبل ، أي أن التذكر يكون يوم القيامة حاضرا مستمرا ؛ وذلك الحاضر المستمر في المستقبل هو ذانه ما يمكن أن يُستشف من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[2] .

وما دمنا قد تناولنا بالدرس دلالة صيغة " يَفْعَلُ " على الحاضر المستمر ، في معرض استقصائنا للظواهر المتعلقة بدلالة صيغة " يَفْعَلُ " الزمنية في سور هذا الحزب ، فلنؤكد على جانب تحدثنا عنه من قبل في الفصل السابق ، وهو دخول فعل الكينونة بصيغة " فَعَلَ " على فعل وارد بصيغة " يَفْعَلُ " لتحويل دلالته على استمرار الفعل في الماضي . وقد ورد الحديث عن ما ينعته الباحثون بالماضي الاستمراري في خمسة مواضع من الحزب السابق ، منها أربعة مثبتة ، وردت كلها في سورة واحدة ، هي سورة المطففين ، وواحدة منفية في سورة النبأ. أما الصيغة المركبة : " كان يَفْعَلُ " المثبتة فقد وردت في قوله تعالى

[1] سورة : الفجر. الآية : 23 .

[2] سورة : الزلزلة . الآيات : من 4 إلى 6 .

: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] وقوله : ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] وقوله أيضا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] وقوله : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4] .وأما المنفية فهي الواردة في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [5] . والحق أن هذه الصيغة المركبة من كان ـ أو إحدى أخواتها ـ والفعل « تدل بتركيبها على معنى لا يتحقق بـ " كان " وحدها أو بالفعل وحده » [6] ، بل تتحقق بالتركيب كله . وقد استوقفت هذه الصيغة وأضرابها عددا من الباحثين المحدثين عربا ومستشرقين ، وكان من رواد الاهتمام بهذا الموضوع حامد عبد القادر الذي ذكر في مقال له عن معاني الماضي في القرآن الكريم نشره سنة 1958 أن ما نعته بالماضي الاستمراري في كلام العرب قوامه جزآن هما ماضي فعل الكينونة ، والمضارع الدال على الفعل الأساسي المراد التعبير عنه ، وعندئذ يتعين أن يتحد المسند إليه في الفعلين من حيث العدد والنوع والشخص » [7] . وقد التفت صاحب المقال بعد ذلك إلى وجود صيغة للماضي البعيد تتركب هي أيضا من فعل الكينونة ، ولكن فعلها الأساسي المراد التعبير عنه يرد في

---

[1] سورة : المطففين . الآية : 14 .

[2] سورة : المطففين . الآية : 17 .

[3] سورة : المطففين . الآية : 29 .

[4] سورة : المطففين . الآية : 29 .

[5] سورة : النبأ . الآية : 27 .

[6] محمود أحمد نجلة : لغة القرآن الكريم في جزء عم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . 1981 . ص 424 .

[7] حامد عبد القادر : معاني الماضي في القرآن الكريم . مجلة مجمع اللغة العربية . ج 10 . سنو 1958 . ص 67 وما بعدها .

صيغة الماضي [1] ، ولم يــرد هذا التركيب في جزء عم ، بل ورد في قــوله تعالى في سورة القمر : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] . ولم يكن حامد عبد القادر سوى مبلور لفكرة تحدث عنها من قبل المستشرق الألماني برجشتراسر حين تحدث عن سمات تميز اللغة العربية ، عن سائر اللغات السامية ، مضيفا أنه « مما يزيدها تميزا عن سائرها : تخصيص معاني أبنية الأفعال وتنويعها ، وذلك بواسطتين ؛ إحداهما : اقترانها بالأدوات / نحو : " قد فَعَلَ (. . .) والأخرى : تقديم فعل (كان) على اختلاف صيغه ، نحو " كان قد فعل " و " كان يفعل " و " سيكون قد فعل " إلى آخر ذلك . فكل هذا ينوّع معاني الفعل ، تنويعا أكثر بكثير ، مما يوجد في أية لغة كانت ، من سائر اللغات السامية . قريبا من غنى الفعل اليوناني والغربي ، أو بالأحرى : أغنى منهما في بعض الأشياء . وهذا من أكبر الأدلة على سجية اللغة العربية وطبيعتها ، فهي أبدا تؤثر المعين المحدود ، على المهم المطلق ، وتميل إلى التفريق والتخصيص » [3] .

وليس لنا أن نضع نقطة النهاية لهذا الفصل دون أن نغرج سريعا على فعل الأمر في هذا الحزب ، حيث نسجل انحصار عدد مرات وجوده في 20 مرة ، وإن كان ذلك العدد أكبر من مثيله في الحزب الذي سبقه حيث حوى ذلك الحزب 06 أفعال وبذلك يصبح مجموع مرات ورود فعل الأمر في الجزء برمته 26 مرة تمثل 04،78 ٪ من مجموع أفعال هذا الجزء

---

[1] المرجع السابق . ص 69 .

[2] سورة : القمر . الآيتان : 13 ، 14 .

[3] ج برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية . إخراج رمضان عبد التواب وتصحيحه وتعليقه . مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض . 1982 ، ص 87 ـ 88 .

، كما يبينه الجدولان الإحصائيان الحاملان لرقمي 185 ، 186 . وأما الدلالة الزمنية لهذه الأفعال فهي بدورها منحصرة في المستقبل ، إذا كان لنا أن نضرب صفحا عن رأي منكري وجود أية دلالة له على الزمن مجارين للقائلين بوجود زمن لهذا الفعل انطلاقا من قولهم باقتطاعه من المضارع ، كما شرحنا ذلك في الفصل الأول من هذا البحث . وإلى جانب أفعال الأمر القليلة هذه ثمة في هذا الحزب فعلان بصيغة " يَفْعَلُ " المسبوقة بلام الأمر وقد ورد أولهما في قوله تعالى :﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] وورد الثاني في قوله سبحانه : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ [2] ، علما بأن الحزب السابق وردت فيه هذه الصيغة في ثلاثة مواضع أخرى , ومن المؤكد أن دلالة هذه الأفعال جميعا لا تخرج عن دلالة أفعال الأمر الزمنية أي المستقبل أخذا بالرأي السابق . ونشير أخيرا إلى أن هذه الدلالة على المستقبل تُلحظ أيضا ، طبقا لهذا الرأي في صيغة " يفْعَلُ " المسبوقة بـ " لا " الناهية والتي وردت في هذا الحزب 03 مرات هي : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [3] و ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ [4] ، وهي الوحيدة الموجودة في الجزء برمته . ولكن الطبيعة الإنشائية للجمل التي ورد فيها الأمر بصيغتي " افْعَلْ " و" لِيَفْعَلْ " ، وكذلك النهي بصيغة " يَفْعَلُ " المسبوقة بـ " لا " الناهية ، تلقي بظلال من الشك على وجود أية دلالة زمنية لهذه الأفعال التي يمكن أن لا يكتب لها الخروج إلى الوجود أصلا .

---

[1] سورة : العلق . الآية : 17 .

[2] سورة : قريش . الآية : 3 .

[3] سورة : الضحى . الآيتان : 9 ، 10 .

[4] سورة : الضحى . الآيتان : 9 ، 10 .

خاتمة

بعد هذا التطواف في أرجاء الصيغ الزمنية للفعل العربي في جزء " عَمَّ " في ضوء ما تم الوقوف عليه في المهاد النظري ، آن للبحث أن يستخلص بعض ما هداه إليه النص

موضوع الدراسة . ولعل أول ما أكده بحثنا في هذا الجزء أن صيغ الفعل العربي قد تدل ببنيتها على الزمن ، ولكن تلك الدلالة الصرفية ، متأثرة بمؤثرات أخرى خارجة عن بنيته ، إما متأتية من السياق أو المقام ، وإما بفعل ضمائم أو لواصق ، سابقة أو لاحقة ، وذلك ما اصطُلح على تسميته بالزمن النحوي . وقد تبين لنا أن ما لا يقل عن 73 فعلا أي ما يمثل 24,1 ٪ من مجموع الأفعال الواردة بهذه الصيغة ، دلت على المستقبل ، بفعل السياق ، أو دخول أدوات حولت الجهة . وتبين لنا كذلك أن صيغة " يَفْعَلُ " بدورها دلت على غير دلالتها الزمنية الأصلية أي الحال والمستقبل ، فتحولت إلى الدلالة على الماضي في 25 موضعا ، أي بنسبة 11,73 ٪ من مجموع الأفعال الواردة بهذه الصيغة . وقد وقفنا على دلالات زمنية أخرى لكل من الصيغتين ، خارجة عن الجهة التي تدل عليها أصلا . وذلك ما يمكن أن نسميه بالقلب في معنى الجهة . ولكن ذلك لا يمنعنا من تقرير أن الدلالة الأصلية لكل من الصيغتين قائمة على التغليب إثر استقراء فعلي لاستخدام كل من الصيغتين في التراث المجسد للواقع اللغوي في عصور الاحتجاج .

والأمر الثاني الذي يتوجب علينا إبرازه هو أن الاعتماد على بناء صيغتي " فَعَلَ " و " يَفْعَلُ " في استخراج الدلالة الزمنية لكل منهما لا يستقيم ، إذ أننا لدى تتبعنا هذين الصيغتين خلصنا إلى أنه تبعا لاستخدامهما يمكن أن نتحدث عن ستة أنواع نماذج : الماضي في اللفظ والمعنى ، والماضي في اللفظ دون المعنى ، والماضي في المعنى دون اللفظ ، والمضارع غي اللفظ والمعنى أي المستقبل ، والمضارع (المستقبل) في اللفظ دون المعنى ثم أخيرا المضارع في المعنى دون اللفظ .

وثالث هذه الحقائق انطواء الفعل العربي على كنوز مذخورة وثراء كبير من حيث الدلالة على الزمن ، فقد رأينا أن الضمائم التي تلحق بإحدى الصيغتين تخصص دلالتها الزمنية فتجعلها أكثر دقة ، وهذا ما دفع الباحثين إلى استخلاص أزمنة عديدة ضمن كل جهة ، وما ذهب إليه بعضهم من تصور نظري لوجود سبعة أبعاد للزمن هي قبل الماضي والماضي وبعد الماضي والحاضر وقبل المستقبل والمستقبل وبعد المستقبل لم يصدقه تتبع استعمالات الصيغتين في جزء عَمَّ ، فقد وقفنا على أزمنة أكثر ، ربما تعطي مشروعية لمسعى عديد من الباحثين الذين أوصلوا أزمنة الفعل في الجملة الخبرية المثبتة إلى 16 زمنا ، كما هو حال الدكتور حسان تمام , غير أننا لدى تتبعنا لدلالات صيغة " فَعَلَ " في هذا الجزء وجدناها ستا (06) بينما وجدنا دلالات صيغة " يَفْعَلُ " أربعا (04) ، الأمر الذي يجعل مجموع دلالات الصيغتين في عذا الجزء 10 ، لأنه خلا من استعمالات بعض السوابق مثل قد كان ، كما خلا من استخدام أفعال الشروع والمقاربة والرجاء . . .

ولعلنا نخلص من كل تقدم إلى أن ما وقفنا عليه يقدم لنا مؤشرات تعضد رأي القائلين بأن التقسيمين المعروفين للفعل العربي من حيث دلالته الزمنية ، تقسيم البصريين : ماض ومضارع وأمر ، وماض وحاضر ودائم ، ينطويان بالفعل على خلط واضطراب واضحين ، فالمضارع ، حسب تسمية البصريين ، ينبني على أساس الشكل أو المبنى ، وتسمية الأمر قوامها المعنى ، بينما تسمية الماضي قائمة على الدلالة الزمنية . أما المستقبل والدائم . على حد تعبير الكوفيين . فهما يستندان إلى أساس الزمن ، غير أن الخلاف على فعلية الدائم وعلى دلالته الزمنبة أهي الحال أم الاستقبال أم المضي أم الاستمرار أم الثبات وعلى بنائه وعلى

صيغته ، فهو عند الكوفيين صيغة فاعل ، وعند الفراء صيغة فاعل العاملة ، وعند الزجاج صيغة " يَفْعَلُ متبوعة بالقرينة اللفظية ، جعل مسعى الكوفيين يبدو غير محقق لغايته المتمثلة في اتخاذ الزمن أساسا يقوم عليه تقسيم الفعل . أما ما اقترحه المستشرقون وبعض من شايعهم من اللسانيين المحدثين من تقسيم للفعل العربي إلى accompli et inaccompli ، فقد تبين بدوره أنه غير دقيق ، فضلا عن ما يعتور ترجمته إلى تام وغير تام من لبس وعدم دقة .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نحسب أن التساؤلات التي طرحتها إشكالية البحث والتي عرضناها في المقدمة ، وخاصة سؤالها المركزي : كيف بدت دلالة الصيغ المختلفة للفعل العربي في جزء عم ؟ ، قد عرفت إجابتها في فصلي البحث : الثاني والثالث ، بقدر متفاوت من التحديد .

ومع ذلك لا مناص لنا من التأكيد على أن أبواب البحث في هذا المجال ما تزال مشرعة ، قصد سبر أغوار الدلالات الزمنية للفعل العربي ، وفيها من الثراء ما شهد به أحد كبار رواد البحث اللغوي من الغربيين وهو المستشرق برجشنراسر الذي أفضت به دراسته لما تنطوي عليه اللغة العربية من ثراء في الصيغ ذات الدلالة الزمنية إلى التأكيد على أن اللغة العربية « أكمل اللغات السامية وأتمها في هذا الباب ، أي باب المعاني الوقتية وغيرها ، وهي مع ذلك أحدثها ، انكشفت انكشافا زائدا على ما في غيرها ، وابتعدت هن الأصل ابتعادا أكثر منها » [1] .

[1] ج برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية . ص 90 .

والله ولي التوفيق .

ملخص باللغة القرنسية

Résumé

La question de savoir comment l'expression temporelle est exprimée par les différentes formes verbales en arabe revêt une grande importance, pour ceux qui s'intéressent à la description grammaticale du verbe et à la compréhension de la langue arabe et de son fonctionnement. C'est le thème du présent mémoire , dans lequelle on recourt à l'analyse textuelle.

Pour comprendre le phénomène temporel en langue arabe, on a choisi de se référer au texte arabe par excellence, celui du Coran. Le travail portera sur une partie désignée sous « Juz' Amma », représentative du Coran et particulièrement appropriée à l'étude de l'ensemble. En effet, d'une part, les chapitres (Sourates) qui la composent varient en longueur et d'autre part, les thèmes abordés se rapportent à la foi, à la fin du monde, au repentir et au châtiment, ainsi qu'aux légendes des peuples anciens.

La principale question qui se pose est celle de savoir quelles sont les diverses formes sémantiques du verbe arabe dans « Amma ». De cette interrogation découlent des questions secondaires telles que : est-ce que la valeur sémantique de chaque forme, dans les contextes variés de cette partie du texte coranique, concorde avec celle déterminée par les grammairiens ? La forme est-elle le seul déterminant temporel dans cette partie ? Quel est l'impact du contexte et des affixes (préfixes, suffixes) sur la valeur temporelle de la forme telle qu'elle apparait dans cette partie du Coran ?

Une approche descriptive est appliquée, s'appuyant sur l'analyse, soutenue par des statistiques pour chaque cas. Dans la partie théorique introductive du premier chapitre, la méthodologie historique a délibérément été écartée car jugée inefficace pour montrer la réalité du verbe et sa relation avec le temps, à l'exception de l'évocation chronologique des théoriciens cités dans les deux parties de ce même chapitre.

Pour répondre aux différentes questions soulevées, une démarche méthodique a été adoptée afin d'atteindre les objectifs fixés et de cerner tous les aspects du sujet. Le premier chapitre constitue une introduction théorique qui concerne deux aspects. D'abord, la notion de verbe, du point de vue sémantique et ses diverses caractéristiques. Ensuite, la notion de temps en rapport avec le verbe, ses différentes catégories et ses connotations. Le second chapitre est consacré à l'étude de la forme verbale « faala » (et ses subdivisions) comme forme grammaticale, ou ce que les anciens grammairiens appellent le temps du passé. Quant au troisième chapitre, il décrit les formes verbales « yafaalou » (et ses subdivisions) et « ifaal » que les anciens grammairiens désignent respectivement par le présent et l'impératif. Si l'impératif n'est pas traité dans un chapitre à part, c'est parce qu'il n'est pas aussi détaillé que les deux autres temps (passé et présent). Dans les chapitres deux et trois, les formes verbales sont localisés dans toutes les sourates de chaque section (hizb), en déterminant leurs sens dans chaque contexte. Cependant, dans la dernière section, seuls les phénomènes les plus apparents ont été traités, suivis de tableaux

graphiques et statistiques, exposant les formes de « faala », « yafaalou », « ifaal » et grâce auxquels des observations d'ordre général ont été avancées, concernant le sens de chacune de ces formes ainsi que l'influence des affixes, des outils et du contexte sur les connotations de ces formes, dans ce que certains désignent par « le temps grammatical ».

Une conclusion générale clôt le présent travail, en récapitulant les principaux résultats obtenus après la description et l'analyse du corpus concerné.

ملخص باللغة الإنقليزية

ABSTRACT

The question of how the various forms of the verb in Arabic express time is clearly of great importance to those interested in the evolution of the grammatical description of the Arabic verb and in solving the mystery of language and understanding the way it works.

This is the topic of my Magistère research work in which I have avoided plain theorization and have opted for text analysis. There is no text as precise as that of the Quran, the first text ever in Arabic, to understand the phenomenon of time in the Arabic language. The part "Juz' Amma" in the Quran is the subject matter of this study. This part is suitable as a case study of the whole Quran as its chapters (Suras) vary in length, on the one hand, and in the themes related to faith in particular, to doomsday, to repentance and punishment and to the tales of ancient nations.

At the outset, a central question is asked: What are the various semantic forms of the Arabic verb in the 'Amma' part? This question generates the following secondary questions: Does the semantic value of each form in the various contexts of this part of the Quran's text concord with that determined by the grammarians? Is verb form the only tense determinant in this part? What is the effect of the context and affixes (prefixes and suffixes) in the tense value of the form as it appears in this part of the Quran?

A descriptive methodology is followed to achieve the aims of this research using statistically supported analysis in every single context of occurrence. The research work may look overloaded with charts but its nature and its aims do require such means. Historical methodology has been deliberately avoided even in the theoretical introduction of the first chapter as such an approach has been deemed inefficient in showing the reality of the verb and its connection with time, except for the chronological listing of the scholars mentioned in the two parts of this chapter.

To answer the central question as well as the secondary ones, a research scheme had to be designed in a way to achieve the aims and to cover all aspects of the problem. The first chapter is a literature review which is of a certain length because of the nature of this research. First, it deals with the notion of the verb from a semantic point of view and its characteristics. Then, it focuses on the notion of the tense in its relation with the verb and its various classes and connotations. The second chapter is devoted to investigating 'faala' (and its subdivisions) as a grammatical form or what the ancient grammarians called the past tense. The third chapter describes the forms 'yafaalou' (and its subdivisions) and 'ifaal' that the ancient grammarians called respectively the present tense and the imperative. The imperative tense is not dealt with in a separate chapter in order to keep all chapters balanced and because the imperative tense is not as detailed as the two other tenses. In chapters two and three, the verb forms are carefully investigated in all the Suras of each section (hizb) by

determining their meanings in each context. In the last section, however, there is just an outline of the most noticeable phenomena. This is followed by a series of graphs that display what forms of ‘faala, ‘yafaalou’ and ‘ifaal’ are contained in this section and in the last one. General observations are made as to the meaning of each of these forms and the influence of the affixes, the tools, the context and the root on the semantic value of these forms, in what scholars have called ‘the grammatical tense’.
The research work ends with a conclusion that summarizes the results reached after description.

ثبت المصادر والمراجع

أ ـ باللغة العربية :

1 الأب هنري فليش اليسوعي : العربية الفصحى أو نحو بناء لغوي جديد . تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين . منشورات المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ط 1 . 1966 .

2 إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط 3 . 1966 .

3 إبراهيم السامرائي : الفعل ـ زمانه وأبنيته . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط 2 . 1980 .

4 أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها . دار الكتب العلمية .

5 أحمد بن قاسم العبادي : رسالة في اسم الفاعل المراد به الاستمرار في جميع الأزمنة . تحقيق ودراسة محمد حسن عواد . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمّان . ط 1 .

6 أحمد عبد الستار الجواري : نحو الفعل . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . 2006 .

7 ـ احمد الملاخ : الزمن في اللغة العربية . بنياته التركيبية والدلالية . منشورات الاختلاف ـ الجزائر ، و الدار العربية للعلوم . ناشرون . بيروت . ط 1 . 2009 . ص 32 .

8 أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري : كتاب أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . دمشق . د . ت .

9 أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه : الكتاب . عالم الكتاب . بيروت . ط 3 . 1983 .

10 أبو البقاء العكبري : مسائل خلافية في النحو . تحقيق عبد الفتاح سليم . مكتبة الآداب . القاهرة . ط 3 . 2007 .

11 أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي : الكليات . معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري . منشورات وزارة الثقافــة والإرشاد القومي . دمشق . 1982 .

12 أبو بكر محمد بن سهل بن السراج : الموجز في النحو . تحقيق مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي . مؤسسة بدران للطباعة والنشر . 1965 .

13 أبو بكر محمد بن سهل بن السراج : الأصول في النحو . تحقيق عبد الحسين الفتلي . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط 4 . 1999 .

14 بهاء الدين عبد الله بن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين الدين عبد الحميد . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة وبيروت . ط 16 . 1974 .

15 الترمذي : صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي . دار الكتاب العربي . بيروت . د . ت

16 تمام حسان : اللغة العربية . مبناها ومعناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1979 .

17 ج برجشتراسر : التطور النحوي في اللغة العربية . إخراج رمضان عبد التواب وتصحيحه وتعليقه . مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض . 1982 .

18 جار الله الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار المعرفة . بيروت . د . ت .

19 جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو . دار الكتب العلمية . بيروت . د . ت .

20 جلال الدين السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو . تحقيق إبراهيم محمد عبد الله . مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق . 1987 .

21 جلال الدين السيوطي : شرح شواهد المغني . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . د . ت

22 جمال الدين بن منظور : لسان العرب المحيط . إعداد وتصنيف يوسف خياط . دار لسان العرب . بيروت .

23 جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحياني : شرح الكافية الشافية تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي . دار المأمون للتراث . مكة المكرمة . ط 1 . 1982 .

24 جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي : نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي . تحقيق محمد بخيت المطيعي . عالم الكتب . القاهرة . د . ت .

25 أبو حامد الغزالي : المنخول من تعليقات الأصول . تحقيق محمد حسن هيتو . دار الفكر . دمشق . ط 2 . 1982 .

26 ابن حزم الأندلسي : الإحكام في أصول الأحكام . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط 2 . 1983 .

27 أبو الحسن علي بن سليمان بن أسعد التميمي البكيلي : كشف المشكل في النحو . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

28 أبو الحسن بن الصائغ في شرح الجمل ، الورقة رقم 11 (مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، رقم 19 ، نحو) .

29 حسان تمام : العربية مبناها ومعناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط 2 . 1979 .

30 أبو الحسين أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1997 .

31 الحسين بن محمد الدامغاني : قاموس القرآن ، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم . تحقيق عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم للملايين . بيروت . ط3 . 1980 .

32 أبو حيان الغرناطي : تفسير البحر المحيط . مكتبة ومطابع النصر الحديثة . الرياض . د . ت .

33 . خالد عبد الله الأزهري : شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك . مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . د . ت . 1/44 .

34 الخطيب الإسكافي : درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات من كتاب الله العزيز . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط4 . 1981 .

35 الخوئي : أجود التقريرات (تقريرات بحث النائني) . مكتبة بوذر جمهري . طهران .

36 رضي الدين الاستراباذي : شرح كافية ابن الحاجب . تحقيق وضبط وشرح محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية . بيروت . 1975 .

37 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء : معاني القرآن . تقديم محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي . عالم الكتب . بيروت . ط3 . 1983 .

38 زهير بن أبي سلمى : الديوان . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . 1982 .

39 السامرائي : الفعل : زمانه وأبنيته . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط3 . 1983 .

40 سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام . دار الكتب العلمية . بيروت . 1983 .

41 شوقي ضيف : تجديد النحو . دار المعارف . القاهرة . ط2 . 1986 .

42 الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر . تونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . 1984 .

43 عبد الرحمن بدوي : الزمان الوجودي . دار الثقافة . بيروت . ط3 . 1973 .

44 عبد الفتاح الدجني : الإعجاز النحوي في القرآن الكريم . مكتبة الفلاح . الكويت . ط 1 . 1984 .

45 عبد الكريم بكري : الزمن في القرآن الكريم . دراسة دلالية الأفعال الواردة . دلر القجر للنشر والتوزيع ,القاهرة . ط 1 . 1997 .

46 عبد الله بن السيد البطليوسي : إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل ، تحقيق وتعليق حمزة عبد الله النشرتي . دار المريخ . الرياض . ط 1 . 1979 .

47 عبد الله بوخلخال : التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري . دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . د . ت .

48 أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . دار الكتاب العربي . القاهرة . د . ت . المجلد العاشر .

49 علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور : المقرب . تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري . مطبعة العاني . بغداد . ط 1 . 1972 .

50 أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الأسنائي الشهير بابن الحاجب : الكافية في النحو (كافية ذوي الأرب في عرفة كلام العرب ، بشرح محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي . تحقيق

يحيى بشير مصري . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ط 1 . 1996 .

51 عيسى ين محمد بن عبد الله الإيجي الصفوي خضر بن محمد بن علي الرازي : شرح الغرة في المنطق . تحقيق ألبير نصري نادر . دار المشرق . بيروت . 1983 .

52 فاضل مصطفى الساقي : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي . القاهرة . 1977 .

53 أبو الفتح عثمان بن جني : اللُّمع في العربية . تحقيق حامد المؤمن . عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية . بيروت . ط 2 . 1985 .

54 أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص . تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة والنشر . بيروت . ط 2 . د . ت .

55 فخر الدين الرازي : التفسير الكبير . دار الفكر . بيروت . ط 1 . 1981 .

56 أبو الفضل أحمد بن محمد النسابوري الميداني : مجمع الأمثال . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت . ط 2 . د . ت .

57 أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني : مفردات غريب القرآن ، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز . مكتبة نزار مصطفى الباز . د . ت .

58 أبو القاسم الزجاجي : الإيضاح في علل النحو . تحقيق الدكتور مازن المبارك . دار النفائس . بيروت . ط 3 . 1979 .

59 أبو القاسم الزجاجي : الجمل في النحو . تحقيق علي توفيق الحمد . مؤسسة الرسالة ودار الأمان . ط 1 . 1984 .

60 كمال رشيد : الزمن النحوي في اللغة العربية . عالم الثقافة والنشر والتوزيع , عمّان . 2008 .

61 مالك يوسف المطلبي : الزمن واللغة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1986 .

62 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية . بيروت . د . ت .

63 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . صنعة الطاهر أحمد الزاوي . دار المعرفة ودار الكتب العلمية . بيروت . 1979 .

64 مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط . دار المعارف . القاهرة . ط2 , 1972 .

65 محمد بن علي الصبان : حاشية الصبان هلى شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعيني . دار الفكر . بيروت . د . ت .

66 محمد أحمد نخلة : لغة القرآن الكريم في جزء عَمَّ . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . 1981 .

67 أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . ط5 . 1967 .

68 أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : الجامع الصغير في علم النحو . تحقيق أحمد محمود الهرميل . مكتبة الخانجي . القاهرة . 1980 .

69 أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد) . دار الطلائع . القاهرة . 2004 .

70 أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية . تحقيق هادي نهر . مطبعة الجامعة . بغدلد . 1977 .

71 أبو محمد جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . صيدت. بيروت . 1995 .

72 محمد خير الحلواني : الواضح في النحو والصرف . قسم النحو . منشورات مكتبة الشاطئ الأزرق . دمشق . ط3 . 1979 .

73 محمد عبد الرحمن الريحاني : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية . دار قباء للطباعة والتوزيع .علده غريب . القاهرة . 1998 .

74 محمد عبد المجيد جحفة : دلالة الزمن في العربية . دراسة النسق الزمني للأفعال . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء . طبعة 1 . 2006 .

75 محمد مهدي المخزومي : في النحو العربي . قواعد وتطبيق . مكتبة مصطفى البابي الحلبي . ط 1 . 1966 .

76 محمد مهدي المخزومي : في النحو العربي. نقد وتوجيه . منشورات المكتبة العصرية . بيروت . ط 1 . 1964 .

77 مصطفى جمال الدين : البحث النحوي عند الأصوليين . مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام العراقية . دار الرشيد للنشر , بغدلد . 1980 .

78 مصطفى النحاس : من قضايا اللغة . جامعة الكويت . الكويت . 1995 .

79 موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش : شـرح المفصل . عالم الكتب . بيروت . مكتبة المتنبي . القاهرة .

80 أبو الوفاء محمود بن عمر جار الله الزمخشري : المفصل في العربية . دار الجيل . بيروت . د . ت .

81 ياقوت الحموي الرومي : معجم الأدباء .إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب . تحقيق إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي . بيروت . ط 1 . 1993 .

82 يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية . دار لسان العرب . بيروت . د . ت .

ب ـ باللغتين الفرنسية والإنقليزية :

1 Alain Rey : Dictionnaire Historique de la Langue Francaise .

2 Bernard Komrie : Aspect : An Introduction to the study of verbal aspect and related problems . Cambridge : Cambridge university press . 1976 .

3 Daniel Reig : Dictonnaire Arabe - Francais Français - Arabe . As- sabil . Collection Saturne . Librairie Larousse . Paris . 1983 .

4 Dictionary of contemporary English . Longman .

5 Henri Fleish : Traité de philologie arabe .Vol 2 : Pronoms , Morphologie Verbale , Particules . Dar El - Machreq Editeurs . Beyrouth . 1979 .

6 Jana Moghaizel : L'expression du temps . traduction du verble en anglais et en arabe . Dar El – Machreq SARL . Beyrouth . 1993

7 Le Maxidico . Editions de la connaissance . Paris .

8 Larousse (livres de bord) : Conjugaison .

9 Otto Jepreson : The philosophy of grammar . George Allen Unwin Ltd , 1924 .

10 Oxford Advanced Leaners Dictionary Of Current English . p 1416.

11 Paul Robert :Petit Robert . Dictionnaire Alphabetique et Analogique . Le Robert . Paris . 1992 ..

12 R . Blachere & M . Gaudefroy-Demombynes : Grammaire de l'arabe classique .G-P Maisonneuve & Larose , editeurs . Paris . 1975 .

13 Ramzi Munir Ba'alabki : Dictionary of linguistic terms . English – Arabic . Beyrouth . Dar El – Ilm Lilmalayin . 1990 .

ج ـ الدوريات :

1 محمد خليفة الأسود : دلالة صيغة الفعل وبنيته . مجلة اللسان العربي . العدد 32 . 1989 .

2 " السعيد هادف : " وكان الله عليما حكيما " . دراسة لغوية تحليلية لفعل الكينونة , بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية الصادرة عن جامعة باتنة . العدد 3 . جوان 1995 .

3 ـ حامد عبد القادر : معاني الماضي في القرآن الكريم . مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة . ج 10 .

د ، الرسائل الجامعية :

الحاج موسى الثالث : مقهوم الجهة في اللسانيات الحديثة. دراسة مظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة . مخطوطة رسالة ماجستير ، مقدمة إلى قسم اللفة العربية وآدابها . مكتبة كلية الآداب . جامعة الملك سعود . المملكة العربية السعودية .

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ . ي
الفصل الأول : الفعل والزمن	1 . 64
1 . الفعل ماهيته وحَدُّه	2
بين لفظي الفعل والعمل	2 . 7
ماهية الفعل	8 . 14
حد الفعل وعلاماته	14 . 18
المعنى والحدث والحركة بين النحاة والأصوليين	18 . 24
الحركة والحدث في تعريفات الغربيين للفعل	24 . 27
2 . زمن القعل وجهته	28
صلة زمن الفعل بالزمن الفلسفي لدى النحاة	28 . 32
التقسيم الفلسفي للزمن ومشكلة المصطلح	32 . 42
الدائم لدى الكوفيين	42 . 44
زمان الأمر	44 . 54
الجهة	54 . 60

التام وغير التام 64 . 60
الفصل الثاني : الفعل الماضي (صيغة فَعَلَ) 132 . 65
سورة النبأ 74 . 66
سورة النازعات 79 . 75
سورة عبس 88 . 80
سورة التكوير 93 . 89
سورة الانفطار 101 . 94
سورة المطففين 110 . 102
سورة الانشقاق 115 . 111
سورة البروج 119 . 116
سورة الطارق 120
الحزب الأخير 132 . 121
الفصل الثالث :الفعل المضارع (صيغة يَفْعَلُ) وفعل الأمر (صيغة افْعَلْ) 133 .
سورة النبأ 138 . 134
سورة النازعات 144 . 139
سورة عبس 148 . 145
سورة التكوير 151 . 149
سورة الانفطار 153 . 152

سورة المطففين	158 . 154
سورة الانشقاق	162 . 159
سورتا البروج والطارق	166 . 163
الحزب الأخير	180 . 167
الخاتمة	184 . 181
ملحق : جداول بيانية إحصائية	278 . 185
1 . جداول صيغة " فَعَلَ "	231 . 186
2 . جداول بيانية صيغة "يَفْعَلُ "	278 . 232
ملخص باللغة الفرنسية	280 . 279
ملخص باللغة الفرنسية	282 . 281
ثبت المصادر والمراجع	292 ، 283
أ . باللغة العربية	291 . 283
ب . باللغات الأجنبية	291
ج . الدوريات	292
د . الرسائل الجامعية	292
الفهرس العام	295 . 293